

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

مَجَالِمُ الْإِيمَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الثاني والسبعون بعد المائتين

الآية (١٩٩) سورة آل عمران

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل عطائي

للسنة والفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين إله الخلق أجمعين الذي أحاط بكل شئ علماً
و﴿أَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١) وجعل الخلائق كلها حاضرة عنده ، منقادة
إليه مستجيبة إلى مشيئته ، وفي التنزيل ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي
الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

الحمد لله الذي جعل أعذب الكلمات تلك التي تكون بمناجاته وحمده
والثناء عليه ، وفيها الأجر والثواب في النشاطين .

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار النعم التي تأتي دفعة وأخرى على
التوالي والتتابع بما يعجز الناس عن إحصائها وعدها ، فيفضل الله عز
وجل بقبول قول الحمد لله وهو الغني عن العالمين ، ونسأله تعالى مصاحبتنا
الحمد له تعالى في أيام حياتنا كلها ، وفي الليل والنهار .

الحمد لله الذي جعل الصلاة اليومية حمداً وشكراً وثناءً له تعالى ، وهل
ينحصر الحمد لله بذات قول الحمد لله ، الجواب لا ، فكل امتثال لأمر إلهي
، وكل امتناع عما نهى الله عز وجل عنه هو حمد له سبحانه .

ليبان أن الله عز وجل جعل الدنيا دار الحمد له ، وقرب الناس من
منازل الحمد لله سبحانه .

نسأله تعالى أن يكون هذا التقريب بالنعم واللطف وتوالي الفضل
الإلهي وليس بالبلاء والعسر والشدائد .

(١) سورة الجن ٢٨ .

(٢) سورة الزخرف ٨٤ .

الحمد لله الذي أثنى على نفسه في كل كتاب سماوي نازل ، وأجرى الحمد له تعالى على لسان كل نبي ورسول بعثه للناس .

وتفضل وجعل المسلمين والمسلمات ورثة الأنبياء بقانون الاستدامة اليومية المتعددة لقول الحمد لله في الأرض ، إذ يتلو كل واحد منهم قول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) على نحو الوجوب العيني سبع عشرة في اليوم واللييلة في الصلاة اليومية لوجوب تلاوة سورة الفاتحة في الصلاة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)^(٢).

الحمد لله الذي جعل الحمد له سبحانه غذاء الملائكة وعملهم الدائم .

الحمد لله الذي تفضل بهدايتنا إلى أمور :

الأول : قانون الملازمة بين الإيمان والحمد لله .

الثاني : قانون قول الحمد لله شاهد على الإيمان .

الثالث : قانون اتباع النبي محمد حمد لله عز وجل .

الرابع : قانون الإقامة والمواظبة على الحمد لله عصمة من المعاصي

واجتناب للفواحش .

الخامس : قانون تعاهد الحمد لله مفتاح للرزق .

السادس : قانون قول الحمد لله أمان في عالم البرزخ .

السابع : قانون قول الحمد لله واقية من العذاب يوم القيامة .

الثامن : قانون قول الحمد لله نوع دعاء .

الحمد لله الذي جعل أول كلمة نطق بها آدم عليه السلام هي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(و) عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث ، فكان

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٩٩/٨.

(٣) سورة الفاتحة ٢.

خازناً من خزان الجنة ، و خلقت الملائكة كلهم من نور غير ذلك الحي ، و خلقت الجن من مارج من نار . وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب ، فأول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء وقتلوا بعضهم بعضاً .

فبعث الله اليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم حتى ألحقهم بجزائر البحور واطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغتر بنفسه وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة .

فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) فقالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢) كما أفسدت الجن قال ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) يقول : إني قد أطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره .

ثم أمر بترية آدم فرفعت ، فخلق الله آدم عليه السلام من طين لازب ، واللازب اللزج الطيب من (حمأ مسنون) منتن ، وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب ، فخلق منه آدم بيده ، فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتية يضربه برجله ، فيصلصل فيصوت ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ، ويدخل من دبره ويخرج من فمه .

ثم يقول : لست شيئاً ، ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك لأهلكك ، ولئن سلطت علي لأعصينك .

فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحمأ ودمأ ، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

إلى جسده فأعجبه ما رأى من جسده ، فذهب لينهض فلم يقدر . فهو قول الله ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(١).

فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) بإلهام من الله .

فقال الله له : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات ﴿ اسْجُدُوا لِلآدَمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾^(٣) لما حدث في نفسه من الكبر فقال : لا أسجد له ، وأنا خير منه ، وأكبر سناً ، وأقوى خلقاً ، فأبلسه الله وآيسه من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيماً^(٤).

الحمد لله الذي جعل قول (الحمد لله) شكراً له على النعمة المستديمة والحادثة ، وفي المرسل عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إذا أنعم الله عز وجل على عبده بنعمة فحمده عندها فقد أدى شكرها)^(٥). وعن الصحابي عبد الله بن غنم الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته)^(٦). الحمد لله حمداً كثيراً متتابعاً متوالياً في الليل والنهار ، وفي الحياة الدنيا ومصاحباً في عالم القبر ، ولا يقدر على إحصائه إلا هو سبحانه .

(١) سورة الأنبياء ٣٧ .

(٢) سورة الفاتحة ٢ .

(٣) سورة البقرة ٣٤ .

(٤) الدر المنثور ١/٦٥ .

(٥) الدر المنثور ١/٣٠٧ .

(٦) الدر المنثور ١/٣٠٦ .

الحمد لله الذي هدانا للحمد لله ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١) إذ تفضل الله عز وجل وجعل الحياة الدنيا دار الحمد ودار الثواب العاجل والآجل على الحمد .

فينقطع عمل الإنسان بالموت ومغادرته الحياة الدنيا، ولكن ثواب الحمد يصاحبه ويتضاعف أضعافاً كثيرة بعد وفاته ، وتأتيه أضعاف أخرى من ذريته الصالحة والمؤمنين الذين يستغفرون له ، ورشحات عمله الصالح في الدنيا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنه قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(٢).

وهل في هذا الحديث ترغيب بذكر الموتى من ذوي القربى والمؤمنين والمحسنين ، الجواب نعم ، فالملاك فيه قبول دعاء الأحياء للميت حال مغادرته الدنيا ، وانتفاعه من دعائهم واستغفارهم له .

ترى ما هي النسبة بين العمل الصالح وقول الحمد لله ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فقول الحمد لله من الصالحات مع أنه ليس عملاً وجهداً أو إنفاقاً ، إنما هو قول باللسان .

ومن فضل الله عز وجل على الناس إنتفاء الحاجب والبرزخ بين الإنسان وقول الحمد لله ، فان اضطر يأتي به أضعافاً ، وقد تفضل الله عز وجل وجعل شرطاً من الصلاة تؤدي تلاوة القرآن فيها إخفاتاً وهي صلاة

(١) سورة الأعراف ٤٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٤٤٢ .

الظهر ، وصلاة العصر ، لبيان التسليم العام من المسلمين بأن الله عز وجل ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(١) وأنه يتقبل الجهر والإخفات بالذكر والتلاوة .

وهو من الكثرة التي أمروا بها في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٢) ، وقول الحمد لله من هذا الذكر .

ومن خصائص قول (الحمد لله) إصلاح الجوارح ، والبعث للعمل الصالح وتنزيه اللسان من الغيبة والنميمة لقانون استحالة اجتماع الضدين في محل ووقت واحد .

الحمد لله الذي أنعم علينا بصدور هذا الجزء وهو **الثاني والسبعون بعد المائةين** من كتابي الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ويختص بتفسير آية واحدة من سورة آل عمران وهو قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) .

في آية علمية لم يشهد لها التأريخ مثيلاً لما فيه من استظهار ذخائر من خزائن العلم في آيات القرآن وصلة الآيتين فيها بينهما ، وصلتهما بآيات القرآن الأخرى ، ومسائل مستحدثة ومستنبطة من ذات الآية الكريمة التي هي الآية قبل الأخيرة من سورة آل عمران ، مع تأسيس (١٨٤) قانوناً في هذا الجزء من مضامين آية البحث .

حرر في التاسع والعشرين من شهر رمضان ١٤٤٧

الموافق ٢٠٢٦/٣/١٩

(١) سورة طه ٧ .

(٢) سورة الأحزاب ٤١ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الآية ١٩٩ .

الإعراب واللغة

وإن : الواو : حرف استثناف .

إن : حرف توكيد مشبه بالفعل .

من أهل : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إن) مقدم .

الكتاب : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة تحت آخره .

لمن : اللام : حرف توكيد وهي مفتوحة سميت باللام المزحلقة ، لأنها

بالأصل لام ابتداء تدل على أول الكلام (المبتدأ في الجملة الإسمية) ولكن

لدخول حرف ناسخ (إن) الذي يفيد التوكيد تتزحلق وتتصل مع الخبر ،

لتكون لام التوكيد المزحلقة مع خبر (إن) كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَعَلِيمٌ﴾^(١) ، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾^(٢) .

من : اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم (إن) مؤخر

ويستخدم للعاقل مفرداً ذكراً أو أنثى ومثنى ، وجمع مذكر ، فهو بمعنى

الذي والذين .

يؤمن : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ،

والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره (هو) .

بالله : جار ومجرور متعلقان ب(يؤمن) .

وما : الواو حرف عطف .

(١) سورة الحج ٥٩ .

(٢) سورة المرسلات ٧ .

ما : اسم موصول بمعنى الذي في محل جر معطوف على اسم الجلالة.
أنزل : فعل ماض مبني على الفتح : ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه
جوازاً تقديره : هو .

إليكم : جاء ومجرور متعلقان ب(أنزل).

وما أنزل إليهم : مثل (ما أنزل إليكم) .

خاشعين : حال منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم .

لله : جار ومجرور ، متعلقان ب(خاشعين).

لا يشترون : لا : حرف نفي للفعل المضارع ، وهو غير عامل .

يشترون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة .

بآيات : جار ومجرور متعلقان ب(يشترون).

الله : لفظ الجلالة مضاف إليه .

ثمناً : مفعول به منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره .

قليلاً : نعت منصوب بالفتحة لأنه مفرد مذكر .

أولئك : اسم اشارة للبعيد ، مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ .

لهم : اللام حرف جر ، و(هم) ضمير مبني في محل جر متعلق بمحذوف

خبر مقدم .

أجرهم : أجر : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، وهو مضاف .

هم : ضمير مبني في محل جر مضاف إليه .

وجملة (لهم أجرهم) في محل رفع خبر المبتدأ .

إن : حرف توكيد مشبه بالفعل .

الله : لفظ الجلالة اسم (إن) منصوب بالفتحة .

سريع : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره .

الحساب : مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة تحت آخره

، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها استئنافية .

والخشوع : الخضوع والتطامن والتذلل والخوف في القلب ، وقد اثنى

الله عز وجل على الخاشعين بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

والشراء من الأضداد يقال (شريتُ الشيء أشريه شراءً، إذا بعته وإذا
اشتريته أيضاً) (٢).

وهو في الغالب للشراء ، إنما تعرف إرادة البيع منه بالقرائن.
قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتِغَاءً مَّرْضَاتٍ لِلَّهِ﴾ (٣) أي يبيعها
ويبدلها في سبيل الله ، كما تحمل الآية معنى الشراء بافتدائها بالإجتهد
بطاعة الله وإنفاق المال في سبيل الله ، لعقتها من النار .
ويعنى الشراء للثمن القليل ورد لفظ (لا يشترون) في آية البحث ،
لتعاهد آيات الله وعدم بيعها ، لبيان قانون التنزيل أمانة.
والأجر : الجزاء على العمل ، و عوض العمل وما يعطى مقابله.
وإعراب القرآن بيانه وإظهار معانيه ونطقه نطقاً صحيحاً ، وعن ابن عمر
مرفوعاً (أعربوا القرآن يدلکم على تأويله) (٤) ولا يراد منه إعراب الكلمات
وفق الصناعة النحوية لأنها متأخرة عن أيام النبوة .
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (أعربوا القرآن واتبعوا
غرائبه ، وغرائبه فرائضه وحدوده . فإن القرآن نزل على خمسة أوجه :
حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال . فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا
الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال .

(١) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٢) الصحاح في اللغة ٣٥٥/١ .

(٣) سورة البقرة ٢٠٧ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٤٣٨/١ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : إن القرآن ذو شجون ،
وفنون ، وظهور ، وبطون . لا تنقضي عجائبه ، ولا تبلغ غايته .
فمن أوغل فيه برفق نجا ، ومن أوغل فيه بعنف غوى . أخبار وأمثال
وحرام وحلال ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن .
فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل . فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به
السفهاء ، وإياكم وزلة العالم^(١) .
ولقد أسس الإمام علي عليه السلام علم النحو ، وعن أبي الأسود
الدؤلي قال (قال : دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) فرأيتَه مطرقاً
مفكراً .

فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال : إني سمعت ببلدكم هذا لحنأ ،
فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية ، فقلت له : إن فعلت هذا بقيت فينا
هذه اللغة ، ثم أتيت بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما
أنبأ عن المسمى ، الفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى
ليس باسم ولا فعل : ثم قال : تتبعه زد فيه ما وقع لك ، واعلم أن الأشياء
ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل الناس
في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر .

قال أبو الأسود الدؤلي : فجمعت أشياء فعرضتها عليه ، فكان من ذلك
حروف النصب ، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكان ، ولم أذكر لكن ،
فقال لي : لم تركتها؟ فقلت : لم أحسبها فيها ، فقال بل هي منها فزدها
فيها .

وقال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في طبقات النحويين : وقال أبو
العباس محمد بن يزيد : سئل أبو الأسود الدؤلي عن فتح له الطريق إلى
الوضع في النحو وأرشدته إليه ، فقال : تلقنته من علي بن أبي طالب^(١) .

ليان الإمام علي عليه السلام لتفاصيل ومفردات علم النحو .

في سياق الآيات

صلة آية البحث بالآيات السابقة المجاورة لها ، وفيها وجوه :

الوجه الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٢) وفيها مسائل :

المسألة الأولى : حسن العاقبة

تضمنت الآية السابقة الإخبار عن حسن العاقبة في الآخرة للذين اتقوا الله عز وجل بأداء الفرائض والعبادات وعمل الصالحات .
ومن إعجاز القرآن أن مفرداته من جوامع الكلم ، فورد قوله تعالى ﴿اتَّقُوا رَبَّهُمْ﴾ وكأنه من المجمل الذي تتعدد مصاديقه في القرآن والسنة النبوية ، إتيان ما أمر الله عز وجل به ، وما نهى عنه وزجر عن فعله .
ولا يختص موضوع الآية السابقة بالمسلمين ، إنما هي سور وحرز وإخبار ونور وعهد ووعد يشمل المؤمنين والمؤمنات من أيام آدم وإلى يوم القيامة .
وتتضمن آية البحث الثناء على طائفة من أهل الكتاب ومن إسرار لفظ (أهل الكتاب) في آية البحث عدم انحصار موضوعها باليهود والنصارى بل يشمل كل أهل ملة سماوية وأتباع أحد الأنبياء يتصفون بالإيمان بالله ونزول القرآن ، ويطبقون على أداء العبادات .

(١) البقاعي ت ٨٨٥ هجرية / نظم الدرر ٤٠٧/٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٨ .

وهل هذا العموم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) الجواب نعم ، لما فيه من الفصل والتمييز بين الناس بلحاظ الهدى والإيمان .

ومن معاني الرحمة العامة آية البحث وما فيها الدعوة السماوية للطوائف الأخرى من أهل الكتاب للحاق بالذين ذكرتهم آية البحث بالإقرار بالتوحيد والتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

المسألة الثانية : حسن التقوى

بيان قانون الثناء القرآني على أهل التقوى والصلاح ، وقانون ترغيب الناس بالهداية والإيمان ، والتوثيق السماوي في القرآن لمصاديق الإيمان .
لقد تضمنت آية السياق الإخبار عن وجود أمة تحشى الله عز وجل سراً وعلانية ، وتؤدي ما فرضه الله على الناس من العبادات والمناسك ، والثواب العظيم الذي أعدّه الله عز وجل لهم في الآخرة .
وهل من التقوى الإقرار باليوم الآخر وما فيه من الجزاء والثواب ، الجواب نعم .

وورد لفظ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ مرتين في القرآن ، وكلاهما في البشارة لهم باللبث الدائم بالنعيم في الآخرة ، والآية الأخرى هي ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مِّنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾^(٢) .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة الزمر ٢٠ .

ولم يرد في القرآن لفظ (الذين اتقوا الله) نعم ورد ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بصيغة الجملة الخبرية ، و﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بصيغة الأمر في خمس وخمسين آية من القرآن وأكثرها بصيغة الأمر والجملة الإنشائية منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

ليان أن التقوى أعلى مرتبة من النطق بالشهادتين وأنها واقية وصلاح . وسيأتي في الآية التالية لآية البحث وهي الآية الأخيرة من سورة آل عمران بيان فضل الله عز وجل على المسلمين ولزوم تعاهدتهم للتقوى ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

المسألة الثالثة : ذكر الجنات

دلالة الآية القرآنية على علم الله عز وجل بأفعال العباد وحضورها يوم الحساب ، وفي التنزيل بخصوص يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٣).

ومن الجامع المشترك لآية البحث والسياق ذكر عالم الآخرة والجزاء ، ففي آية السياق ذكرت الآخرة من وجوه :

الأول : فوز المتقين بالإقامة الدائمة بالجنات ، وإن قلت ورد الوعد بالجنات على نحو التكرير من غير الاستدامة المتقين فيها ، والجواب تبين آيات القرآن بعضها لبعض ، إذ أخبرت آيات متعددة على خلودهم في النعيم ، وبيان نعمة أخرى مصاحبة للخلود فيه منها قوله تعالى ﴿قُلْ أُوْبِتِكُمْ خَيْرٌ مِنْ

(١) سورة آل عمران ١٠٢.

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٣) سورة الحاقة ١٩.

ذِكْرُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾.

الثاني : تعدد الجنان التي يقيم فيها المتقون ، لذا وردت الآية بصيغة الجمع (جنات) .

و(عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة مائة درجة ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ومن فوقها يكون العرش ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) (٢).

الثالث : الغبطة والهناء الذي يتغشى أهل الجنان لما فيها من مصاديق البهجة منها جريان الأنهار من تحت قصورهم .

وورد الفعل المضارع (تجري) في القرآن واحدة وخمسين مرة ، منها أربعون مرة بخصوص جريان أنهار الجنة قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (٣).

الرابع : التكرمة والثواب للمتقين من عند الله يوم القيامة ، بقوله تعالى ﴿نَزَّلْنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٤) ، لبيان قانون أحسن الإقامة التي هي من عند الله في الآخرة .

(١) سورة آل عمران ١٥ .

(٢) الدر المنثور ٤٢٧/٦ .

(٣) سورة البروج ١١ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٨ .

وقال المفسرون أنها ضيافة ، ولكن الآية ذكرت حرف الجر (من) بقوله تعالى ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الذي يفيد في المقام التوكيد وهي الزائدة التي لا يختل معنى الجملة مع عدم وجودها .

ترى ما هي الصلة بين آية البحث والآية أعلاه من سورة الحاقة ،
الجواب على وجوه :

الأول : تأكيد عرض أعمال الناس على الله يوم القيامة .

الثاني : توثيق القرآن لأعمال العباد ، وحضوره يوم القيامة شاهداً
وشفيحاً .

و(عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)^(١).

الثالث : قانون آيات القرآن نجاة في الآخرة لما فيها من الترغيب بالإيمان.

الرابع : يعرض الناس يوم القيامة للحساب على كل صغيرة وكبيرة ،
فيفوز أصحاب آية السياق بدخول الجنة وينال أصحاب آية البحث الثواب
لقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

المسألة الرابعة : الشهادة من الله

تضمنت آية البحث الشهادة من الله عز وجل لطائفة من أهل الكتاب
بالإيمان بالله ونزول القرآن ، والمقصود من أهل الكتاب هم النصارى
واليهود والمجوس ونحوهم .

وهل يحتاج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه هذه
الشهادة القرآنية ، المختار نعم .

(١) ابن جزى / التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

ليان أن آية البحث رحمة بالمسلمين إلى يوم القيامة ، فصحيح أنها وردت بخصوص طائفة من أهل الكتاب ذات عقيدة سليمة تدعوهم للإسلام ، فهي جاءت تخفيفاً وتعظيماً للصحابة وعامة المسلمين ، وشهادة على حسن إختيارهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه شاهد يوم القيامة ، وبينما ذكر الله عز وجل النبيين بصفة ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ فان الله أكرم النبي محمداً بصفة زائدة حاضرة في الدنيا والآخرة إذ قال تعالى ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

و(عن عبد الله بن سلام قال : صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢) وحرزاً للأمين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله . ويفتح به أعينا عمياً ، وأذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

وأخرج الدارمي عن كعب قال : في السطر الأول : محمد رسول الله عبدي المختار ، لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام . وفي السطر الثاني : محمد رسوله الله أمته الحمادون ، يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف ، رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة .

(١) سورة الأحزاب ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب ٤٥.

ويأتزون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم ، وأصواتهم بالليل في
جو السماء كأصوات النحل^(١).

المسألة الخامسة : اللطف مع أهل الكتاب

دعوة المسلمين اللطف بأهل الكتاب والإحسان إليهم ، وهل يختص هذا
الإحسان بالذين يؤمنون بالله والقرآن ، الجواب لا ، إنما يشمل عامة أهل
الكتاب لصيغة التذكير والتبويض في آية البحث .

وهل يختص موضوع آية البحث بأيام التنزيل ، الجواب لا .

فهو متجدد إلى يوم القيامة ، ففي كل زمان هناك أمة من أهل الكتاب
يتصفون بالإيمان بالله إلهاً واحداً وينفون الشريك له ، ويصدقون برسالة
النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وأن القرآن الذي نزل عليه هو كلام الله ويؤمنون بالنبؤات والكتب
السماوية السابقة وهم في حال خشوع لله عز وجل .

إذ يدل قوله تعالى ﴿خَاشِعِينَ لِّلَّهِ﴾^(٢) على قانون اقتران العمل
بالإعتقاد السليم بقانون ترشح الخشوع عن الإيمان ، وقانون الثواب من الله
للذين يؤمنون به بما أنزل من الكتب السماوية .

وهل آية البحث والسياق من هذا الثواب ، أم أن القدر المتيقن من
الثواب هو الثواب الأخروي يوم القيامة ، وإدخال المؤمنين الذين عملوا
الصالحات الجنة ، الجواب هو الأول .

لتكون آية البحث والسياق بشارة الثواب الأخروي وبيان قانون اشتراك
الآيات المتجاورة في موضوع أو حكم مخصوص هو رحمة للناس عامة أو
المسلمين خاصة .

(١) الدر المنثور ٤/٣٤١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

وقد تجتمع مصاديق الرحمة كما في دلالة آية البحث على لزوم إشاعة الود والإحسان بين المسلمين وأهل الكتاب .

المسألة السادسة : بين التقوى والخشوع

ذكرت آية السياق تقوى الله ، ذكرت آية البحث الخشوع له تعالى ، ترى ما هي النسبة بينهما ، المختار أن النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق ، فالتقوى أعم .

والخشوع هو الإخبات والتطامن لله عز وجل ، والإستعداد لتلقي الأوامر والنواهي الإلهية بالقبول والرضا .

ولم يرد لفظ (خاشعون) بصيغة الرفع في القرآن إلا في آية واحدة بقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(١).

ليبان أن الفوز والنجاح والفلاح في الآخرة يستلزم من الذكور والإناث الإيمان وأداء الصلاة بخشوع لله عز وجل وأخراج الزكاة ، والعصمة من الزنا والفاحشة .

وقد ورد قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ثلاث مرات في القرآن واحدة في سورة البقرة ، واثنين في سورة آل عمران .

أما قوله تعالى ﴿أَفْلَحَ﴾ فورد أربع مرات في القرآن ثلاثة في البشارة للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة .

(١) سورة المؤمنون ١-٦.

المسألة السابعة : نعمة الخشوع

بيان أمور :

- الأول : قانون ترشح الخشوع والتقوى عن التنزيل .
الثاني : قانون النفع العام من الكتب السماوية المنزلة .
الثالث : قانون الإيمان طريق الخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار .
الرابع : الحسن الذاتي للخشوع لله عز وجل .
الخامس : جهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في جعل طائفة من أهل الكتاب يتعاهدون الإيمان بالله والتنزيل .

السادس : من معاني الجمع بين آية البحث والسياق الترغيب والتقوى .
 وعن (مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَطَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثْرُ مَاءٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ قَالَ أَجَلٌ .
 قَالَ ثُمَّ خَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّحَّةَ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى وَطَيِّبَ النَّفْسِ مِنَ النَّعَمِ)^(١) .

السابع : لقد ذكرت آية السياق ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾^(٢) وأن لهم جنات عند الله ، ليكون من معاني الجمع بينها وبين آية البحث بعث أهل الكتاب على التقوى والترغيب بها ، والإخبار بأن تقوى الله مرتبة سامية وأمان في النشأتين .

الثامن : بلوغ مرتبة الخشوع نعمة عظيمة ، وقد فاز بها المؤمنون .

التاسع : الخشوع حرز للنفس من إرتكاب السيئات .

(١) مسند أحمد ١٢٩/٤٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٨ .

العاشر: الخشوع من صفات المتقين .

المسألة الثامنة : بين الإيمان والتقوى

بين الذين ذكرتهم آية السياق والذين ذكرتهم آية البحث عموم وخصوص مطلق ، فالذين اتقوا ربهم هم الأعم والأكثر ، ولا يختص موضوع آية السياق بزمان دون آخر بل موضوعها سيال من أيام آدم وإلى يوم القيامة .

والنسبة بين الإيمان والتقوى عموم وخصوص مطلق فالإيمان أعم ، إذ تتعلق التقوى بالإعتقاد وأداء العبادات البدنية والمالية ، وحبس الجوارح عن الظلم والتعدي ، فيأتي الخطاب في القرآن إلى المسلمين ثم يأمرهم مع إسلامهم بتقوى الله منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) ، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٢) .

ومن القول السديد الصائب الموافق للصدق والحكمة ، وهل في الآية أعلاه دعوة للمسلمين لحسن المعاملة واللفظ والجدال بالأحسن مع أهل الكتاب والإصلاح بين الناس ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾^(٣) .

والآية أعلاه خطاب من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبواسطته إلى المسلمين والمسلمات ، وهل الذين ذكرتهم آية البحث من أهل الكتاب من الذين ﴿أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ الجواب نعم .

(١) سورة التوبة ١١٩ .

(٢) سورة الأحزاب ٧٠ .

(٣) سورة الزمر ١٠ .

و(عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يروي عن ربه، عز وجل، قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)^(١).

المسألة التاسعة : ثواب الإيمان

تبين كل من آية البحث والآية السابقة لها الثواب العظيم في الآخرة الذي ينتظر المؤمنين والمتقين .

وفيه دعوة للناس للإيمان والعمل الصالح ، وبشارة للمسلمين الذين يخشون الله عز وجل ، ويؤمنون بنزول القرآن والكتب السماوية السابقة ، ويؤدون الفرائض العبادية ، قال تعالى ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ نَارِيبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾^(٢).

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا مزرعة للآخرة و نسخة الخلود فيها ، ودار امتحان وابتلاء واختبار ، يمتلأ فيها قلب المؤمن بالسكينة والطمأنينة لإنقطاعه إلى الله ، وحرصه على التحلي بسنن التقوى .

وعن الإمام علي عليه السلام (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما نزلت هذه الآية ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) قال : ذاك من أحب الله ورسوله ، وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب ، وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ، ألا بذكر الله يتحابون)^(٤).

ومن معاني الجمع بين آية البحث والسياق وجوه :

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٧/٦ .

(٢) سورة البقرة ١-٤ .

(٣) سورة الرعد ٢٨ .

(٤) الدر المنثور ٦/٦ .

الأول : قانون الآية القرآنية باعث إلى تقوى الله سواء في منطوقها أو مفهومها .

الثاني : من تقوى الله تعاهد آيات التنزيل وأحكام الشريعة .

الثالث : من أراد الفوز باللبث الدائم في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار فعليه بالتوبة والإنابة والتحلي بتقوى الله .

الرابع : حب الله عز وجل للمتقين ، ومن معاني هذا الحب هدايتهم إلى سبل الرشاد ، وصرف البلاء عنهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يُنْحَوِ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١).

المسألة العاشرة : الخشوع لغة واصطلاحاً

بيان موضوعية الخشوع لله عز وجل في نيل مرتبة التقوى ، والخشوع لغة بمعنى السكون والتذلل ، وفي الإصطلاح تغشي السكينة والطمأنينة للنفس والجوارح .

وكما مدحت آية البحث طائفة من أهل الكتاب ، جاءت آيات أخرى تعضيداً لها وتبين الفصل والتمييز بين طوائف أهل الكتاب بلحاظ تلاوة التنزيل بخشوع في صلاتهم ومن قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها ، قال تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾^(٢).

المسألة الحادية عشرة : الوعد للأبرار

ابتدأت آية البحث بالحرف الواو ، وتفيد الإستئناف وهو لا يتعارض مع عطف مضمون الآية على الآية السابقة ، فقد أختتمت الآية السابقة بقوله

(١) سورة الرعد ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(١) والأبرار جمع بار ، مثل أنصار وناصر ، من البر وهو الصدق والطاعة والإحسان .

وقد تقدم في الجزء الثامن والستين بعد المائتين من هذا السفر (والأبرار هم الصادقون في إيمانهم المطيعون لله ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٢) .

وفيه بعث لأهل الكتاب للبر والصلاح ، ودعوة لهم جميعاً للإيمان بالتنزيل ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ومن الإعجاز في نظم آيات القرآن اختتام آية السياق بالوعد الكريم من عند الله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٣) .

وهل هو وعد خاص بالأبرار أم يشمل الناس جميعاً ، الجواب هو الثاني ، فهو دعوة سماوية مفتوحة لكل إنسان ذكراً أو أنثى ليصدق في طاعته لله عز وجل ، ويعمل الصالحات ولتبدأ آية السياق بالثناء على طائفة من أهل الكتاب لبيان أن مرتبة الأبرار من الكل المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة وأن الله عز وجل يقبل القليل ويجزي بالكثير في الدارين ، ومنه مضاعفة الحسنات بعد موت الإنسان من جهتين :

الأولى : ما يهدى إلى الميت من الصالحات من أهل الدنيا واستغفارهم .
الثانية : مضاعفة الحسنات ابتداء من عند الله ، وهذه الجهة عامة وشاملة للأبرار جميعاً ، وإن لم يهد لهم أهل الدنيا حسنات وأنواع الثواب ، ومن فضل الله في المقام أن المؤمن الذي تنقطع ذريته وتناهي الأجيال المتعاقبة من أحفاده فإن الله عز وجل لا ينساه وهو في عالم البرزخ .

(١) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٢) سورة الانفطار ١٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٨ .

كما تنتفع ذريته من صلاحه وإيمانه وإن كانت هذه الذرية لم تذكره لتعاقب الأجيال ، كما ورد في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(١).

و(عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا﴾^(٢) ، قال : كان ذهباً وفضة .

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ واسمه كاشح ، وكان من الأتقياء. ذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء ، وكان سيّاحاً)^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام (كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم. عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب.

وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل .

وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. لا إله إلا الله ، محمد رسول الله)^(٤).

(١) سورة الكهف ٨٢.

(٢) سورة الكهف ٨٢.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٦٦/٨ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١٦٥/٨ .

أي من معاني الكنز توارث التوحيد والبشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد وعد الله عز وجل الذين آمنوا ويتوكلون على الله بالثواب بقوله تعالى ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١).

وفي آخر آية من سورة الجمعة قال تعالى ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾^(٢).

المسألة الثانية عشرة : تكرار كلمة (ربهم)

ذكرت كل من آية البحث والسياق لفظ (ربهم).

ففي آية السياق قال تعالى ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ﴾ في الثناء على المسلمين في إيمانهم وأدائهم الفرائض العبادية وصلاتهم في الحياة الدنيا . وفي آية البحث ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(٣) ، لإرادة جزاء الله عز وجل لأهل الكتاب في الآخرة .

وهذه النسبة شهادة ووعد من عند الله عز وجل لكل من المسلمين المتقين في كل زمان ، وللذين يؤمنون بالله عز وجل والكتب التي أنزلها . ويدل هذا الإيمان بالدلالة التضمنية على التصديق بالرسالات ، وأن الله عز وجل بعث موسى ، وعيسى عليهما السلام ، والنبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .

نعم ورد في آية البحث الثناء على المؤمنين ، والشهادة لهم بالتقوى ﴿ اتَّقُوا رَبَّهُمْ ﴾^(٤) أما في آية البحث فورد الوعد من عند الله .

(١) سورة الشورى ٣٦ .

(٢) سورة الجمعة ١١ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٨ .

ومن معاني نسبة المتقين وطائفة من أهل الكتاب إلى إقرارهم بأن الله هو الخالق المالك مدبر الأمور لا إله إلا هو ، هو وحده المعبود والمقيم ، والرازق رب السموات والأرض .

وهل تدل هذه النسبة على الإقرار باليوم الآخر والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب ، الجواب نعم ، فلا بد في كل زمان من أمة تؤمن بالله والملائكة والنبوة والتنزيل واليوم الآخر .

المسألة الثالثة عشرة : الإقرار بنزول القرآن

لقد ذكرت آية البحث المتقين ، بينما ذكرت آية البحث خصالاً حميدة لطائفة من أهل الكتاب بانتسابهم للكتاب السماوي والإيمان بالله عز وجل ، والقرآن الذي أنزله الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما أنزل عليهم أيام موسى وعيسى عليهما السلام مع خشوعهم لله عز وجل .

وهناك فترة زمانية طويلة بين نزول التوراة والإنجيل وبين نزول القرآن وبين بعثة عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو ستمائة سنة .

وكان آية البحث تقول : ما أنزل الآن من القرآن ، وما أنزل من قبل من التوراة والإنجيل .

ومن الإعجاز في قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) توجه الخطاب والإخبار برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل الكتاب ، وأنه على فترة انقطاع للنبوة سابقة لرسالته .

ولم يرد لفظ (فترة) في القرآن إلا في آية البحث .

وعدم التفريط بآيات الله لأمر دينوية ، وطمع ولذة عابرة .
(وقيل : فاتحة الزبور الحكمة خشية الله)^(١).

وقد ورد في خطاب للمسلمين والمسلمات قوله تعالى ﴿أَنْبِيَاءٌ لَّا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ...﴾^(٢).

ونزلت آية البحث لتخبر بأن الله عز وجل لا يضيع إيمان اليهود والنصارى بالله عز وجل برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يدخلوا الإسلام .

ويشمل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ المؤمنين في كل زمان من أيام آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة ، والنسبة بين المتقين في آية السياق وبين المؤمنين من أمة محمد عموم وخصوص مطلق ، وقد تقدم .

ومن معاني الجمع بين الآيتين وجوه :

الأول : قانون سمو مرتبة التقوى .

الثاني : الجزاء العظيم على التقوى والخشية من الله عز وجل .

الثالث : قانون الترغيب السماوي بالتقوى ومنها طاعة الله في السر والعلانية.

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر (يا أبا ذر، كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك .

يا أبا ذر ، هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا، أو فقيرا منسيا، أو مرضا مضنيا، أو هرما مفندا، أو موتا محيرا أو الدجال فإنه شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر .

يا أبا ذر، إن شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، ومن طلب علما ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ربح الجنة .

(١) النكت والعيون ٤٢٦/٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

يا أبا ذر، إذا سُئلت عن علم لا تعلمه فقل لا أعلمه. تنج من تبعته، و لا تفت الناس بما لا علم لك به تنج من عذاب يوم القيامة .

يا أبا ذر، يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم و تعليمكم فيقولون إنا كنا نأمركم بالخير و لا نفعله. يا أبا ذر، إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد .

وإن نعم الله عز وجل أكثر من أن يحصيها العباد، و لكن أمسوا تائبين و أصبحوا تائبين. يا أبا ذر، إنكم في ممر الليل و النهار في آجال منقوصة و أعمال محفوظة، و الموت يأتي بغتة، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، و من يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة .

و لكل زارع ما زرع. يا أبا ذر، لا يسبق بطي ء بحظه، و لا يدرك حريص ما لم يقدر له، و من أعطى خيراً فالله عز و جل أعطاه .

و من وقى شراً فإن الله وقاه. يا أبا ذر، المتقون سادة، و الفقهاء قادة، و مجالستهم زيادة. يا أبا ذر، إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، و الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه^(١).

وتبين آية البحث أن فضل الله عز وجل بعدم تضييع عمل الصالحات لا يختص بالمسلمين و المسلمات بل يشمل عموم المتقين من الأولين و الآخرين ، و يشمل طائفة من أهل الكتاب .

المسألة الرابعة عشرة : الخاتمة الحسنة

لقد أخبرت آية البحث بحسن العاقبة للمتقين ، و ذكرت آية البحث أمرين خاصاً و عاماً من جهة الثواب أما الخاص فهو الأجر العظيم من الله لطائفة من أهل الكتاب جزاء على إيمانهم بالله عز وجل خالقاً و إلهاً و رباً لا يشركون به و تصديقهم بنزول القرآن ، و أما العام فهو انبساط الأجر من عند الله و في الدنيا و الآخرة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات لاختتام الآية

(١) الأماي / الطوسي ١٠٤/٢.

بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) ، وليكون من معاني خاتمة آية السياق : وما عند الله خير للأبرار في الدنيا والآخرة لأن الله سريع الحساب .

وهل دخول المؤمنين الجنان من سرعة الحساب ، الجواب نعم ، وهو لا يتعارض مع كون مقدار يوم القيامة خمسين ألف سنة ، لبيان شدته على الكافرين وطول وقوفهم وشدّة عطشهم .

و(عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ينصب الكافر يوم القيامة مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا ، وأن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها موقعة من مسيرة أربعين سنة والله أعلم)^(٢).

و(عن حفص بن غياث القاضي قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه فليأس من الناس كلهم و لا يكون له رجاء إلا من عند الله عز وجل فإنه إذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه قال ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإن أمكنة القيامة خمسون موقفاً كل موقف مقام ألف سنة ثم تلا هذه الآية في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)^(٣).

ليبان قانون القرآن كتاب البشارات السماوي ، وقانون الآية القرآنية لطف بالناس جميعاً إذ تتضمن كل من آية البحث والسياق الثناء على شطر من الناس ، وكل منهما ترغيب للناس بالإيمان والصلاح والتقوى ، لتأكيد قانون الآية القرآنية ترغيب متجدد بالإيمان ، وقانون المسلمون أسوة في الإيمان ، قال تعالى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الرَّادِّ الْقَوَى﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ١٩٩.

(٢) الدر المنثور ٦/٣٧٦.

(٣) الأمالي للمفيد ١/٢١١.

(٤) سورة البقرة ١٩٧.

و(عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)^(١).

المسألة الخامسة عشرة : إكرام الأبرار

أختتمت آية السياق بالوعد الكريم للأبرار أهل الصلاح في الدنيا ، وهل يختص هذا الوعد الكريم بالآخرة ، الجواب لا ، إنما يشمل الحياة الدنيا ، وهو الذي تدل عليه خاتمة آية البحث بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢).

ليكون من معاني الجمع بين الآيتين بعث السكينة في نفوس المؤمنين ورجاء فضل الله في الدنيا والآخرة ، وسؤاله تعالى بأن يكون يومنا أحسن من أمسنا وغدنا أفضل من يومنا ، وهذه الأفضلية من مصاديق الخير في آية السياق .

فمن معاني سرعة الحساب من عند الله حضور الجزاء واتصاله إلى يوم القيامة ، وفيه بشارة للمؤمنين وإخبار باكرام المؤمنين يوم القيامة واختزال يوم القيامة لهم ، وجميع الأعمال حاضرة عنده تعالى ، وفي التنزيل ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٣).

(وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحاسبهم الله بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمي نفسه سريع الحساب ، وأسرع الحاسبين)^(٤).

(١) الدر المنثور ٢/٤٣٦.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة الجن ٢٨.

(٤) النكت والعيون ٤/٣٢٢ .

المسألة السادسة عشرة : اسم الجلالة في آية البحث

لقد ورد اسم الجلالة أربع مرات في آية البحث ، وورد مرة بصفة الربوبية ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١) ، لبيان قانون الآية القرآنية لواء التوحيد ، وقانون الآية القرآنية حرب على الشرك والضلالة ، كما تضمنت الآية الإقرار بأن الكتب السماوية نازلة من عند الله .

ومن وجوه تقدير ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾^(٢).

وما أنزل الله عز وجل إليكم من آيات وسور القرآن ، وما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل ، ويتضمن أول الآية ذكراً لله عز وجل فقوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي الكتاب الذي أنزله الله عز وجل وجاء لفظ الكتاب في الآية اسم جنس يقع على الكتب السماوية السابقة لنزول القرآن .
وحيثما يضاف له لفظ (أهل) يفيد الكتب السماوية النازلة على الأنبياء السابقين قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتشمل التوراة والإنجيل والزبور .

والمراد إيمانهم بنزولها ، واتباعهم لأحكامها وما فيها من السنن ، وبينما أثنت آية البحث على طائفة من أهل الكتاب فإن آيات أخرى ذمت الذين جحدوا منهم بالتنزيل ، قال تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَفَكِّحِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^(٣).

المسألة السابعة عشرة : الحاجة إلى التقوى

ترى ما هي النسبة بين الذين اتقوا ربهم وبين مضامين آية البحث ، المختار هو العموم والخصوص المطلق ، فالذين اتقوا ربهم أخص وأعلى

(١) سورة آل عمران ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة البينة ١.

مرتبة ، لذا أخبرت آية البحث عن الجزاء الحسن لأهل الكتاب الذين آمنوا بالله عز وجل والقرآن والتوراة والإنجيل .

أما الذين اتقوا ربهم فأخبر الله عز وجل عن الثواب العظيم الذي ينتظرهم باللبث الدائم في الجنة ، لأن التقوى إيمان وتصديق بالقلب والجوانح وعمل بالأركان والجوارح ، فمن التقوى أداء الصلاة والصيام .

ومن إعجاز سياق الآيات ورود قوله تعالى ﴿ اتَّقُوا رَبَّهُمْ ﴾ ثلاث مرات في القرآن ، كلها بخصوص الثواب العظيم الذي ينتظرهم من عند الله ، قال تعالى ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مِّنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لِمُخْلِفي اللَّهِ الْمِعَادَ ﴾ (١) .

ومن معاني الصلة بين آية البحث وآية السياق حث الناس جميعاً على تقوى الله والتي لا تنحصر بالخشية منه تعالى ، إنما تتضمن الإمتثال لأوامره ، واجتناب ما نهى عنه ، والإقتداء بالمسلمين في مسالك التقوى ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

المراد من جريان الأنهار

يحتمل قوله تعالى ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٣) وجوهاً :

الأول : جريان ماء الأنهار تحت قصور وبساتين الجنة .

الثاني : تجري الأنهار خلال القصور وفي أرجائها .

الثالث : مثل الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية (٤) .

الرابع : جريان أنهار الجنة من غير أخذود في الأرض .

الخامس : جريان ماء الأنهار من تحت منازل وقصور أهل الجنة .

(١) سورة الزمر ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ٦٥/١ .

وأضيف لها وجهاً مستحدثاً وهو أن ذات الأنهار تجري وتنتقل في مواضعها بحسب سؤال أهل الجنة ، ولطف الله عز وجل بهم .
فليس من مجرى ثابت ودائم لذات النهر ، لذا فهي تجري من غير أخذود ، لحمل الكلام العربي على حقيقته .

وأن إسناد الجري إلى الأنهار إسناد حقيقي وليس مجازياً كما هو المتبادر والمتعارف إنما ذات الأنهار تجري هي وما فيها من الماء ، فيكون جرياناً متعدداً .

وهل يمكن القول بأن المراد جريان الماء وحده لقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١) ، الجواب لا ، فالنعم الإلهية في الجنة أكثر وأعظم بمراتب من النعم في الدنيا .

ولو تنزلنا وقلنا بأن المراد جريان الماء في الأنهار ، وسأل أهل الجنة الله عز وجل أن يريهم حركة وجريان ذات الأنهار فان الله عز وجل يستجيب لهم ويريههم من بديع قدرته ثواباً وجزاء لهم وهو من الإطلاق في خاتمة آية السياق ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٢) .

وفي الجنة أنهار وعيون تنبع من الأنهار الأربعة التي تخرج من الفردوس الأعلى ، ومن أنهار الجنة نهر الكوثر ، ونهر البيدخ ، ونهر بارق .

مقام الشهداء

و(عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء ، يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية .

(١) سورة الزخرف ٥١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٨ .

وأخرج هناد في الزهد من طريق ابن إسحق عن إسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال : حدثنا بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الشهداء ثلاثة ، فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج منبوذاً بنفسه وماله لا يريد أن يقتل ولا يقتل أتاها سهم غرب فأصابه .
 فأول قطرة تقطر من دمه يغفر له ما تقدم من ذنبه ، ثم يهبط الله جسداً من السماء يجعل فيه روحه ثم يصعد به إلى الله ، فما يمر بسماء من السموات إلا شيعته الملائكة حتى ينتهي إلى الله .
 فإذا انتهى به وقع ساجداً ، ثم يؤمر به فيكسى سبعين حلة من الاستبرق.

ثم يقال : اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء فاجعلوه معهم ، فيؤتى به إليهم وهم في قبة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم غداؤهم من الجنة^(١) .
 (وعن أبي بن كعب قال : الشهداء في قباب من رياض بقاء الجنة ، يبعث إليهم ثور ووحوت فيعتركان فيلهون بهما ، فإذا احتاجوا إلى شيء عقر أحدهما صاحبه ، فيأكلون منه فيجدون فيه طعم كل شيء في الجنة)^(٢) .

يوم الجمعة

لقد جعل الله عز وجل أفراد الزمان الطولية مباركة ، وهي شاهدة على عظيم قدرته تعالى ، وخص يوم الجمعة باكرام خاص .
 ونزلت سورة باسم سورة الجمعة ، وفرضت فيه صلاة الجمعة ، وعن الإمام علي عليه السلام (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل عليه السلام إلى المسجد الحرام ، فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا بسائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة . فركزوا ألويتهم وراياتهم بأبواب المساجد ، ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاماً من ذهب ، ثم كتبوا الأول فالأول من بكر إلى الجمعة .

(١) الدر المنثور ٢/٤٨٥ .

(٢) الدر المنثور ٢/٤٨٥ .

فإذا بلغ من في المسجد سبعين رجلاً قد بكروا طووا القراطيس ، فكان أولئك السبعون كالذين اختارهم موسى من قومه ، والذين اختارهم موسى من قومه كانوا أنبياء^(١) .

و(عن أنس قال : بينما نحن حول رسول صلى الله عليه وسلم إذ قال : أتاني جبريل وفي يده كالمراة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء ، قلت يا جبريل : ما هذا؟ قال : هذا يوم الجمعة يعرض عليك ربك ليكون لك عيداً ولأمتك من بعدك).

إلى أن قال (فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم . فيقولون : ربنا وأي خير لم تفعله بنا أأست الذي أعنتنا على سكرات الموت ، وآنت منا الوحشة في ظلمات القبور ، وأمت روعتنا عند النفخة في الصور . أأست أأقلتنا عثراتنا ، وسترت علينا القبيح من فعلنا ، وثبت على جسر جهنم أأقدامنا؟ أأست الذي ادنيتنا في جوارك ، وأسمعتنا من لذادة منطلقك ، وتجلت لنا بنورك .

فأي خير لم تفعله بنا؟ فيعود عز وجل فيناديهم بصوته ، فيقول : أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي ، وأتمت عليكم نعمتي ، فسلوني ، فيقولون : نسألك رضاك .

فيقول : رضاي عنكم أأقلتكم عثراتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم ، وأدنيت مني جواركم ، وأسمعتكم لذادة منطقي ، وتجلت لكم بنوري ، فهذا محل كرامتي فسلوني . فيسألونه حتى تنتهي مسألتهم .

ثم يقول عز وجل : سلوني ، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم . ثم يقول عز وجل : سلوني فيقولون : رضينا ربنا وسلمنا ، فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ، ويزيد زهرة الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون كذلك حتى مقدار متفرقهم من الجمعة .

(١) الدر المنثور / ٤ / ٣٣٩ .

قال أنس : فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم؟ قال :
كقدر الجمعة إلى الجمعة . قال : يحمل عرش ربنا العليون معهم الملائكة
والنبيون ، ثم يؤذن لأهل الغرفات ، فيعودون إلى غرفهم ، وهم غرفتان
زمردتان خضروان ، وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى ويوم الجمعة لينظروا
إلى ربهم ، وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته^(١).

والنهر هو مجرى الماء الواسع المتصل ، وهو فوق الجدول ودون البحر ،
وإذ ورد لفظ النهر ، والبحر في القرآن فانه لم يرد لفظ الجدول فيه ، لبيان
أن أهل الجنة يرون الأنهار ويتنعمون بها .

لورود لفظ (خير) في الآية بصيغة النكرة في سياق الإثبات والتي تفيد
الإطلاق كما في قوله تعالى ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾^(٢).

المراد من الجنات في آية السياق وجوه :

الأول : منازل وقصور .

الثاني : بساتين وأشجار .

الثالث : الأمر الجامع للقصور والبساتين .

والمختار هو الأخير .

كتاب الأبرار

لم يرد لفظ (للأبرار) في القرآن إلا في آية السياق ، وورد لفظ (الأبرار)
خمس مرات في القرآن كلها في الجزء الحسن لهم بالنعيم الدائم يوم القيامة
، قال تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(٣).

(١) الدر المنثور ١٥٤/١٠ .

(٢) سورة الرحمن ٦٨ .

(٣) سورة الأنفطار ١٣ .

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ في آية السياق ، البشارة بالجنة للمؤمنين الأتقياء الذين اجتهدوا في طاعة الله ، وامتنعوا عن الظلم والتعدي .

وفي قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾^(١) ورد (عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عليين في السماء السابعة تحت العرش .

وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها)^(٢) .

ومن بديع صنع الله عجز الناس عن تصور النعم الكثيرة التي في الجنة فهي لا تقاس بنعم الدنيا ، ولا يقدر الناس على الإحاطة بها بالتصور الذهني لأنها أكبر وأعظم .

لذا ورد (عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله سبحانه جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي ، قالت : قد أفلح المؤمنون ثلاثاً ثم قالت : أنا حرام على كل بخيل ومرائي)^(٣) .

ليبان القبح الذاتي للبخل والرياء وضرر كل منهما على صاحبه في الآخرة ، وفي الحديث ترغيب وبعث للناس لإخراج الزكاة والحقوق الشرعية ، وإكرام الضيف .

وفي حديث الإسراء ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي من ذنبي ما تقدم وما تأخر ثم أخذت على الكوثر .

(١) سورة المطففين ١٨ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٣٧/١٤ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٢٩/٩ .

حتى دخلت الجنة فإذا فيها ما لا عين رأت وما لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وإذا أنا بأنهار من ماء غير آسن وأنها من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى .
وإذا فيها رمان كأنه جلود الإبل المقتبة وإذا فيها طير كأنها البخت^(١) .

صلة خاتمة الآية السابقة بأية البحث

من معاني قوله تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٢) بلحاظ آية البحث أمور:

الأول : الترغيب بطاعة الله ، والتنزه عن فعل المعاصي .

الثاني : دلالة صيغة الجمع (خير للأبرار) على كثرة الأبرار في كل زمان ، وعصمتهم من الإفتتان بالدنيا وما عند الذين كفروا من المال والجاه مع ارتكابهم للظلم وفعلهم السيئات لذا ورد قبل ثلاث آيات قوله تعالى ﴿لَا يُغْنِيكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(٣) (٤) .

الثالث : هل يشمل النهي الوارد في الآية أعلاه أهل الكتاب خاصة الطائفة التي ذكرتها آية البحث ، الجواب نعم ، فقوله تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٥) وعد كريم ، وباعث على فعل الحسنات والإكثار منها .

فمن خصائص القرآن مجئ الآية القرآنية بصيغة الجملة الخبرية ولكنها تتضمن في مفهومها معنى الإنشاء والأمر والنهي ، وتبعث على الصلاة والتقوى ومنه آية البحث والسياق .

(١) الدر المنثور ١٩٤/٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٦ .

(٤) أنظر الجزء الخامس والستين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٥) سورة آل عمران ١٩٨ .

فموضوع آية البحث طائفة من أهل الكتاب تتصف بالإيمان بالله ونزول القرآن والتنزيل مطلقاً ولكنها حجة على غيرهم من أهل الكتاب ومن الذين كفروا ، وفضح لكفار قريش في تكذيبهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن من عند الله ، وزاجر لهم عن محاربة وقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الصلة بين خاتمتي الآيتين

اختتمت آية السياق بالإخبار والوعد الكريم من الله بأن عنده الخير العظيم للأبرار .

وهل هو من الوعد أم الأمر الحال والفضل الإلهي الحاضر والوعد الإلهي في الدنيا والآخرة ، الجواب هو الثاني لأصالة الإطلاق .

فقوله تعالى ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾^(١) في خاتمة آية السياق وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٢) حكم وفضل إلهي ينبسط على الحياة الدنيا والآخرة ، ويتغشى المؤمنين في النشأتين ، وهل منه عالم البرزخ ، الجواب نعم .

بالتخفيف في مساءلة منكر ونكير ، والنجاة من عذاب القبر .

وفي حديث (ابن عباس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعداً ، وتلا هذه الآية ﴿ وَكَوَتَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾^(٣) ثم قال : والذي نفس محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٣) سورة الأنعام ٩٣ .

(٤) الدر المنثور ٤/١٠٠ .

إلى أن قال (ثم يأتيه عند ذلك ملكان فظان غليظان يسميان منكرًا ونكيرًا ومعهما عصا من حديد لو اجتمع عليها الجن والانس ما أقلوها وهي عليهما يسير .

فيقولان له : أقعد بإذن الله ، فإذا هو مستوقاعداً فينظر عند ذلك إلى خلق كربه فظيع ينسبه ما كان رأى عند موته ، فيقولان له من ربك؟ فيقول : الله .

فيقولون : فما دينك؟ فيقول الإسلام ، ثم يتهرانه عند ذلك انتهارة شديدة .

ثم يقولان : فمن نبيك؟ فيقول : محمد صلى الله عليه وسلم ويعرق عند ذلك عرقاً يتل ما تحته من التراب ، ويصير ذلك العرق أطيب من ريح المسك .

وينادي عند ذلك من السماء نداء خفياً صدق عبدي فلينفعه صدقه ، ثم يفسح له في قبره مد بصره ، ويبتذله فيه الريحان ، ويستر بالحريز .
فإن كان معه من القرآن شيء كفاه نوره ، وإن لم يكن معه جعل له نور مثل نور الشمس في قبره ، ويفتح له أبواب وكوى إلى الجنة فينظر إلى مقعده منها بما كان عاين حين صعد به .

ثم يقال : ثم قرير العين ، فما نومه ذلك إلى يوم يقوم إلا كنومة ينامها أحدكم شهية لم يرو منها ، يقوم وهو يمسخ عينيه ، فكذلك نومه فيه إلى يوم القيامة^(١) .

وورد اسم الأبرار عنواناً جامعاً للذين يعملون الصالحات ويخلصون في طاعة الله ، وبروا وصدقوا في إيمانهم واجتهدوا في أداء الفرائض العبادية ، وتنزهوا عن المعاصي ، وهذا التنزه بقصد القربة إلى الله عز وجل أيضاً .

ويدل على موضوعية ونفع خاتمة آية السياق ما ورد في خاتمة آية البحث ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) الذي يجمع المتضادين في الثواب الحسن والعقاب

(١) الدر المنثور / ٤ / ١٠٠ .

ولكن مع التباين الموضوعي بخصوص الذين ينالون الثواب وهم المتقون الذين ذكرتهم آية السياق ، وأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله ، وبنزول القرآن من عند الله عز وجل .

ومن معاني خاتمة آية البحث الإنذار والوعيد للذين لا يؤمنون بالله ولا يصدقون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن قلت لم تذكر آية البحث أو آية السياق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الجواب لقد ذكرتهما كل من آية البحث والسياق ، أما آية البحث فإن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بعثه الله بوجوب الإيمان بالله ، ونفي الشريك عنه تعالى ، مع هدم الأصنام التي كانت العرب تعبدها ، وتتقرب إليها ، وتخشى منها .

ونزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وهو كلام الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

عطاء الله بالأوفى

تضمنت كل من آية البحث وآية السياق الوعد الكريم من عند الله عز وجل ، فذكرت آية السياق البشارة العظمى للمتقين بالخلود بالنعيم باللبث الدائم في جنات الخلد ، وذكرت صفة من صفاتها وهي جريان الأنهار المتنوعة من تحتها .

والله عز وجل يعطي بالأتم والأوفى ، ومنه في المقام وجوه :

الأول : البشارة بالجنة للمتقين لبيان قانون الجنة دار إقامة المتقين في

الآخرة .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة التوبة ٦ .

الثاني : ذكرت آية السياق الجنات بصيغة الجمع ، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال (أما الجنات المذكورة في الكتاب فإنهن جنة عدن وجنة الفردوس وجنة نعيم وجنة المأوى .

قال : وإن لله عزوجل جنانا مخفوفة بهذه الجنان وإن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحب واشتهى ، يتنعم فيهن كيف يشاء وإذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهى إنما دعواه فيها إذا أراد أن يقول (سبحانك اللهم).

فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به ، وذلك قول الله عزوجل ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(١) ، يعني الخدام.

قال ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) يعنى بذلك عندما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب ، يمدون الله عزوجل عند فراغتهم^(٣).

وعن عبد الله بن عباس (الجنان سبع : دار الجلال ، ودار السلام ، وجنة عدن ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم)^(٤).

الثالث : بشارة جريان الأنهار من تحت الجنان ، وهل من نفع لهذا الوصف الأخرى في آية السياق ، الجواب ، من جهات :
الأولى : إنه باعث على التقوى .

الثانية : استحضار الجنة في التصور الذهني .

(١) سورة يونس ١٠ .

(٢) سورة يونس ١٠ .

(٣) الكليني / الكافي ١٤٢/٨ .

(٤) تفسير اللباب ٤٥١/٨ .

الثالثة : ترغيب المسلمين في الثبات في منازل الإيمان .

الرابع : ذكر الجنان ثواباً للمتقين حرب على النفاق ، ووسيلة سماوية لمنع المنافقين من الإضرار بالإسلام والمسلمين ، ويتجلى التضاد في أثر وسلطان الآية القرآنية بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾ .

وتضمنت آية البحث الوعد من الله عز وجل بالأجر العظيم للمؤمنين من أهل الكتاب الذين يتلقون آيات القرآن بالخشوع والخضوع لله عز وجل . (عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفر بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغ المشركين بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ، وذكروا أنهم سبقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فقالوا : إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها ، زعم أنه نبي وأنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك ، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم .

قال : إن جاؤوني نظرت فيما يقولون ، فلما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتوا إلى باب النجاشي فقالوا : استأذن لأولياء الله . فقال : ائذن لهم فمرحبا بأولياء الله ، فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين : ألم تر أيها الملك انا صدقناك وانهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيي بها .

فقال لهم : ما يمنعكم أن تحيوني بتحيتي؟ قالوا : إنا حينناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة .

فقال لهم : ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟ قالوا : يقول عبدالله ورسوله ، وكلمة من الله ، وروح منه ألقاها إلى مريم ، ويقول في مريم : إنها العذراء الطيبة البتول .

قال : فأخذ عوداً من الأرض فقال : ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم هذا العود ، فكره المشركون قوله وتغير لون وجوههم ، فقال : هل تقرأون شيئاً مما أنزل عليكم؟ قالوا : نعم .

قال : فاقرأوا وحوله القسيسون والرهبان وسائر النصراري ، فجعلت طائفة من القسيسين والرهبان كلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، قال الله ﴿ ذَلِكْ بَأْنٌ مِّنْهُمْ قَسِيْسِيْنَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴿١﴾ (٢).

وهل يختص موضوع الآية أعلاه بالنجاشي وأصحابه ، أو بالقسيسين والرهبان من أهل الكتاب ، الجواب لا .

لإخبار آية البحث بأن طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بالله ونزول القرآن في كل زمان ويدل عليه خطاب آية البحث لأجيال المسلمين ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ (٣).

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجود ملك وأهل مملكة يشهدون بصدق رسالته ، ويؤمن أصحابه المهاجرين إليهم .

(١) سورة المائدة ٨٢-٨٣.

(٢) الدر المنثور ٤٣١/٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩.

قانون حفظ القرآن من التقوى

وردت آية البحث خطاباً إلى المسلمين ، ويتضمن إكرامهم لقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ فقد نزل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ولكن الآية أكرمت المسلمين كافة بوصف نزول القرآن عليهم ، وهل تدل الآية على سلامة القرآن من التحريف ، الجواب نعم ، ولا ينقضه وصف نزول التوراة والإنجيل على أهل الكتاب مع ما لحقهما . وهل تعاهد أجيال المسلمين لآيات وسور القرآن والمنع من تحريفه والزيادة أو النقصان فيه من التقوى التي ذكرتها آية السياق ، الجواب نعم من وجوه :

الأول : قانون حفظ القرآن ورسمه جهاد .

الثاني : قانون حاجة المسلمين والناس لحفظ القرآن .

الثالث : المسلمون جنود لله عز وجل في حفظ القرآن وسلامته من التحريف لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّمُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) .

ومن مصاديق الآية أعلاه أمر الله عز وجل لكل مسلم ومسلمة من المكلفين بتلاوة القرآن سبع عشرة في اليوم والليلة على نحو الوجوب العيني .
الرابع : إقرار وتسليم المسلمين بأن القرآن كلام الله عز وجل نزل به جبرئيل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يفوق كلام البشر في بلاغته وإعجازه وما فيه من علوم الغيب والأحكام التي تتغشى أحوال الناس في مختلف الأزمنة ، وهو واقية من الفتن العامة والخاصة .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) سورة المدثر ٣١ .

و(عن الحارث بن عبد الله الأعور قال : قلت لآتين أمير المؤمنين (أي الإمام علي عليه السلام) فلا سألنه عما سمعت العشيّة ، قال : فجئتُه بعد العشاء ، فدخلت عليه ، فذكر الحديث .

ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتاني جبريل فقال : يا محمد أمتك مختلفة بعدك .

قال : فقلت له : فأين المخرج يا جبريل ، فقال : كتاب الله به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ، ومن تركه هلك ، مرتين ، قول فصل وليس بالهزل ، لا تخلقه الألسن ، ولا تفتنى عجائبه ، فيه نبأ من كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم^(١) .

الترغيب بالتقوى

لقد تضمنت آية السياق الثناء على الذين اتقوا الله عز وجل ، ويشمل الأولين والآخرين منهم ، وهل فيه ترغيب للناس في الإسلام وأداء الفرائض العبادية ، وعمل الصالحات ، الجواب نعم .

فالإخبار عن الإقامة الدائمة للمتقين في الجنات حق وصدق ، ويترشح عن هذا الإخبار البشارة والإنذار للمؤمنين لما أعد الله عز وجل لهم من النعيم الدائم ، والإنذار للذين كفروا لسوء عاقبتهم .

فأن قلت ليس في آية البحث أو آية السياق إنذار وتخويف ، الجواب هذا صحيح ، ولكن كلاً من الآيتين تدل في مفهومها على الإنذار والوعيد للذين يختارون الكفر ، والصدود عن التنزيل والنبوة .

لقد ذكرت آية السياق الثواب العظيم للمتقين بالفوز بدخول الجنة والإقامة فيها ، لقوله تعالى ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢) أما آية البحث فأخبرت عن الأجر عند الله عز وجل .

(١) تفسير ابن كثير ٢٠/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٨ .

وأيهما أعظم بالنعمة ، الجواب هو اللبث الدائم والإقامة في الجنات ، لذا خص الله عز وجل به المتقين ، لتكون النسبة بين الجنة والأجر عند الله هو العموم والخصوص المطلق .

ليبان أن آية البحث ومع ثنائها على طائفة من أهل الكتاب فإنها تدعوهم وغيرهم من أهل الكتاب وعامة الناس إلى اللحاق بركب التقوى ودخول الإسلام ، والخشية من الله عز وجل ، لتكون آية البحث من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١).

وهل يمكن القول بقانون كل آية قرآنية ترغيب بالتقوى ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق وعمومات كون القرآن كلام الله عز وجل ، لأن منافع نسبة القرآن إلى الله وإخبار الله عز وجل بأنه كلامه الذي أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يحصيها إلى الله عز وجل .

زواج سليمان من بلقيس

في قصة النبي سليمان وبلقيس ، قال تعالى ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ (٢).

إذ كان القصر من زجاج ويجري الماء من تحته وفيه السمك ونحوه من دواب البحر فكشفت عن ساقها خشية أن تبتل ثيابها من الماء ولم تعلم أن الزجاج حاجز دون الماء ، فبين لها سليمان عليه السلام أنه قصر مستو من زجاج ، فألقت ثوبها ، وأراد سليمان أن يبين لها عظمة النبوة ، وتجليات الإعجاز ، والمائز بينها وبين الملك ومنه ملكها .

ليبان قانون دخول الناس بالإسلام بالمعجزة من غير أن تصل النوبة للقتال بين الجيوش ، فان قلت قد قاتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والجواب كان قتاله دفاعاً ، قال تعالى ﴿ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ ﴾

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة النمل ٤٤ .

مَعَهُ رَبِّيَوْمٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ ﴿١﴾.

وأغلب الناس الذين دخلوا الإسلام أيام الرسالة إنما دخلوه بالمعجزة والتسليم بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضة .
والمشهور أن بلقيس كانت شعراء الساقين ، وقيل أنها (أحسن الناس ساقاً وقدماً لا أنها شعراء ، ثم صرف بصره وناداهما ﴿إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ (٢).

وقيل : هي السبب في اتخاذ النورة : أمر بها الشياطين فاتخذوها ، واستنكحها سليمان عليه السلام ، وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان ، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ، وولدت له . وقيل : بل زوجها ذا تبع ملك همدان ، وسلطه على اليمن ، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه ، فبنى له المصانع ، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان (٣).

والمختار أن سلمان هو الذي تزوجها ، وفي تفسير القمي (فتزوجها سليمان وهي بلقيس بنت الشرح الحميرية وقالت الشياطين اتخذوا لها شيئاً يذهب الشعر عنها فعملوا لها الحمامات وطبخوا النورة فالحمامات والنورة مما اتخذته الشياطين لبلقيس وكذا الارحية التي تدور على الماء) (٤).

عن محمد بن كعب القرظي (قالت الجن لسليمان إن رجلها رجل حمار ، وأن امها من الجن فأمر سليمان بالصرح الممرد ، وجعل السمك والضفادع تتحرك تحت الزجاج ، فلما أبصرته (قالت: ما وجد ابن داود

(١) سورة آل عمران ١٤٦.

(٢) سورة النمل ٤٤.

(٣) الكشاف ٨٦/٥ .

(٤) تفسير القمي ٣/٢٦ .

عذابا يقتلني به إلا الغرق ﴿حَسِبَهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾^(١) قال: فإذا أحسن الناس ساقا وقدمًا. قال: فضنَّ سليمان بساقها عن موسى، قال: فاتخذت النورة بذلك السبب^(٢).

و(عن عكرمة وأبي صالح قالوا لما تزوج سليمان بلقيس قالت له: لم تمسني حديدة قط، قال سليمان للشياطين: انظروا ما يذهب الشعر؟ قالوا: النورة، فكان أول من صنع النورة)^(٣).

حرف الإستدراك

ابتدأت الآية السابقة بحرف الإستدراك (لكن) بقوله تعالى ﴿لَكِنِ الَّذِينَ آتَوْا﴾^(٤) لتثبيت حكم لما بعدها مخالفاً لحكم ما قبلها ، فبعد أن أخبرت الآية قبل السابقة عن سوء عاقبة الذين كفروا بقوله تعالى ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبُسِّ الْمِهَادِ﴾^(٥).

ليبين التضاد بين الذين آمنوا والذين كفروا في الآخرة ، فالذين كفروا يلقون في النار ، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فتكون الجنة مثوى لهم ، قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(٦). وقال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ آتَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾^(٧).

(١) سورة النمل ٤٤.

(٢) تفسير الطبري ٤٧٣/١٩ .

(٣) تفسير الطبري ٤٧٤/١٩ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٥) سورة آل عمران ١٩٧ .

(٦) سورة الزمر ٧١ .

(٧) سورة الزمر ٧٣ .

ومن إعجاز القرآن وتفسير آياته بعضها لبعض ، ذكر آية البحث للذين اتقوا ربهم وحسن عاقبتهم ، وبيان التباين والتضاد بينهم وبين الذين كفروا بقوله تعالى ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).
أما آية البحث فابتدأت بحرفي الإستئناف والتوكيد (وإن) لبيان قانون إيمان طائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن والذي يدل بالدلالة التضمنية على تصديقهم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الوجه الثاني : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٢) وفيها مسائل :

المسألة الأولى : الترغيب بالدعاء

ابتدأت آية السياق بالإخبار عن إستجابة الله عز وجل لأدعية أولي الألباب وهم المؤمنون الواردة صفاتهم في الآيات السابقة.
فان قلت لماذا الحصر بالمسلمين والمسلمات .

الجواب لصيغة المضارع في قوله تعالى قبل ست آيات ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٣) والمنادي هنا هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٣ .

كما يراد من الآية الأنبياء السابقين والذين آمنوا بنبوة رسول زمانهم واتبعوه باخلاص ، لذا وردت الآية السابقة بالبشارة لعامة المتقين من غير تخصيص بالمسلمين والمسلمات ، لبيان اتصال موضوع آية البحث مع الآيات السابقة ، لبيان وراثة المسلمين للإيمان .

ومن خصائص آية السياق الترغيب بالدعاء ، والمبادرة إلى اللجوء إلى الله ، وحسن التوكل عليه وبلحاظ آية البحث فإن الله جعل للمؤمنين أجراً عظيماً من باب الأولوية لما ورد في آية البحث ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(١).

المسألة الثانية : الدعوة للإيمان

من معاني آية البحث دعوة أهل الكتاب للمبادرة إلى الإيمان والدعاء وسؤال الله عز وجل ما فيه خير الدنيا والآخرة .

فمن أبهى النعم والغنائم في الدنيا الفوز باستجابة الله عز وجل للدعاء والمسألة ، وعندما يغادر الإنسان الحياة الدنيا يترك المال وراء ظهره ، ويكون تركة للورثة ، ويبقى عليه حساب جمعه ، وهل أخرج الحقوق الشرعية منه ، قال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢).

أما الإستجابة من الله عز وجل فإنها تنفع الإنسان في دنياه وآخرته ، ليكون من معاني آية السياق ترغيب الناس جميعاً بالدعاء والمسألة ، وبث الحاجة وبيان الرغائب إلى الله عز وجل بلغة التوسل والخشوع والخضوع . ليكون من معاني قوله تعالى ﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾^(٣) توجه طائفة من أهل الكتاب بالدعاء إلى الله وهم في حال خشوع ومسكنة وتذلل ، والنسبة بين الخشوع والدعاء عموم وخصوص مطلق ، فحال الخشوع أعم .

(١) سورة آل عمران ١٩٩.

(٢) سورة التوبة ٢١.

(٣) سورة آل عمران ١٩٩.

وتدل آية السياق على قانون الملازمة بين الإيمان والدعاء ، وقانون تعقب الإستجابة للدعاء ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) ، قال تعالى ﴿قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٢).

المسألة الثالثة : قانون الإستجابة لطف

لقد أخبرت آية السياق عن استجابة الله عز وجل للمسلمين في أدعيتهم ، والتي تفضل الله عز وجل وجعلها آيات من القرآن يتلونها كل يوم على نحو الوجوب العيني كل يوم ، وفيها استغاثة واستجارة وسبيل لقضاء الحوائج ، وتحقيق الرغائب الشرعية ، وفيه شاهد على وجوه:

الأول : القرآن الذي آمن به المسلمون وطائفة من أهل الكتاب هو كنز الدنيا ووسيلة النجاة في الآخرة .

الثاني : حب الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين .

الثالث : إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأُمَّته بالإستجابة لهم في أدعيتهم المتعددة .

وهل يمكن القول بقانون القرآن كتاب الدعاء ، الجواب نعم ، لبيان دعوته للذين يؤمنون به للدعاء والمسألة .

الرابع : قانون تلاوة القرآن واقية من النار يوم القيامة ، للتضاد بين قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٣) ، وبين دخول النار ، وقد ذم الله عز وجل الذين كفروا ، وأخبر عن حجب دعائهم وهم في النار وقد جعل الله الدنيا دار الدعاء والتوبة وملاها الله بالحجج الباهرات التي تدل على ربوبيته المطلقة .

(١) سورة غافر ٦٠ .

(٢) سورة غافر ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

و(عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع .

فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب .

فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم ، فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون ألم تك تأتكم رسلكم بالبينات .

قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، قال : فيقولون ادعوا مالكا ، فيدعون : يا مالك ليقض علينا ربك ، فيجيهم إنكم ماكنون^(١) .

المسألة الرابعة : خصال إيمان

لقد ذكرت آية البحث ست خصال لطائفة مؤمنة من أهل الكتاب ، وذكرت آية السياق خصالاً حميدة للمسلمين والمسلمات من وجوه :
الأولى : استجابة الله عز وجل للمسلمين والمسلمات .

الثانية : تفضل الله عز وجل بسرعة الإستجابة للمسلمين لمقام الفاء في قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابْ﴾ التي تفيد التعقيب والفورية ، ولا يدل هذا على إنقطاع الإستجابة وحصرها بأوان الدعاء بدليل ورود أدعيتهم في هذه الآيات بخصوص عالم الدنيا وعالم الآخرة .

الثالثة : حفظ أعمال المسلمين والمسلمات وإثابتهم عليها في الدنيا والآخرة ، وعدم تضييعها للوعد الإلهي الوارد في آية السياق بقوله تعالى ﴿أَنِّي لَأَظْمِئُ عَمَلَكُمْ مِنْ دُونِ مَا تَأْتِي﴾^(٢) ، وفيه بيان لقانون الوعد الإلهي باعث على التحلي بالتقوى وعمل الصالحات .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٠٩/١٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

الرابعة : يدل قوله تعالى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾^(١)، على عدم اختصاص الذي يعمل الخير بالثواب بل يشمل السبب والمؤازر والآخرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، لذا قال تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) .

الخامسة : بشارة العفو والمغفرة لكل من :

أولاً : الذين هاجروا في سبيل الله من المسلمين .

ثانياً : المسلمون الذين تلقوا الأذى من كفار قريش ونحوهم بسبب اختيارهم الإسلام ، وقيامهم في منازل الإيمان وطاعتهم لله ورسوله ، وعدم تركهم الإسلام من شدة الأذى والإضطهاد .

ثالثاً : الصحابة الذين قاتلوا في سبيل الله .

رابعاً : الذين قتلوا في سبيل الله فان الله عز وجل يغفر لهم ذنوبهم وخصهم الله عز وجل بمرتبة وهي أنهم أحياء عند الله ، وليس ثمة فترة بين قتلهم وبين حياتهم عند الله ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣) .

والنسبة بين الذين قاتلوا في سبيل الله والذين قتلوا منهم عموم وخصوص مطلق ، ومن خصائص ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قلة القتلى أيام النبوة سواء من المسلمين أم من الذين كفروا والمجموع هو (٥٤٠)^(٤) .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٣) سورة البقرة ١٥٤ .

(٤) أنظر الجزء السادس والستين بعد المائة من هذا السفر ص ٢٨٠ .

السادسة : البشارة بدخول المؤمنين الذين ذكرت آية السياق خصالهم الحميدة الجنة لقوله تعالى ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).

السابعة : حسن الثواب من عند الله عز وجل .
ومع أن كل ثواب من عند الله هو حسن وأحسن سواء في الدنيا أو الآخرة ، فلم يرد لفظ (حسن الثواب) في القرآن إلا في آية السياق ولا يقدر عليه إلا الله عز وجل ، وفيه دعوة للناس للدعاء ، ورجاء فضل الله عز وجل .

تقييد القتال

قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

لقد قيدت الآية أعلاه القتال بوجوه :

الأول : توجه الخطاب إلى المسلمين الرجال لسقوط القتال عن المرأة فهي غير ملزمة به شرعاً ، كما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل النساء من المشركين .

و(عن أنس قال : كنا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتى يخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فيقول انطلقوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله ، لا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا طفلاً صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا)^(٣).

والمراد من النهي عن الغل المنع من الخيانة في الإستحواذ على المغنم العام قبل القسمة ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلُ مِنْ غُلِّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^{(١) (٢)}.

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة ١٩٠ .

(٣) الدر المنثور ٤١٠/١ .

وعن ابن عمر (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان)^(٣). ويشمل النهي النبوي الرهبان وأصحاب الصوامع والزمنى والشيوخ والأجراء إلا من قاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم لإطلاق القتال في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(٤).

الثاني : إرادة قصد في القتال لقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٥).

الثالث : حصر القتال بالذين يبدأون قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، وتدل الشواهد في الكتاب والسنة والسيرة على إمتثال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة لهذا القيد إذ كان المشركون هم الذين بدأوا القتال في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحين ، فأخزاهم الله ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٦).

الرابع : التنزه عن التعدي وتجاوز الحد ، حتى في حال الحرب والقتال.
الخامس : بيان بغض الله عز وجل للمعتدين مطلقاً .

(١) سورة آل عمران ١٦١.

(٢) أنظر الجزء السابع والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) تفسير القرطبي ٣٤٤/٢.

(٤) سورة البقرة ١٩٠.

(٥) سورة البقرة ١٩٠.

(٦) سورة آل عمران ١٢٧.

المسألة الخامسة : قانون ملازمة الحاجة للممكنات

أختتمت آية السياق بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(١) وأختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢).
ومن معاني الجمع بينهما سرعة مجئ الثواب للمسلم على إيمانه وعلى عمله الصالحات ، واتصال ثوابه في الدنيا والآخرة ، وتدلل عليه البشارة بدخوله الجنة .

ترى لماذا لم تختتم آية البحث بالإخبار عن ثواب الذين ذكرتهم من أهل الكتاب ، الجواب قد ذكرت الآية ثوابهم بما أدر الله عز وجل لهم من الأجر .

ومن خصائص الممكنات ملازمة الحاجة لها ، وهو وفق القياس الإقتراني:

الكبرى : كل ممكن محتاج .

الصغرى : الإنسان ممكن .

النتيجة : الإنسان محتاج .

ويحتاج الإنسان الثواب من عند الله عز وجل في يومه وليلته فتضمنت

كل من آية السياق والبحث البشارة بالثواب وسرعة مجيئه ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

المسألة السادسة : توحيد الربوبية

ذكرت كل من الآيتين لفظ (ربهم) فالله عز وجل هو رب المسلمين وأهل الكتاب والناس جميعاً والخلائق كلها ، لذا يتلو كل مسلم ومسلمة

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة يس ٨٢.

سبع عشرة مرة قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، على نحو الوجوب العيني .

وهل في هذه التلاوة إقرار من المسلمين بالتوحيد ، وعصمتهم من الشرك ومفاهيمه ، الجواب نعم ، لبيان المنافع الدنيوية والأخروية للقرآن بأن تسمع ملائكة السماء وأهل الأرض شهادة وإقرار المسلمين بالتوحيد في اليوم واللييلة .

ومنه تلاوة المسلمين القراءة جهراً في أكثر ركعات الصلاة اليومية ، إذ يجهرون بالتلاوة في صلاة الصبح والمغرب والعشاء .

ومن اللطف في آية البحث والسياق ورود لفظ (ربهم) في الآيتين في مورد الفضل والإحسان من الله عز وجل ، إذ قال في آية السياق ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٢) وفي آية البحث ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وفيه شاهد بأن الله عز وجل أحاط علماً بما يفعله الناس ، وهو أعلم بالسرائر والإعتقاد ، ويثيب المؤمنين على إيمانهم وحسن عملهم .

ولم يرد لفظ (اضيع) بصيغة المتكلم في القرآن إلا في آية البحث بينما ورد قوله تعالى ﴿يُضِيعُ﴾ خمس مرات ، وكلها بصيغة النفي ، لقانون حفظ الله عز وجل لعمل الصالحات والإثابة عليه ، إذ ورد قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَأُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) في القرآن ثلاث مرات^(٥).

(١) سورة الفاتحة ٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٤) سورة التوبة ١٢٠ .

(٥) سورة التوبة ١٢٠ ، سورة هود ١١٥ ، سورة يوسف ٩٠ .

وقال تعالى في خطاب إلى المسلمين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(١)، وفي خصوص الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وعموم المؤمنين ، قال تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

المسألة السابعة : ثواب الصالحات

تقيد آية السياق الثواب وعدم تضييع العمل الصالح بالمؤمنين . وهل يفيد هذا التقييد الحصر المطلق للثواب ، الجواب لا ، فاثبات شئ لشيء لا يدل على نفيه عن غيره .

وبلحاظ الدليل إذ أخبرت آية البحث عن الأجر والثواب للذين يؤمنون بالله ومطلق التنزيل من أهل الكتاب بقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار اكتناز الحسنات بالإيمان والعمل الصالح ، ويدل مفهوم قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤) على بقاء باب العفو والمغفرة مفتوحاً للمسلمين وأهل الكتاب للسلامة من الشرك كما تبين آية البحث إيمان طائفة من أهل الكتاب بالله عز وجل .

وهل يعني هذا الإيمان حب العبد لله عز وجل ، الجواب نعم ، لما فيه من الإقرار بأن الله عز وجل الخالق والرازق والرب وإليه يحشر الناس

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران ١٧١.

(٣) سورة آل عمران ١٩٩.

(٤) سورة النساء ٤٨.

جميعاً ، وفي التنزيل ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

ومن إعجاز آية البحث بيانها لمصاديق التنزيل وأن الفرد الأهم منه هو نزول القرآن لذا جاء الإيمان به متعقباً للإيمان بالله .

و(عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل : وما هن يا رسول الله؟ قال : التكبير والتهليل والتسييح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وابن مردويه ، عن النعمان بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا وأن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات)^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام (قال : الحرت حرتان ، فحرت الدنيا المال والبنون ، وحرث الآخرة ، الباقيات الصالحات)^(٣).

المسألة الثامنة :

لقد ذكرت آية السياق الأجر والثواب للمؤمنين والمؤمنات الذين يتوجهون إلى الله عز وجل بالدعاء والمسألة والذين يسعون في مرضاة الله ، ويجتنبون معاصيه ، وقد أكرمهم الله بقوله ﴿أَنْبِيَّ لَأُضِيْعَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾^(٤).

ووردت آية البحث بصيغة التذكير ﴿لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ﴾^(٥)، فهل يشمل النساء من أهل الكتاب ، الجواب نعم .

(١) سورة يس ٨٣ .

(٢) الدر المنثور ٦/٣٦٨ .

(٣) الدر المنثور ٩/٦٢ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٥) سورة آل عمران ١٩٩ .

إنما يأتي اللفظ العام بصيغة التذكير لوجوه :
الأول : المذكر هو الأصل .

الثاني : لا يحتاج الذكر إلى علامة بخلاف التأنيث إلى علامة مثل تاء التأنيث والألف المقصورة سواء في الأسماء أو الصفات مثل هدى ، منى ، والألف المحدودة ، مثل سيناء ، فالقاء ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾^(١).

الثالث : تغليب المذكر ، كما في قول : القمران ، لإرادة الشمس والقمر ، مع أن القمر يكتسب نوره من الشمس .

كلمة (فاستجاب)

ابتدأت آية البحث بحرف الإستئناف ، بينما بدأت آية السياق بحرف العطف الفاء ، لبيان فضل الله عز وجل في سرعة الإستجابة للمؤمنين في أذعيتهم في الآيات السابقة ، وبيان أن مقاليد الأمور بيد الله ، وأن له ملك السموات والأرض ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ويحتمل موضوع وأوان الإستجابة وجوهاً :

الأول : إرادة الإستجابة في الدنيا ، وقد اختتمت آية البحث بقوله تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣).

الثاني : إرادة الأجر والثواب يوم القيامة .

الثالث : إرادة تنجز مصاديق الإستجابة بشواهد في الدنيا والآخرة .

ولا تعارض بين هذه الوجوه بمعنى تأتي الإستجابة تارة في أمور الدنيا ، وتارة بخصوص أحوال الآخرة ، وأخرى فرد جامع لموضوع استجابة في الدنيا والآخرة .

(١) سورة المؤمنون ٢٠ .

(٢) سورة هود ٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

وقد ورد قوله تعالى ﴿اسْتَجَابَ﴾ في ثلاث آيات من القرآن كلها بلفظ ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ لبيان قانون سرعة نزول فضل الله ، وقانون فورية الإستجابة لأن السموات والأرض ملك لله عز وجل وحده.

وقد ورد قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ بخصوص قصة يوسف عليه السلام ونجاته من مكر وإغواء امرأة العزيز بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

ووردت الآية الأخرى في استجابة الله عز وجل لدعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يوم بدر بقوله تعالى ﴿إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾^(٢).

وهل تنحصر استجابة الله عز وجل بخصوص الواقعة ومسألة الدعاء ، الجواب لا ، فهي متجددة في الدنيا وحاضرة يوم القيامة ، وإذا أعطى الله فانه يعطي بالأتم والأوفى والمتعدد .

قانون التوجه إلى الله

من خصائص المؤمن التوجه إلى الله تعالى بالدعاء والمسألة ، وقد تفضل الله عز وجل على المسلمين من بين مؤمني الدنيا من أيام آدم بأن جعل كل واحد من المسلمين والمسلمات يتلو آيات القرآن كل يوم على نحو الوجوب العيني خمس مرات في اليوم ، وآيات القرآن منها ما هي دعاء ومسألة وحتى التي ليست دعاء فان الله عز وجل يثيب المسلم والمسلمة على تلاوتها بقضاء الحوائج ، لتكون هذه التلاوة من مصاديق قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَا

يَسْأَلُونَكَ مَا يَسْأَلُونَكَ وَيُثِبْتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

(١) سورة يوسف ٣٤ .

(٢) سورة الأنفال ٩ .

(٣) سورة الرعد ٣٩ .

وبخصوص سورة الفاتحة ورد بالإسناد عن الإمام علي بن موسى الرضا عن ابائه عن الإمام علي عليه السلام (قال: قال رسول الله: قال الله عز وجل: قسمت فاتحه الكتاب بيني وبين عبدى فنصفها لي ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل .

إذا قال العبد (بسم الله الرحمن الرحيم) قال الله جل جلاله: بدأ عبدى باسمى وحق على ان اتم له اموره وبارك له في احواله .

فإذا قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) قال الله جل جلاله: حمدني عبدى وعلم ان النعم التي له من عندي وان البلايا التي دفعت عنه فبطولي اشهدكم انى اضيف له الى نعم الدنيا نعم الاخرة وادفع عنه بلايا الاخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا .

فإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله جل جلاله: شهد لي عبدى انى الرحمن الرحيم اشهدكم لاوفرن من رحمتى حظه ولاجزلن من عطائي نصيبه فإذا قال ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢).

قال الله جل جلاله: اشهدكم كما اعترف انى انا مالك يوم الدين لاسهلن يوم الحساب حسابه ولاتجاوزن عن سيئاته .

فإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٣) قال الله عز وجل: صدق عبدى اياي يعبد اشهدكم لاثيبته على عبادته ثوابا يغبطه كل من خالفه في عبادته لي.

فإذا قال ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٤) قال الله عز وجل: بي استعان عبدى والتجأ الى اشهدكم لاعينته على امره ولاغيثته في شدائده ولاخذن بيده يوم نوائبه .

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) سورة الفاتحة ٤.

(٣) سورة الفاتحة ٥.

(٤) سورة الفاتحة ٥.

فإذا قال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) الى آخر السورة قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فقد استجبت لعبدي واعطيته ما أمل وآمنته مما منه وجل)^(٢).

مفهوم الجمع بين الآيتين

ومن مفاهيم الجمع بين مضامين المدح في الآيتين أمور :
الأول : الإنذار والوعيد للكافرين الجاحدين بربوبية الله المطلقة ،
والذين يتخلفون عن أداء الفرائض العبادية .
الثاني : بعث الحسرة في نفوس الذين كفروا بجرمانهم أنفسهم من
الثواب العظيم على الإيمان ، والإمتناع باختيارهم الكفر لا ينافي وجوب
إختيار الإيمان .

الثالث : بيان بغض الله عز وجل للذين كفروا ، قال تعالى ﴿أَفَنْزِلْ أُنزِلَ
رِضْوَانُ اللَّهِ كَنْزٌ بَاءً سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

الرابع : ترغيب الناس بالهدى والإيمان .
الخامس : تثبيت المسلمين في مقامات الإيمان ومسالك الصلاح .
السادس : التذكير العام بعالم الجزاء وفوز المؤمنين بالثواب والأجر من
عند الله عز وجل .

السابع : ذكرت الآيتان العمل في سبيل الله والخشوع له ، وفيه تأديب
عام ، وزجر عن الإستكبار والجحود ، وسوء عاقبة الكافرين .
الثامن : لقد تضمنت آية السياق البشارة الصريحة للمؤمنين الذين عملوا
الصالحات واجتهدوا بالدعاء بالخلود في الجنة ، ومن خصائصها جريان الماء
من تحت قصورها .

(١) سورة الفاتحة ٦ .

(٢) عيون أخبار الرضا ٢/٢٩٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٢ .

وتضمنت آية البحث البشارة للمؤمنين من أهل الكتاب بالأجر عند الله ، وكل أجر من الله عز وجل عظيم وأكبر من أن يتصوره الناس ، وفيه بعث للندامة والأسى في قلوب الذين كفروا ، وهذه الندامة ليست مستقلة إذ تصاحبها الدعوة إلى الثواب ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(١).

التاسع : أختتمت آية البحث بقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ وفيه إنذار للذين كفروا بأن يأخذهم الله عز وجل بغتة ، قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾^(٢).

العاشر : قانون إستدامة الإيمان في الأرض ، ومن فضل الله عز وجل على الناس بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم جميعاً ، وسلامة القرآن وأحكام التنزيل من التحريف والزيادة والنقصان ، وبعث الحرص في نفوس المسلمين جيلاً بعد جيل على تعاهد هذه الأحكام ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَكِّي الدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٣) ، الجواب نعم.

الحادي عشر : هل تتضمن آية السياق إخبار الناس بترشح الأذى والقتال والقتل عن دخول الإسلام لقوله تعالى فيها ﴿ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾^(٤) الجواب لا ، إنما ورد ذكر هذه الأحوال لبيان الثواب العظيم الذي يفوز به المؤمنون .

(١) سورة الزمر ٥٣.

(٢) سورة الأنعام ٤٤.

(٣) سورة الحجر ٩.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

ولالإخبار عما لاقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه من الأذى الشديد .

لذا أخبرت الآية قبل السابقة بأن متاع الذين كفروا في الدنيا قليل ، و ينتظرهم الخلود في الجحيم .

ومن الآيات إنعدام البرزخ بين الجنة والنار يوم القيامة ، فالإنسان إما في الجنة وإما إلى النار ، وكثيرة هي الآيات التي تبين هذا التضاد ، فتأتي آية بالبطارة بالجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأخرى بالوعيد بالنار للذين كفروا ، وجاءت آية جامعة للأمرين بقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١).

أسباب النزول

ورد عن جابر (النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : اخرجوا فصلوا على أخ لكم ، فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال : هذا النجاشي أصحمة فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلي على علع نصراني لم نره قط . فأنزل الله ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ (٢) الآية (٣).

و(عن أنس قال : لما مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلوا عليه ، قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي ، فأنزل الله ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ (٤) الآية (٥).

(١) سورة النساء ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) الدر المنثور ٢٤/٣.

(٤) سورة آل عمران ١٩٨.

(٥) الدر المنثور ٢٤/٣.

أي أن المنافقين يسلمون بعلم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب في خصوص موت النجاشي وأن ما ينطق به من الوحي ، ولكنهم تساءلوا عن الصلاة على الميت غير المسلم .

وقول مشهور بان هذه الآية تخص الذين دخلوا الإسلام ممن كانوا من أهل الكتاب وعن (مجاهد : نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب . وقيل في أربعين من أهل نجران ، واثنين وثلاثين من الحبشة ، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا)^(١) .

ومجاهد من التابعين ، والحديثان أعلاه عن الصحابة ممن كان حاضراً مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات النجاشي .

وفي قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُولَؤُنَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢) وورد عن عطاء وقتادة أن الآية نزلت في النجاشي وذلك إنه توفي ، فأتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أحاكم النجاشي قد مات فصلّوا عليه . فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نُصَلِّي على رجل مات وهو يُصَلِّي إلى غير قبلتنا .

وكان النجاشي يُصَلِّي إلى بيت المقدس حتى مات . فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣) .

والآية خطاب وأمر للمسلمين في حال الحضر والسفر ، ومنع الحرج في الدين ، وليبان أن الله ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٤) .

ولما أشد أذى قريش على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه اقترح على طائفة من أصحابه الهجرة إلى الحبشة مع بيان إختياره للحبشة إذ قال لهم (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ

(١) الكشاف ١/٣٦٧ .

(٢) سورة البقرة ١١٥ .

(٣) الكشاف والبيان للثعلبي ١/٢٢١ .

(٤) سورة الطلاق ١٢ .

عندهُ أحدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا^(١) فخرجوا من مكة في شهر رجب من السنة الخامسة للهجرة في السنة (٦١٥) م وكانت أول هجرة وسفارة جماعية في الإسلام ، وخرجوا من مكة على دفعات .

فأوى النجاشي هؤلاء الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة فراراً من أذى قريش ، وعددهم ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة ، وقد أظهر النجاشي تصديقه برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وامتنع عن تسليم المسلمين المهاجرين جعفر الطيار وإخوانه إلى وفد قريش الذي قدم إلى الحبشة يطلب تسليمهم لقريش ، بعد أن استمع إلى تلاوة القرآن .

وورد (عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن أخا لكم قد مات - يعني النجاشي - فصلوا عليه قالوا : نصلي على رجل ليس بمسلم ، فأنزل الله ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ...﴾^(٢) .

قالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾^(٣) الآية^(٤) .

وهل القائلون هنا هم المنافقون الوارد ذكرهم في حديث جابر بن عبد الله أعلاه ، الجواب لا ، لذا ورد سؤالهم للتقرير ، وليس للإنكار . وعن الحسن البصري (في الآية قال : هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم)^(٥) .

والمختار أن المراد طائفة من اليهود والنصارى ، وهم على دينهم .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٣٢١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

(٤) الدر المنثور ١/٢٠٨ .

(٥) الدر المنثور ٣/٢٤ .

وتبين آية البحث أن قوماً من أهل الكتاب يؤمنون بنزول القرآن من عند الله ، ولا يختص موضوع الآية بأسباب النزول .
فالمدار على عموم المعنى وبقاء مضامين الآية إلى يوم القيامة ، وتجدد الشواهد على صدقها مع تقادم الأيام والسنين ، إذ ترى في كل زمان فريقاً من اليهود والنصارى يؤمنون بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

إعجاز الآية الذاتي

ابتدأت آية البحث بالحرف الواو ، وهو للإستئناف ، من غير أن يمنع تضمنه معنى العطف .
والعطف بلحاظ إتحاد موضوع الوعد على الإيمان والثواب من عند الله عز وجل .
أما الإستئناف فان موضوع آية البحث يختص بذكر إيمان طائفة من أهل الكتاب .

وتتضمن آية البحث الإخبار من عند الله عز وجل عن علم الله عز وجل بما في القلوب ، وأنه سبحانه يعلم المؤمن من الكافر ، ودرجة إيمان كل واحد ، لذا قال تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

ومن إعجاز آية البحث بيان موضوعية الإيمان في حياة الناس ، ولزوم عناية المسلمين بالمؤمنين بالله من أهل المذاهب والملل ، إذ تتقوم الحياة الدنيا بهذا الإيمان ، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) .
نعم النسبة بيت العبادة والإيمان عموم وخصوص مطلق ، فالعبادة أعم منها العقائدية والفعلية والقولية والمالية .

(١) سورة الحجرات ١٤ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

وتبين آية البحث موضوعية الإيمان بنزول القرآن والتوراة والإنجيل مجتمعة ومتفرقة ، وعدم جواز الإيمان ببعضها دون بعضها الآخر ، مع لزوم الخشية والخشوع لله عز وجل .

وهل يمكن القول أن الحياة الدنيا دار الخشوع لله تعالى ، الجواب نعم ، وقد ورد لفظ (خاشعين) أربع مرات في القرآن في الثناء على الأنبياء السابقين ، وعلى طائفة من أهل الكتاب وعلى المسلمين مع الثناء على المسلمات ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

وورد مرة واحدة في ذم الذين كفروا وسوء عاقبتهم يوم القيامة ، قال تعالى ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيِّ﴾^(٢).

ومن إعجاز آية البحث تقديم التصديق والإيمان بنزول القرآن على الإيمان بالكتب السماوية السابقة مع أنه متأخر عنها زماناً لبيان موضوعية التصديق بنزوله من عند الله في صدق الإيمان .

وتدعو آية البحث إلى الثبات على الإيمان ، وعدم الإغترار بالدنيا وزينتها ، لذا ورد قبل ثلاث آيات قوله تعالى ﴿لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٢) سورة الشورى ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٦ .

(٤) أنظر الجزء الخامس والستين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه

وتبين آية البحث عدم اختصاص الأجر من الله بأهل ملة واحدة من بين الناس ، فهو قريب من الناس جميعاً بشرط إيمانهم بالله عز وجل ، وبرسالة الأنبياء والكتب السماوية النازلة من عند الله إذ يدل قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(١) ، على تصديق هذه الطائفة من أهل الكتاب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه حجة على غيرهم من أهل الكتاب لأن إيمانهم هذا وفق الأدلة المتوارثة عندهم لقوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ .
وتقدير الآية : وما أنزل إليهم ومنه البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن .

ومن معاني هذا الجمع بالإيمان بالتنزيل المتقدم والمتأخر بشارات الأنبياء السابقين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ورد في إخبار الرسول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢) .

ويمكن تسمية آية البحث آية ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وقد ورد هذا اللفظ مرتين في القرآن ، إذ ورد في قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٣) .

الآية الكريمة .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة الصف ٦ .

(٣) سورة النساء ١٥٩ .

ولم يرد لفظ (لايشترون) في القرآن إلا في آية البحث ، وكذلك قوله ﴿خَاشِعِينَ

لِلَّهِ﴾ .

إعجاز الآية الغيري

من خصائص الآية القرآنية تجلي مصاديقها بالواقع اليومي للناس ، ففي كل زمان تجد شواهد على صدق نزول آيات القرآن ، وتصف هذه الشواهد بالوضوح لتكون بياناً عملياً لنزول آيات القرآن ، وبخصوص قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ...﴾^(١) ، تجد فريقاً من النصراري ومن اليهود يؤمنون بنزول القرآن من عند الله ، ويتدارسون آياته ، ويسعون في إيجاد وجوه الإلتقاء والتشابه الإعجازي بين آيات القرآن وبين التوراة والإنجيل ، وقد ورد في التنزيل قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢) .

ولم يرد لفظ ﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ﴾ ﴿قَسِيصِينَ﴾ ﴿رُهْبَانًا﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

وتبين آية البحث تقسيم الناس بلحاظ الملة والاعتقاد إلى أقسام :
الأول : المسلمون والمسلمات الذين يتوجه إليهم الخطاب في آية البحث بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(٣) .

الثاني : أهل الكتاب أي الذين يتبعون الرسل الذين نزلت عليهم الكتب السماوية ، وهم اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس والأمم التي تتبع أنبياء سابقين .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة المائدة ٨٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٨ .

الثالث : الكفار وعبداء الأوثان والذين لا يقرون بالربوبية لله عز وجل .
وتقسم آية البحث أهل الكتاب إلى طائفتين :
الأولى : الذي يؤمنون بالله والأنبياء جميعاً ، والكتب السماوية مطلقاً ،
وهم الذين ذكرتهم آية البحث بالثناء ، وهل هذا الإيمان مقدمة لدخول
الإسلام ، الجواب نعم .

الثانية : الذين تخلفوا عن الإيمان بالله والكتب السماوية التي أنزلها الله .

من إعجاز آية البحث

من إعجازها أمور :

الأول : حض الفريق المؤمن من أهل الكتاب على الثبات على الإيمان ،
وعدم الإنصات لأهل الريب والشك ، قال تعالى ﴿لَنْ لَمْ يَتَّبِعِ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا
قَلِيلًا﴾ (١) .

الثاني : الإخبار عن علم من علوم الغيب بتقسيم أهل الكتاب وفق
الإعتقاد وما يضمرونه في قلوبهم .

الثالث : البشارة للمسلمين بوجود أمة من أهل الكتاب يؤمنون بالله
ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : ترغيب عموم أهل الكتاب بالإيمان والتصديق برسالة النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فان قلت قد بين كثرة الفاسقين قوله تعالى ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢) ، والجواب هذه الكثرة من
الكلبي المشكك ، ومن خصائص آيات القرآن رميها بالتناقص لأدنى
مصاديق الكثرة .

(١) سورة الأحزاب ٦٠ .

(٢) سورة آل عمران ١١٠ .

ذوات دخلوا الإسلام

لقد وردت أسماء ذوات دخلوا الإسلام بعد أن كانوا من أهل الكتاب وصاروا من الصحابة منهم عدي بن حاتم ، مخيريق ، بشير بن معاوية (وكان نصرانياً فأسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران فوفد عليه منهم وفد ثم رجعوا .

فبينما الأسقف يقرأ كتابه إذ عثرت دابته ، فذكر أخ له يقال له بشير بن معاوية أبو علقمة محمداً صلى الله عليه وسلم بسوء فزبره الأسقف وقال: لقد ذكرت نبياً مرسلأ فقال له بشير: لا جرم والله لا أحل عنها حتى ألحق به ثم ضرب وجه دابته نحو المدينة وهو يقول:

إليك تعدو قلقاً وضيئها ... مخالفاً دين النصراني دينها

فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد^(١).

والجارود بن المعل العبدي (من بني جذيمة وكان سيداً في بني عبد القيس رئيساً وقال ابن إسحاق قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في سنة عشر الجارود ابن عمرو بن حنش بن المعلى أخو عبد القيس في وفد عبد القيس وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه)^(٢).

(قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع فأسلم وكان قدومه مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد القيس ومن قوله لما حسن إسلامه:

شهدت بأن الله حق وسأحت ... بنات فؤادي بالشهادة والنهض

فأبلغ رسول الله عني رسالة ... بأني حنيف حيث كنت من الأرض

ثم إن الجارود سكن البصرة وقتل بأرض فارس.

وقيل إنه قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل إن عثمان بن أبي العاصي بعث الجارود في بعث نحو ساحل فارس فقتل بموضع يعرف بعقبة

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١/١٠٧ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٧٨ .

الجارود وذلك سنة إحدى وعشرين وقد كان سكن البحرين ولكنه يعد في البصريين.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث منها : ضالة المؤمن حرق النار^(١).

وبالإسناد (عن الجارود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضالة المسلم حرق النار فلا تقربنها ثلاثا)^(٢).

والمراد من الحديث أن الذي يستحوذ على ضالة المؤمن من حيوان أو متاع من دون تعريفها تكون عاقبته النار.

ومنهم الصحابي عبد الله بن سلام ، وعن (أنس قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في أرض يخترق ، فأتى صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . ما أول اشراط الساعة ، وما أول طعام أهل الجنة ، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال : أخبرني جبريل بهن آنفاً .

قال : جبريل؟ قال : نعم . قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقرأ هذه الآية ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣).

قال : أما أول اشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب ، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد حوت .

وأما ما ينزع الولد إلى أبيه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله^(٤).

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٧٨/١ .

(٢) النسائي / السنن الكبرى ٤١٤/٣ .

(٣) سورة البقرة ٩٧ .

(٤) الدر المنثور ١٦٩/١ .

وقد يأتي خبر يشمل أسماء صحابة أسلموا في حديث واحد مع أسباب نزول آية قرآنية ، كما ورد عن عبد الله بن عباس (قال لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيه وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام .

قالت أحبار اليهود ما أتى محمداً إلا شرارنا فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِئَةٌ﴾^(١) الآية إلى قوله تعالى ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) .
وعن عبد الله بن عباس قال (نزلت هذه الآية ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣) في عبد الله بن سلام، وأسد وأسيد ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة بن أخيه، ويامين بن يامين، وهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب)^(٤) .
(وجريج الإسرائيلي: كان يهودياً فأسلم)^(٥) .

وفي أسباب نزول آية البحث وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٦) نزلت في مؤمني أهل الكتاب ، وقيل في أربعين من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام)^(٧) .

(١) سورة آل عمران ١١٣ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣١/١ .

(٣) سورة النساء ١٣٦ .

(٤) أسد الغابة ٤٦٧/١ .

(٥) الإصابة في معرفة الصحابة ١٥٦/١ .

(٦) سورة القصص ٥٢ .

(٧) تفسير البيضاوي ٤/٤٥٧ .

ذم الذين كفروا

صحيح أن آية البحث لم تذكر الذين كفروا بالذات ، ولكنه المستقراً من مضامينها ، ومن آيات القرآن الأخرى ، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾^(١).

وتبين وتفسر الآية أعلاه مضامين آية البحث وقوله تعالى ﴿ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾^(٢) أي من العرب من قريش وغيرهم ممن لم يدخل الإسلام .

ولما أنزل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ حم ﴾ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿^(٣) إلى قوله ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ قرأها النبي عليه السلام في المسجد الحرام والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته . فلما فطن النبي (عليه السلام) لإستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية ، فانطلق الوليد حذاء مجلس قومه بني مخزوم فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يُعلو . ثم انصرف إلى منزله .

فقال قريش : صبا والله الوليد والله ليصبأً قريش كلهم وكان يقال للوليد : ريحانة قريش .

فقال : لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزيناً ، فقال : له الوليد مالي أراك حزيناً يا بن أخي .

(١) سورة العنكبوت ٤٧.

(٢) سورة العنكبوت ٤٧.

(٣) سورة غافر ١-٢.

قال : وما ينعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك (تؤمن) بكلام محمد وتدجل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم .

فغضب الوليد وقال : ألم تعلم قريش أنني أكثرهم مالا وولداً وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل .

ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه ، فقال لهم : تزعمون أن محمداً مجنوناً فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا : اللهم لا ،

قال : تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط ؟ قالوا : اللهم لا ،

قال : تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا : اللهم لا . قال : تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ، قالوا : لا .

وكان رسول الله عليه السلام يسمّى : الأمين قبل النبوة من صدقه . فقالت : قريش : فما هو .

فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال : ما هو إلا ساحراً ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر^(١) .

والوليد بن المغيرة المخزومي هو والد خالد بن الوليد ، وعم أبي جهل عمرو بن هشام ، ونزلت آيات قرآنية في ذم الوليد بن المغيرة وهو من المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة أيام موسم الحج يصدون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى

الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٢٠/١٣ .

(٢) سورة الحجر ٩٠ .

وورد في ذمهم أسمائهم (عن ابن عباس من بنى عبد شمس ثلاثة نفر حنظلة بن ابي سفيان وعتبة، وشيبة ، ابنا ربيعة بن عبد شمس .
ومن بنى مخزوم سبعة نفر: أبو جهل، والعاص، وابو قيس ابن الوليد
وقيس بن الفاكه، وزهير بن ابي امية والاسود بن عبد الاسد، وصيفى بن
السائب .

ومن بنى عبد الدار واحد وهو النضر بن الحارث بن كلدة ومن بنى اسد
بن عبد العزى اثنان أبو البختری بن هاشم وزمعة بن الاسود ومن بنى سهم
اثنان منبه ونيه ابنا الحجاج ومن بنى جمح اثنان: امية بن خلف، واوس بن
معير اخو ابي محذورة وهما من انفس بنى جمح)^(١).
مات الوليد في مكة كافراً في السنة الأولى لهجرة النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم .

الرفق بأهل الكتاب

ومن إعجاز آية البحث الغيري دعوة المسلمين للرفق بأهل الكتاب ،
ومنه جدالهم بالأحسن ، وصيرورتهم في ذمة وحفظ الإسلام ، لذا يسمى
اليهود والنصارى ونحوهم ممن يقيم في دار الإسلام بأنهم أهل الذمة ، أي في
ذمة الله ورسوله ، وفي عهد وأمان المسلمين لا يجوز إيذاؤهم والتعدي
عليهم في أشخاصهم وأموالهم وبيعتهم وكنائسهم ، ويقتون على عقيدتهم ،
ويدفعون مقابل حفظهم وذمتهم والدفاع عنهم الجزية السنوية على الرجال
البالغين منهم .

وفي الآية ترغيب للناس بالأجر والثواب الذي عند الله وهذا الأجر
دنيوي وأخروي ، ويأتي على الإيمان والصلاح ، وآية البحث تأديب
للمسلمين ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

(١) الخبر ١/١٦٠ .

(٢) سورة القلم ٤ .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .

وقال : أَدَبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي) (١).

ومن إعجاز آية البحث دعوة الذين يؤمنون بالتنزيل وبرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب الثبات على هذا الإيمان .

والترغيب بالحجة والبرهان لعامة أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالتصديق بنزول القرآن من عند الله ، وأنه كلام الله ، وظاهر آية البحث انتفاء التضاد بين هذا التصديق وبين بقائهم على ملتهم ودينهم ، لذا فرضت عليهم الجزية لحمايتهم وأنهم في ذمة الله ورسوله ، وفي حماية أحكام الإسلام .

ومن إعجاز آية البحث بعث الود لأهل الكتاب في نفوس المسلمين ، وعدم النفرة منهم ، لذا ورد لزوم جدالهم بالأحسن ، كما في قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (٢).

وهل آية البحث من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، الجواب نعم ، لما فيها من الدعوة إلى اللطف بأهل الكتاب ، فان قلت إنما تضمنت آية البحث خصوص طائفة أهل الكتاب تزيد أو تنقص لموضوعية التبعض في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣).

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٢٢٢/١٢ .

(٢) سورة النحل ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

والجواب هذا صحيح ، وفيه حث للمسلمين لإتساع وكثرة الذين يؤمنون بنزول القرآن من أهل الكتاب ، ولأنه لا يعلم ما في قلوب العباد إلا الله عز وجل .

وتقسيم آية البحث أهل الكتاب إلى فريقين ، فريق يؤمن بالله ونزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتوراة على موسى عليه السلام ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى عليه السلام ، وفريق يتخلف عن الإيمان .

خصال حميدة

من خصائص القرآن أنه كتاب الوصف والإنصاف لأهل الإيمان ، وذكرت آية البحث خصالاً حميدة لطائفة من أهل الكتاب وهي :

الأولى : الإيمان بالله عز وجل ، ومن معاني قوله تعالى ﴿لَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ، التوحيد سرّاً وعلانية ، ونبذ الشرك ومفاهيم الضلالة .

الثانية : التصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي يدل عليه مفهوم قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ .

وهل تدل هذه الآية على إيمان هذه الطائفة من أهل الكتاب بنزول كل آية من القرآن من عند الله ، أم الإيمان الإجمالي بنزول القرآن ، المراد هو الأول ، ولا يضر بهذا المعنى نزول القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة .

وعن ابن عباس (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف : حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماء ، ومتشابه لا يعلمه إلا الله . ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب)^(١) .

وعن (وائلة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ،

وَأُنزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلْتِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنَ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ .^(١)

فصحيح أن تسمية أهل الكتاب تشير إلى أتباعهم للتوراة والإنجيل إلا أن آية البحث تتضمن الإخبار عن إيمانهم بنزول القرآن من عند الله عز وجل ، ومن مفهوم الموافقة في المقام التصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل ، لذا تضمن أول الآية التبويض في قوله تعالى ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ .

الثالثة : بيان قانون ترشح الخشوع عن الإيمان بالله والتنزيل .

وقانون الثناء على الخاشعين لله سواء في صلاتهم مطلقاً ، والمراد في آية البحث الإطلاق في الجملة ، سواء في القول أو العمل ، فلا ينتفع أهل الريب من هذه الطائفة من أهل الكتاب ، لأنها تمتنع عن التحريف على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن إيدائه والمسلمين لما تتصف به من الخشوع لله ، وليبان قانون إنعكاس الخشوع على عمل الجوارح .

الرابعة : تعاهد آيات وشعائر الله ، وعدم التفريط بها بسبب عرض وزينة الدنيا ، والنفع عند المشركين ، فلا ينصرونهم في حربهم على الإسلام والتنزيل .

وهل عدم بيع آيات الله لقاء عرض الدنيا وإغواء الشيطان من مصاديق قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾^(٢) الجواب صحيح أن عدم البيع أعلاه أمر وجودي ، وفيه الثواب بدليل مدح القرآن لهذه الخصلة ، وإن صدرت من غير المسلمين إلا أن تعظيم شعائر الله مرتبة أسمى مرتبة ، وفيها عمل من سنن التقوى ، وبذل للجهد والمال قربة إلى الله تعالى ، وقد ورد لفظ ﴿مَنْ يُعْظَمْ﴾ مرتين في آيتين متجاورتين من سورة الحج هما قوله

(١) النكت والعيون ١/٣٠١س.

(٢) سورة الحج ٣٢.

تعالى ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (١).

الخامسة : يدل قوله تعالى ﴿ لَا يَشْتَرُونَ ﴾ بآياتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿ (٢) نوع فقاهاة في الدين والتعاون في مرضاة الله ، ومعرفة الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، وقد ذم الله عز وجل الذين فرطوا بالآيات من أهل الكتاب ، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (٣) .

وإن قلت قد وردت الآية أعلاه على نحو العموم ، بينما جاءت آية البحث لتزكية طائفة منهم ، والجواب آية البحث تخصيص للعموم الوارد في الآية أعلاه ، وتقدير الآية أعلاه (فنبذ كثير منهم الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا).

ليكون من معاني الجمع بين آيات القرآن ومعاني التخصيص فيه الضبط والدقة والإنصاف والفصل والتمييز .

الآية سلاح

من فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين وجود أمة من أهل الكتاب يصدقون برسالته ونزول القرآن ، وفيه حجة على قريش وحلفائهم من الكفار ، وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الحج ٣٠-٣٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران ١٨٧.

وآله وسلم وأصحابه في دفاعهم ضد غزو الكفار لهم في معركة بدر ، وأحد ، والخندق .

فهذه الطائفة من أهل الكتاب التي تذكرها آية البحث لم تقابل مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم نصره باعتقادهم السليم ، وإجهارهم بصدق نزول القرآن .

لذا دخلت طائفة منهم الإسلام ، منهم عبد الله بن سلام الذي كان حبراً من أحبار اليهود من بني قينقاع ، فأمن برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونطق الشهادتين ، وكان اسمه قبل الإسلام (حصين بن سلام) والخبر هو رئيس الكهنة من أهل الكتاب .

ولكن هذا لا يعني نزول آية البحث بخصوصهم كما ذهب إليه مجاهد^(١) فهم مسلمون ، إنما يختص موضوع الآية بطائفة من النصارى واليهود صدقوا بنزول القرآن مع بقائهم على ملتهم .

وفي أسباب النزول روى الصحابي (أبو قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : **إِنْ أَخَاكُمْ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ** ، قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم ، قال فنزلت **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾**^(٢) قالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة فأنزل الله تعالى **﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾**^(٣)^(٤) وفيه بيان للأخوة بين المسلمين .

(١) النكت والعيون ٢٧١/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ .

(٤) النكت والعيون ٨٥/١ .

مفهوم الآية

لقد ابتدأت آية البحث بالحرف الواو ، ثم (إن) التي تفيد التوكيد ، ثم حرف الجر (وأن من) لبيان التبويض ، والتفصيل والفصل بين المؤمنين وغيرهم من أهل الكتاب ومن غير تعيين لطائفة مخصوصة لأي من الفريقين . ومن دلائل هذا الإجمال دعوة المسلمين للرفق بأهل الكتاب جميعاً من اليهود والنصارى إلا من تثبتت عداوته ، وهل هذا الإجمال من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) ، الجواب نعم .

وقد ورد قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٢) ، لبيان أن الذين ذكرتهم آية البحث من أهل الكتاب ليسوا من هؤلاء لورود آية البحث في مدحهم والثناء عليهم ، بينما وردت الآية أعلاه بلغة الذم .

وعن (ابن عباس في قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾^(٣) قال : الطاغوت رجل من اليهود كان يقال له كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا : بل نحاكمهم إلى كعب . فذلك قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة النساء ٦٠ .

(٣) سورة النساء ٦٠ .

(٤) الدر المنثور ٣/١٥٨ .

من معاني الآية

من معاني آية البحث وجوه :

الأول : الإقرار بالنبوات السابقة .

الثاني : شهادة المسلمين بنزول كتب سماوية سابقة لنزول القرآن ،
ورود ﴿مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول ، كما تؤكد آيات
القرآن الأخرى وتاريخ النبوة بأن آخر نبي قبل النبي محمد صلى الله عليه
وآله وسلم هو عيسى عليه السلام ، وبينه وبين النبي محمد صلى الله عليه
وآله وسلم فترة من الرسل نحو ستمائة سنة .

الثالث : وجود نصير للقرآن من الأمم السابقة ، وهم طائفة من أهل
الكتاب .

الرابع : دلالة آية البحث على إخبار الأنبياء السابقين عن نزول القرآن ،
ودعوة الأمم للتصديق بنزوله .

الخامس : دعوة المسلمين وأهل الكتاب لعدم التفريط بآيات التنزيل ،
وفي الآية تعريض بالذين حرفوا الكتاب السماوي السابق ، والتمن القليل
هو الدنيا وزينتها ، وعدم الصبر والتحمل في مرضاة الله .

ومن مفاهيم آية البحث بعث الحسرة في نفوس الذين كفروا والذين
يستكبرون عن طاعة الله عز وجل بحرمانهم أنفسهم من الأجر والثواب يوم
القيامة

ومنها مجئ الثواب لأهل الإيمان وهم في الدنيا والله على كل شئ
قدير .

بحث أصولي

المفهوم اسم مفعول من فهم ، وهو المفعول المعلوم ، أما في الإصطلاح
فهو دلالة اللفظ في غير معناه ، وهو من وجوه الدلالة الإلتزامية ، ومخالف
للمنطوق .

وأ طرح مسألة مستحدثة في علم الأصول وهي أيهما اعم في معناه المنطوق أم المفهوم ، الجواب هو الثاني ، سواء في الجملة الخبرية أو الإنشائية ، فقول الأب لابنه عند سماع أذان الظهر (صل) .

فهذا هو المنطوق ، أما المفهوم فهو على وجوه :
الأول : وجوب الصلاة .

الثاني : دخل وقت صلاة فريضة الظهر .

الثالث : توضأ لصلاة الظهر .

الرابع : أداء الصلاة في أول وقتها .

الخامس : لا تترك الصلاة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١) .

فالمفهوم لم يرد في اللفظ ولكنه مستقرأ منه اثباتاً ونفيًا ، أما المنطوق فهو المعنى المنصوص الذي دل عليه اللفظ ومادته وهيئته على نحو الدلالة المطابقة أو التضمنية .

وينقسم المفهوم إلى قسمين :

الأول : مفهوم الموافقة .

الثاني : مفهوم المخالفة .

ويسمى مفهوم الموافقة فحوى الخطاب ، ولحن الخطاب لإرادة المفهوم المسكوت عنه مما هو أولى بالحكم من المنطوق به ، ومن أمثله ﴿فَلَا تَقْلُ لُهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لُهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٢) إذ تدل هذه الآية على حرمة التأفف والنهر في حق الوالدين من باب الأولوية ، وعلّة الحكم هي إيذاؤهما ، وأنه خلاف بر الوالدين والإحسان إليهما

(١) سورة النساء ١٠٦ .

(٢) سورة الإسراء ٢٣ .

ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(١)، فانها تدل في منطوقها على حرمة التعدي على أموال اليتامى بغير حق ، أما مفهومها الموافق فهو النهي عن إتلاف مال اليتيم والقاصرين والمستضعفين ، وضياح أموالهم .
ولأن وجوه المفهوم أعم من منطوق اللفظ ، مما سكت عنه ، فمنها ما يكون قطعياً ، ومنها ما يكون ظنياً ، ومن المفهوم القطعي في آية البحث اقرار طائفة من أهل الكتاب بالمعاد ، وأن الناس يعثون يوم القيامة للوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب والجزاء ، ومنه تخلف طائفة من أهل الكتاب عن الإيمان بنزول القرآن .

ترى ما هو مفهوم الموافقة في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ...﴾^(٢) ، الجواب من وجوه منها :
الأول : وجوب الإيمان بالله خالقاً ورباً ومالكاً للسموات والأرض ، وفي التنزيل ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِيهَا وَمَنَاكِبُهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٣) ولم يرد لفظ ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ إلا في الآية أعلاه .

الثاني : الثواب والأجر العظيم لمن يؤمن بالله .

الثالث : الإيمان بالله موافق لإدراك العقل ، وحاجة للإنسان .

الرابع : الإيمان بالله جامع بين المسلمين وبين أهل الكتاب .

فلا تعني آية البحث إنحصار الإيمان بالله بالمسلمين وطائفة من أهل الكتاب ، إنما الإيمان بالله جامع مشترك ، والإنحصار بخصوص نزول القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، والخشوع لله عز وجل ، وعدم التفريط بآيات الله .

(١) سورة النساء ١٠.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة الملك ١٥.

ويمتاز المسلمون بالعمل بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى في الثناء على النبي محمد ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

إفاضات الآية

من تقوى الله الإيمان بالله واليوم الآخر ، ومن معاني قوله تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾^(٢) ، أن الله عز وجل أهل أن يتقى عقابه ويحذر عقابه .

وسئل الإمام علي عليه السلام عن التقوى فقال (هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل)^(٣) . فمن إفاضات آية البحث البعث على التقوى والثناء العاجل في الدنيا على الذين يؤمنون بالله إلهاً ورباً وخالقاً ولا يشركون به شيئاً ، وأنه تعالى جعل وسائط بينه وبين الناس من بينهم يبلغون عنه أحكام الشريعة وهم الأنبياء ، وعضدهم بالمعجزة الخارقة للعادة التي يدرك معها الناس على اختلاف مشاربهم وتباين مداركهم أنها من عند الله ، وأن الناس يعجزون مجتمعين ومتفرقين عن الإتيان بمثلها .

وبعد أن أختتمت الآية السابقة بالبشارة والوعد الكريم بقوله تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٤) أخبرت آية البحث عن مصاديق وشواهد على الإيمان الصادق ، وأنه شعبة من البر وطاعة الله عز وجل تحلت بها طائفة من أهل الكتاب ، ولم تختص هذه التحلية بالتصديق بنزول القرآن إنما تبدأ بالإيمان بالله عز وجل الذي هو أصل وسمام الإيمان ، فلا يقبل إيمان بالتنزيل من دون الإيمان بالله ، لبيان وجوه :

الأول : آية ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَأْدِيبَ لِلنَّاسِ .

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة المدثر ٥٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٢١/١.

(٤) سورة آل عمران ١٩٨ .

- الثاني : قانون إعلان آية البحث عن الإيمان بالله إصلاح للنفوس .
- الثالث : قانون العمل هباء من دون الإيمان بالله .
- الرابع : قانون الإيمان بنزول القرآن فرع الإيمان بالله عز وجل والتنزه عن الشرك .
- الخامس : قانون الإيمان بالله باب لقبول الدعاء .
- ومن إفاضات آية البحث بعثها الطمأنينة في نفوس المسلمين بوجود أمة من أهل الكتاب تشاركهم الإيمان بالله ونزول القرآن والكتب السماوية من عنده تعالى ، ومنها الثناء على الخاشعين لله في أقوالهم وأفعالهم ، والترغيب بالخشوع لله عز وجل الذي هو واقية من الغرور والتعدي على الغير والظلم ، وقد ورد الخطاب الإلهي إلى المسلمين ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) .

- ليبان التضاد بين الخشوع لله عز وجل وبين التعدي ، وفيه وجوه :
- الأول : قانون الخشوع لله واقية من الظلم والتعدي .
- الثاني : قانون الخشوع لله أمن في النشاطين .
- الثالث : قانون الخشوع لله عز وجل شعبة من الإيمان .
- الرابع : قانون الخشوع لله عز وجل حاجة للإنسان .
- الخامس : قانون الخشوع لله واقية من الشرك ومفاهيم الضلالة .
- السادس : قانون الخشوع لله خضوع تام له سبحانه ، ولين للقلب وسكون للجوارح .
- السابع : قانون الخشوع لله سبب مستقل للأجر والثواب ، لذا ذكره الله عز وجل في آية البحث بعد الإيمان به والإيمان بالتنزيل .

(١) سورة المائدة ٨٧.

الآية لطف

تبين آية البحث علم الله عز وجل بما في القلوب ، وأن طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بالله عز وجل وحده لا يشركون به ، ولا يتخذون له ابناً فلم يقولوا بأن عزيزاً ابن الله أو عيسى ابن الله .

فمن معاني شهادة الله عز وجل لطائفة من العباد بالإيمان به التسليم بالتوحيد ، ويدل الإيمان بنزول القرآن والكتب السماوية السابقة على الإقرار باليوم الآخر ، وبعث الناس من القبور .

ليكون من معاني آية البحث بعث الطمأنينة في نفوس المسلمين ودعوتهم لإجتنب قتال أهل الكتاب لقوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١).

ومن اللطف بالمسلمين في آية البحث نزولها خطاباً لهم ونسبة نزول القرآن عليهم مع أنه نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الخصوص ، وهناك مسائل :

الأولى : هل يحتمل الخطاب في الآية ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ إرادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحده .

الثانية : هل المقصود إرادة أهل البيت والصحابة من المهاجرين والأنصار خاصة وأن آية البحث مدنية نزلت في المدينة بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ووجود المهاجرين والأنصار فيها أم المراد أجيال المسلمين المتعاقبة .

الثالثة : لماذا تقديم ما أنزل على المسلمين .

أما المسألة الأولى فلا يختص ضمير الجمع في ﴿إِلَيْكُمْ﴾ بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن كانت آيات وسور القرآن نزلت عليه على نحو التعيين لأصالة الجمع في ﴿إِلَيْكُمْ﴾ .

وقال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ...﴾^(١) فيدل الجمع بين ضمير الجمع في ﴿إِلَيْكُمْ﴾ والمفرد الخاص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفق السبر والتقسيم على الفصل بين الأمرين .

وأما المسألة الثانية فالمختار أن المراد من الضمير ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ إرادة عموم المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة إكراماً لهم ، وبيانا لوظائفهم العقائدية في حفظ وتعاهد آيات القرآن .

ويدل عليه القياس من ذات الآية إذ تنسب نزول الكتب السماوية على أهل الكتاب الذين هم في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه خاتم النبيين ، والفترة بين عيسى عليه السلام وبينه نحو ستمائة سنة ، وليس من نبي فيها .

وفي أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام في المدينة قال في خطبته (الحمد لله أحمده وأستعينه واستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم.

وضلالة من الناس وإنقطاع من الزمان ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيداً .

وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وإن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذرکم الله من نفسه وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم ، وما كان من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويجذرکم الله نفسه والله روؤف بالعباد .

والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلق لذلك فإنه يقول ما يبذل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد ، واتقوا الله في عاجل أمرکم وأجله في السرّ والعلانية فإنه من يتق الله كفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً .

ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ، وان تقوى الله تقوى مقتته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه ، وأن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظّكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علّمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في سبيل الله حقّ جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأكثرُوا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، وذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم^(١) . وهل آية البحث لطف من الله بالذين وردت خصالهم في هذه الآية أم أنها لطف بالمسلمين والناس جميعاً ، المختار هو الثاني ، ويأتي البيان في الجزء التالي وهو الثالث والسبعون بعد المائتين في باب (نداء الإيمان لطف) .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٥٠/١٣ .

القرآن .. التنزيل الخالد

من فضل الله عز وجل نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه وجوه :

الأول : قانون تجدد معاني التنزيل عند كل جيل من المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة ، وقال تعالى في خطاب للمسلمين ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ أَوْ لِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

الثاني : قانون آيات القرآن غضة طرية بنزولها ومضامينها القدسية .

الثالث : تلاوة المسلمين للقرآن كل يوم وكأنه أنزل عليهم .

الرابع : النبي واسطة بين الله عز وجل والبشر ، وهو واسطة نزول الكتاب على المؤمنين ، وكان تبليغهم بالكتاب نزول عليهم .

الخامس : إخبار آية البحث عن صدق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في نبوته وقيامه بأداء الرسالة كاملة ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

ومن اللطف في آية البحث بشارة أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله والتنزيل بأن لهم أجراً عظيماً عند الله ، فقد انقطع نزول التوراة بمغادرة موسى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى .

وانقطع الإنجيل بصعود عيسى عليه السلام إلى السماء ، لينزل القرآن بعده بنحو ستمائة سنة وهو يبشر اليهود والنصارى بالأجر والثواب عند الله ولكن بقيود تضمنتها آية البحث منها التصديق بنزول القرآن .

وإلا إذا كانوا لا يؤمنون بالقرآن كيف يرجون الأجر الذي يصلهم من الله عز وجل في آية البحث وآيات أخرى .

(١) سورة الأعراف ٣ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

ومن اللطف الإلهي في آية البحث نعت اليهود والنصارى بأنهم أهل كتاب سماوي لبيان وجوه الإلتقاء بينهم وبين المسلمين ، والفصل بينهم وبين الكفار المشركين ، ولتنزيه المسلمين من التطرف والتكفير .

الآية تخفيف

توجه الخطاب في آية البحث إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والمسلمات ، وهل يختص هذا الخطاب بالصحابة ، بلحاظ أيام التنزيل وتصديق طائفة من اليهود والنصارى بنزول القرآن من عند الله ، الجواب لا .

فموضوع الآية متجدد في توجهه إلى أجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة ، لبيان أن آية البحث مدرسة تأديبية إصلاحية في كل زمان .

لقد نزلت آية البحث للتخفيف عن المسلمين بوجود أمة من أهل الكتاب تؤمن بالله وتؤمن بنزول القرآن من عند الله ، وفيه وجوه :

الأول : إيمان أهل الكتاب بنزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على الذين كفروا .

الثاني : لا يختص التعم بالحياة الدنيا وما فيها بالذين كفروا ، فهناك أمم من أهل الكتاب يتقلون في البلاد ، ويعملون بالتجارة جاء الإسلام ليحفظ لهم حقوقهم .

وهل تدل آية البحث على هذا الحفظ ، الجواب نعم ، ومن أسرارها ورودها بصيغة التبعيض بالتنكير وعدم الحصر بمذهب أو ملة مخصوصة من أهل الكتاب كالنصارى ، وإن جاءت آيات قرآنية أخرى تبين قرب النصارى من المسلمين ، ولكنه ليس من باب المطلق والمقيد .

الثالث : لما فضل الله عز وجل وقال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) ، نزلت آية البحث لتخبر عن قانون وجود أمة مؤمنة بالله والتنزيل في كل زمان .

فصحيح أن النبي محمداً بعث في مكة بين قوم مشركين إلا أنه هناك أمة من أهل الكتاب مؤمنة بالله وبالتوراة والإنجيل واليوم الآخر وتتطلع لتتجز البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا ما نزل القرآن آمنوا به .

وورد (في نبوة حثوق جاء الله من التين وظهر القدس على جبال فاران وامتلات الأرض من تميميد أحمد وملك يمينه رقاب الأمم وأنارت الأرض لنوره وحملت خيله في البحر قال ابن قتيبة^(١) وزاد فيه بعض اهل الكتاب وسينزع في قسيك إعرافا وتروي السهام بأمرك يا محمد ارتواء)^(٢). وقد تقدم حديث بحيرا الراهب مع أبي طالب (فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده)^(٣). وكذا وردت شهادات في إسلام سلمان الفارسي ، وبعض الصحابة ممن كانوا من أهل الكتاب .

الآية تعضيد

من إعجاز الآية القرآنية الغيري أنها تعضيد للمسلمين في أمور دينهم وديناهم ، وهي ضياء ينير دروب الحياة ، ويخفف الأعباء عن المسلم . ومن إعجاز القرآن وصفه للتوراة بأنها ضياء ، قال تعالى ﴿وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَمِّينَ﴾^(٤).

وكما أن التوراة ضياء فكذا فان القرآن ضياء ونور ، قال تعالى ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥).

(١) في الأصل ابن قتيبة .

(٢) ابن قيم الجوزية / هداية الحيارى / ٥٧/١ .

(٣) سيرة ابن إسحاق / ٥٣/١ .

(٤) سورة الأنبياء ٤٨ .

(٥) سورة التغابن ٨ .

وتعدد صفات الثناء على القرآن من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(١)، أي أن القرآن شهيد على كل كتاب قبله .

ولما تفضل الله عز وجل وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)، فانه أمداه بأسباب الهداية والرزق ، ورزقه العافية والسلامة من الأدران ليعبد الله تعالى ويشكره على النعم ، ومنها نزول آيات القرآن تعصيماً للإنسان في العبادات ومسالك الحياة والمعاملات ، من وجوه :

الأول : الآية القرآنية فيصّل بين الحلال والحرام ، والنور والظلمة .

الثاني : الآية القرآنية سبب النجاة في عالم البرزخ ويوم القيامة .

الثالث : إنها حرز من الضلالة وواقية من الإنسياق في الفتنة .

الرابع : قانون الآية القرآنية مادة للتحلي بالصبر .

وعن الإمام (الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع .

وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر ييليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فأعدوا الجهاز لبعث المجاز .

فقام المقداد بن الأسود فقال يا رسول الله : وما دار الهدنة .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : دار بلاغ وانقطاع فإذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع ، وما حل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة .

ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل ، وهو الفصل وليس بالهزل)^(٣).

(١) سورة المائدة ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) التفسير الصافي ١٧/١ .

وهل يختص تعضيد الآية القرآنية لخصوص المسلمين ، الجواب لا ، إذ ينتفع جميع الناس من آيات القرآن وأحكامها وسبل الرشد فيها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

مصاديق تعضيد الآية

من وجوه التعضيد في آية البحث أمور :

الأول : إخبار الآية عن إيمان طائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن تعضيد للمسلمين .

وهل يدل إيمانهم بنزول القرآن بقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾^(٢) ، على إقرار هذه الطائفة من أهل الكتاب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنه نبي من عند الله .

الجواب نعم لنزول القرآن عليه على نحو التعيين من بين الأولين والآخرين وللمعجزات الحسية التي جرت على يديه بفضل ولطف من عند الله عليه وعلى المسلمين والناس جميعاً .

الثاني : تعضيد أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله ، ولا يشركون به شيئاً وثباتهم على مبادئ التوحيد ، وعدم افتتانهم بعبادة الأوثان التي كان عليها الكثير من العرب آنذاك .

الثالث : دعوة أهل الكتاب الذين يؤمنون بنزول القرآن بتعاهد هذا الإيمان وعدم الإنصات للمنافقين وأهل الريب والحسد وإن كانوا ذوي قربى .

الرابع : تعضيد المسلمين بوجود أمة من أهل العلم من اليهود والنصارى تعلن تصديقها بنزول القرآن من عند الله سبحانه .

الخامس : آية البحث ترغيب للناس بدخول الإسلام لوجود المقتضي وفقد المانع .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

السادس : آية البحث دعوة لعموم أهل الكتاب للتصديق بنزول القرآن ودخول الإسلام ، إذ نزل القرآن بلغة إياك أعني واسمعي يا جارة ، ومن مفهوم الآية الذم والتوبيخ للذين لا يؤمنون بالله عز وجل ولا يصدقون بالتنزيل .

السابع : إيمان طائفة من أهل الكتاب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على إخوانهم وعلى الذين كفروا .

الثامن : إمتناع أهل الكتاب عن إعانة المشركين في حربهم وقصدتهم قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الآية بشارة

من خصائص خواتيم سورة آل عمران وآية البحث منها أنها ثناء وبشارة للمسلمين وبعث لهم للإرتقاء في سلم التقوى والإيمان ، وهل تضمنت آية البحث البشارة لهم ، أم أنها خاصة بطائفة منهم يؤمنون بالله والتنزيل .
الجواب هو الأول من جهات :

الأول : موضوع الآية هو الإيمان ويتعاهد المسلمون بالإيمان في الأرض ويحملون لواء التوحيد إلى يوم القيامة .

الثاني : توجه الخطاب في آية البحث للمسلمين والمسلمات بقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾^(١) .

والمراد نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويلحق به الحديث القدسي وعموم الوحي .

وفي هذه النسبة إكرام للمسلمين ، وترغيب لأهل الكتاب وغيرهم بدخول الإسلام ، فحالما ينطق الإنسان بالشهادتين ، ويؤدي الفرائض العبادية يشمله حكم نزول القرآن إليه .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

وهل في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ (١) ، دعوة سماوية للمسلمين لتعاهد آيات القرآن ، وضبط كلماتها ، والجهاد في حفظه في الصدور والتدوين ، الجواب نعم.

(و) عن أم الدرداء قالت : قلت لكعب : كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال : نجده موصوفاً فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعيناً عوراً ، ويسمع به آذاناً صماً ، ويقيم به السنة معوجة حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعين المظلوم ويمنعه من أن يستضعف) (٢).

وهل تتضمن آية البحث البشارة لأهل الكتاب ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٣) .
ومن إعجاز البشارة في القرآن بيان أسبابها وموضوعها ومستحقها ، وهو من مصاديق البيان العام في القرآن ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٤) .

ومن البشارة في آية البحث مشاركة طائفة من اليهود والنصارى المسلمين في الإيمان بالله ، والتصديق بنزول القرآن من عند الله .
وذكرت آية البحث خصوص نزول القرآن لبيان أنه معجزة عقلية يثبت بذاته الحجة في تنزيله ، وفي التنزيل ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٥) .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) الدر المنثور ٤/٣٤١ .

(٣) سورة هود ١١٣ .

(٤) سورة النحل ٨٩ .

(٥) سورة النساء ٨٢ .

وتضمنت خاتمة آية البحث البشارة لمن يؤمن بالله ونزول القرآن من عند الله ، فذكرت آية البحث تلك الطائفة من اليهود والنصارى التي أدركت أن القرآن معجزة بذاته بأن ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ، ولم تقل الآية (عند الله) لبيان أن الله عز وجل يباهي الملائكة بالمؤمنين من الناس .

الآية إنذار

لقد أكرم الله عز وجل الناس باختيار الأنبياء والرسل من بينهم ، وأنزل الكتب السماوية وجعل القرآن كتاباً جامعاً للأحكام الشرعية ، ومدرسة للصلاح في الأجيال المتعاقبة ، ومنه البشارة والإنذار في آيات القرآن ، وليس من حصر لموارد الإنذار في القرآن ، فتارة يأتي صريحاً كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزَافَةِ﴾^(١) ، وأخرى بالمعنى والمضمون ، أو يأتي بالمفهوم المخالف للمنطوق كما في آية البحث ، إذ أنها تتضمن البشارة لفريق من أهل الكتاب آمنوا بالله والتنزيل ، لتدل في مفهومها على الإنذار للذين تخلفوا منهم عن الإيمان .

وهذا الإنذار حاجة ، وهو سبب آخر للصلاح ، والإنزجار في آية البحث وجوه :

الأول : سوء عاقبة للذين لا يؤمنون بالله عز وجل رباً وخالقاً وإلهاً ومالكاً في الدنيا والآخرة ، ويتلو كل مسلم ومسلمة سبع عشرة مرة كل يوم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢) في الإقرار بعظيم ملك وسلطان الله عز وجل .

الثاني : الإلتساب للكتاب السماوي كالتوراة والإنجيل لا يعفي الإنسان من التصديق بنزول القرآن ، للدلالات الواضحة على نزوله ، والآيات الباهرة التي يتضمنها .

(١) سورة غافر ١٨ .

(٢) سورة الفاتحة ٤ .

الثالث : لزوم عدم التخلف عن قانون الملازمة بين التصديق بالتنزيل والخشوع لله عز وجل .

الرابع : الإنذار والوعيد لمن يفرط بآيات الله ، ويشترى بها ثمناً قليلاً من متاع الدنيا كالركون إلى الذين ظلموا .

الخامس : لقد رزق الله عز وجل الإنسان العقل ، ومن وظائفه الحرص على الفوز بالأجر من عند الله عز وجل .

السادس : تتضمن خاتمة آية البحث ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) البشارة والإنذار ، البشارة للمؤمنين ، والإنذار للكافرين ، وفي التنزيل ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾^(٢) .

وعن (جابر بن عبد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فتر الوحي عني فبينما انا امشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض .

فخشيت منه فرقا حتى هويت إلى الارض فجئت اهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني فانزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَبِآيَاتِكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٣) (٤) .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة الليل ١٤ .

(٣) سورة المدثر ١-٥ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٦/٩ .

الصلة بين أول وآخر الآية

ابتدأت آية البحث بحرف الإستئناف (الواو) مع معنى العطف والإتصال موضوعها بالآية السابقة التي ذكرت المتقين والبشارة العظمى لهم في الآخرة بقوله تعالى ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوَّارِبُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾^(١).

والمراد من المتقين في الآية السابقة الأنبياء والصالحون وأهل الورع والإيمان من الأجيال المتعاقبة من أيام أدينا آدم عليه السلام وإلى يوم القيامة. وكذلك بالنسبة للفظ ﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ الذي أختتمت به الآية السابقة ، وليبان قانون في كل زمان أمة من المتقين الأبرار .

وبينما أخبرت الآية السابقة عن الثواب العظيم للمتقين باللبث الدائم في الجنة فان آية البحث تضمنت البشارة بالأجر عند الله ، وهل هو أدنى مرتبة من الجنة ، الجواب الأجر من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة ، لذا ورد قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا...﴾^(٢).

وذكرت آية البحث أهل الكتاب وهو سور جامع لأهل الملل السماوية ، إذ نزل الوحي والكتب على الأنبياء ، فجاء الثناء والمدح لأتباعهم لحسن إيمانهم .

وقالوا المراد من أهل الكتاب الذين دخلوا الإسلام من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام ، وجريج ومُخِيرِيق وغيرهم . ولكن المراد الذين بقوا على ديانتهم اليهودية أو النصرانية مع إيمانهم بالله ونزول القرآن من عند الله عز وجل ، أما الذين دخلوا الإسلام من أهل الكتاب فهؤلاء من المتقين الذين اختاروا الإيمان الذين تضمنت الآيات

(١) سورة آل عمران ١٩٨.

(٢) سورة القصص ٥٤.

السابقة أدعيتهم والإخبار عن إستجابة الله عز وجل لأدعيتهم ، وتضمنت الآية السابقة الثناء عليهم ، وإذا تغير الموضوع تبدل الحكم .
وقدمت آية البحث الإيمان بالله عز وجل وهو الذي تتقوم به الحياة الدنيا ، وعمارة الناس للأرض ، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) والنسبة بين الإيمان بالله وبين العبادة عموم وخصوص مطلق.

فالعبادة أعم فمع الإيمان بالله يستلزم أداء الفرائض العبادية وعمل الصالحات الأخرى .

وبعد ذكر إيمان أهل الكتاب بالله عز وجل جاء إيمانهم بنزول القرآن والذي يدل بالدلالة التضمنية على تصديقهم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه تعضيد له ، وتخفيف عنه وعن المسلمين في دعوتهم إلى الله عز وجل .

وهل إيمان طائفة من أهل الكتاب من وجوه الإحتجاج على أهل الكتاب الآخرين والكفار بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجواب نعم ، قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢).

وهل يمكن القول بأن أهل الكتاب يؤمنون بنزول القرآن ، ولا يؤمنون بالتوراة والإنجيل ، الجواب لا ، إذ يؤكد وصفهم بأنهم أهل كتاب على إقرارهم وإتسابهم إلى التوراة والإنجيل ، ولا ينقصه وقوف طائفة من اليهود عند التصديق بالتوراة دون الإنجيل .

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

ولم تكتف آية البحث بذكر خصلة الإيمان عند أهل الكتاب مع أنها الأصل إنما أخبرت عن خشوعهم لله عز وجل ، وهو مرآة وبيان لمرتبة سامية من الإيمان وإنعكاسه على الجوارح .

ثم ذكرت آية البحث خصلة حميدة عند طائفة من أهل الكتاب ، وهي تمسكهم بآيات الله ، وعدم التفريط بالإيمان وما يجب معه على الإنسان ، وبعد أن ذكرت آية البحث خمس خصال لأهل الكتاب ، ومنها وصفهم أنهم أهل كتاب أخبرت بأن لهم أجرهم عند الله ، لبيان وجوه :
الأول : قانون الأجر عن الإيمان .

الثانية : الترغيب باتيان الأعمال بقصد القربة إلى الله .

الثالث : قانون عدم اختصاص الأجر بأمة دون أخرى .

الرابع : الأجر فضل من عند الله ، ولا يقدر على الأجر في الآخرة إلا هو سبحانه ، وفي التنزيل ﴿لَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١) .

و(عن أنس رفعه في قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ. . .﴾^(٢) قال : فكان ممن استثنى الله جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، فيقول الله - وهو أعلم : يا ملك الموت من بقي .

فيقول بقي وجهك الكريم ، وعبدك جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت . فيقول : توف نفس ميكائيل . ثم يقول - وهو أعلم - يا ملك الموت من بقي؟ فيقول بقي وجهك الكريم ، وعبدك جبريل ، وملك الموت .

فيقول ، توف نفس جبريل . ثم يقول - وهو أعلم - يا ملك الموت من بقي؟ فيقول : بقي وجهك الباقي الكريم ، وعبدك ملك الموت وهو ميت .

(١) سورة غافر ١٦ .

(٢) سورة الزمر ٣٨ .

فيقول : مت . ثم ينادي أنا بدأت الخلق ، وأنا أعيده فأين الجبارون المتكبرون؟ فلا يجيبه أحد . ثم ينادي لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ، فيقول هو الله الواحد القهار ﴿ثُمَّ نَفَّخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١) (٢).

وتبين الآية أن الله واسع كريم يؤتي فضله لمن آمن به وبالتنزيل ، وبعد أن أخبرت الآية عن الأجر والثواب الذي ينتظر طائفة من أهل الكتاب جاءت خاتمة الآية ببيان قانون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) لبيان إنسباط الأجر في الدنيا والآخرة .

وهل رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما فيها من مصاديق التوحيد والصلاح ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤) المختار نعم ، فمن سرعة الحساب الإلهي في الدنيا إكرام الذين آمنوا بالله عز وجل والتنزيل بالأمن والأمان في أحكام الشريعة الإسلامية ، واستئصال عبادة الأوثان التي كانت تؤدي أهل الكتاب أيضاً .

من غايات الآية

في الآية مسائل

الأولى : الإيمان بالله عز وجل سور عقائدي جامع بين المسلمين وأهل الكتاب .

الثانية : وراثته المسلمين للإيمان بالله مع مشاركة أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم بالإيمان بالله ، لبيان قانون تعضيد المسلمين بإيمان طائفة من أهل الكتاب بالله ونزول القرآن .

الثالثة : لا يصدق اسم الإيمان إلا بالإيمان بالله عز وجل .

(١) سورة الزمر ٦٨ .

(٢) الدر المنثور ٤٧٦/٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الرابعة : الثناء على المسلمين لإيمانهم والإنذار والوعيد لمن يكفر بالله والتنزيل ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١).

الخامسة : الثناء السماوي على طائفة من أهل الكتاب .

السادسة : قانون ثناء الله عز وجل على طائفة من الناس دعوة للمسلمين والناس جميعاً لإكرامهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

السابعة : تفقه المسلمين ، ومن إعجاز آية البحث صيرورة المسلمين أئمة للناس ، وإصلاحهم للتمييز بين الناس بلحاظ الإيمان أو الكفر .

الثامنة : بيان نزول كتب سماوية سابقة للقرآن ، وأن أهل الكتاب توارثوا الإيمان بها .

التاسعة : يبقى القرآن عضداً وناصرأ لمن آمن بالله والتنزيل ، فمن خصائص القرآن تعضيده للمؤمنين من أهل الكتاب ، وقد ورد ذكر (التوراة والإنجيل) مجتمعين ثماني مرات في القرآن منها قوله تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (٣).

العاشرة : موضوعية الخشوع لله عز وجل في نيل مرتبة الإيمان بالله والتصديق بالكتب السماوية السابقة .

(١) سورة النساء ١٣٦.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران ٣-٤.

الحادية عشرة : توارث المؤمنون من أهل الكتاب الخشوع لله عز وجل ، ليعت الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على أمة من الخاشعين ، ومنه التصديق برسالته ، وعدم الإصطفاف مع الذين كفروا لتكذيب نزول القرآن .

الثانية عشرة : تأديب المسلمين وأهل الكتاب في لزوم عدم التفريط بآيات الله ، إذ جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إمتحان وإختبار وإبتلاء وأسباب للفتن والإفتتان مع المدد العام للناس من عند الله للسلامة منها .

الثالثة عشرة : بيان قانون عدم إختصاص الوعد الكريم بالأجر بالمسلمين إذ تدل آية البحث على شمول طائفة من أهل الكتاب بالأجر والثواب من عند الله ، وفيه دعوة للمسلمين للإجتهد في مراتب العبادة وسلم التقوى .

الرابعة عشرة : إجتماع الوعد والوعيد في خاتمة آية البحث لتكون بشارة للمسلمين ولطائفة من أهل الكتاب ، وإنذاراً ووعيداً للذين لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون بنزول القرآن وما فيه من أحكام العبادات والمعاملات .

الخامسة عشرة : دعوة المسلمين إلى الإحسان لأهل الكتاب وعدم الإضرار بهم .

السادسة عشرة : الفصل والتمييز بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى ونحوهم وبين المشركين .

فمن خصائص آية البحث هداية المسلمين في باب المعاملات والصلوات الإجتماعية ، والتحلي بالخلق الحميد .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً)^(١).

(١) الدر المنثور ٢/٤٣٥ .

التفسير

قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

تحمّل هذه الآية وجوهاً :

الأول : إنها جملة خيرية .

الثاني : إنها جملة إنشائية .

الثالث : العنوان الجامع للإخبار والإنشاء .

والمختار هو الأخير ، إذ ابتدأت الآية بصيغة الإنشاء بمخاطبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ ، وفيه إكرام للمسلمين ، ودعوة سماوية لهم لتعاهد التنزيل ، وأن مسؤولية سلامته من التحريف والزيادة والنقصان تقع على أجيالهم المتعاقبة على نحو العموم المجموعي والإستغراقي والشخصي .

فإن قلت إن الله عز وجل هو الذي يحفظ القرآن لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) .

والجواب قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢) وليبان فوز المسلمين وعلماء الأمة بالأجر والثواب في الجهاد لحفظ آيات القرآن رسماً وتلاوة وتفسيراً .

ويدل قوله تعالى ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ على وجود كتب سماوية سابقة للقرآن أنزلت على الأنبياء ، وهل يختص اسم أهل الكتاب باليهود والنصارى ، الجواب لا ، فهو أعم ويشمل الأمم التي تتبع الأنبياء وعندهم كتاب منزل ، ولا يضر بهذه التسمية طرو التحريف على الكتاب السماوي السابق .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) سورة المدثر ٣١ .

وقد ورد لفظ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اثنتين وثلاثين مرة في القرآن ، منها ست مرات بالنداء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ كلها في السور المدنية ، منها ثلاثة في سورة آل عمران وواحدة في النساء ، واثنين في سورة المائدة .

ومن إعجاز الآية ذكر الذين يؤمنون بالله ومطلق التنزيل من أهل الكتاب على نحو التكرير والتبويض ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ لبيان لزوم الرفق بأهل الكتاب جميعاً ، وعدم إيذائهم ، ولا يصح تكفيرهم ونعتهم بالكفار ، فقد فرق الله عز وجل بينهم وبين المشركين .

نعم ورد قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِّنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

إبتدأت الآية بلغة التبويض لبيان فوز أمة من أهل الكتاب بالإيمان والشهادة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصدق رسالته ، ويحتمل التبويض ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وجوهاً :

الأول : إرادة النصارى لقوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِّنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

الثاني : طائفة من النصارى .

الثالث : طائفة من اليهود .

الرابع : طائفة من النصارى وطائفة من اليهود ، وطائفة من المجوس . والمختار هو الأخير ، وهل هذا الإيمان مقدمة لدخول فريق منهم الإسلام ، سواء من ذات الطائفة أو غيرها ، الجواب نعم ، ليكون من الإعجاز في آية البحث أمور :

(١) سورة المائدة ٨٢.

(٢) سورة المائدة ٨٢.

الأول : بعث السكينة في نفوس المسلمين .

الثاني : دعوة المسلمين للرفق بأهل الكتاب ، فلا يعلمون بالأفراد والجماعات التي تؤمن بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

الثالث : دعوة مشركي قريش والناس جميعاً للإقتداء في باب الإيمان بأهل الكتاب الذين يصدقون بنزول القرآن من عند الله بصيرورة متدييات أهل الكتاب محلاً للإخبار عن نزول القرآن من عند الله .

وفيه نصرة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعوة لعموم أهل الكتاب بالتدبر في آيات القرآن .

فمن إعجاز آية البحث ذكرها لإيمان فريق من أهل الكتاب بنزول القرآن ، وفيه شاهد بإقرارهم بالإعجاز الذاتي والغيري لآيات القرآن .

شواهد التصديق

قد جاء النداء العام لأهل الكتاب للتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع بيان أنها تصديق لنزول التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابِ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾^(١).

وقد ورد لفظ ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ واحدة وثلاثين مرة في القرآن ، ولفظ ﴿أُوتُوا الْكِتَابِ﴾ ثماني عشرة مرة في القرآن ، ولفظ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ ثلاث مرات .

و(عن جابر بن عبد الله قال : لما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ، اعتزل كعب بن الأشرف ولحق بمكة وكان بها ، وقال : لا أعين عليه ، ولا أقاتله . فقيل له بمكة : يا كعب أديتنا خير أم دين محمد

(١) سورة النساء ٤٧.

وأصحابه؟ قال : دينكم خير وأقدم ، ودين محمد حديث . فنزلت فيه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ...الآية ﴾ (١) (٢).

لقد جاءت شهادة طائفة من أهل الكتاب بصدق نبوة محمد من جهات: الأولى : البشارة برسالته في الكتب السماوية السابقة ، ولا يضر بها إنكار طائفة أخرى منهم برسالته ، ويدل على هذا الإنكار المتجدد آية البحث في مفهومها بصيغة التبويض في أولها ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنُفُؤًا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ (٣).

وتقدير مفهوم الآية : وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ، ولم يؤمن بما أنزل إليكم .
ومن فضل الله تعدد شواهد التصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبشارة بها .

وقصة ورقة بن نوفل بن عبد العزى من قريش وهو ابن عم خديجة زوج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حكيم اعتزل الأوثان قبل الإسلام ، وامتنع عن أكل الذبائح التي تهدي لها وقرأ كتب الأديان وتنصر ، وكان يكتب الإنجيل بالعربية ترجمة من العبرية.

(قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً).

فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض قالوا : أجل .

(١) سورة النساء ٥١.

(٢) الدر المنثور ٣/١٤٤.

(٣) سورة آل عمران ١٩٩.

وَهُمْ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ بْنِ رَثَابِ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرَّةِ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمِّيَّةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

وَعُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُصَيِّ ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ رِزَّاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَعَلَّمُوا وَاللَّهِ مَا قَوْمُكُمْ عَلَى شَيْءٍ لَقَدْ أَخْطَأُوا دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ مَا حَجَرَ نَطِيفٌ بِهِ لَّا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُضِرُّ وَلَا يَنْفَعُ يَا قَوْمِ اتَّسَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ دِينًا ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ . فَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ يَلْتَمِسُونَ الْحَنِيفِيَّةَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ .

فَأَمَّا وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ فَاسْتَحْكَمَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ ، وَاتَّبَعَ الْكُتُبَ مِنْ أَهْلِهَا ، حَتَّى عَلِمَ عِلْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَأَمَّا عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، فَأَقَامَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّاتِبَاسِ حَتَّى أَسْلَمَ ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ مُسْلِمَةٌ فَلَمَّا قَدِمَهَا تَنَصَّرَ وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ حَتَّى هَلَكَ هُنَاكَ نَصْرَانِيًّا^(١) .

ولما جاء الملك بالوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء (وقال : اقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت له : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٢٢٢ .

ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقاري ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، حتى بلغ ، ما لم يعلم^(١).

وشدت خديجة من عضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قالت بالذهاب معه إلى ورقة بن نوفل لعرض الأمر عليه كحجة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾^(٢).

وكان ورقة بن نوفل قد أصيب بالعمى .

فقالت له خديجة : أي ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال ورقة : هذا الناموس الأكبر الذي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك .

فقال رسول الله عليه السلام : أو مخرجي هم قال : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي^(٣).

ومنها خبر نسطورا الراهب الذي كان يقيم في صومعة في بصرى من بلاد الشام ورأى النبي محمداً وهو في تجارة لخديجة ، فأخبر ميسرة غلام خديجة عن علامات النبوة التي يتصف بها .

الثانية : دلالة صحيفة المدينة على اقرار يهود المدينة بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : حديث وقد نصارى نجران الذين قدموا إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة ، قال تعالى ﴿ فَئِنَّ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥٥/١٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٠ .

(٣) البحار ٢٢٨/١٨ .

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَسَاءَنَا وَسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾.

والمباهلة لعة هي الملاعنة ، والدعاء بانزال اللعنة على الكاذب من الملاعنين ، وامتنع وفد نصارى نجران عن الملاعنة خشية غضب الله ، ورضوا بالجزية ، وقد تقدم الكلام في أسباب نزول الآية أعلاه (٢).

الرابعة : دخول رهط من أهل الكتاب الإسلام جماعات وأفراداً ، ومن الآيات أن كثيراً منهم من الرهبان وأهل العلم عندهم .

الخامسة : البشارات التي وردت في التوراة والإنجيل برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السادسة : تعضيد السنة النبوية بشواهد عقلية وحسية تدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل لهذه الشواهد موضوعية في إيمان طائفة من الذين أوتوا الكتاب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، لبيان قانون تعدد حجج الله في الموضوع المتحد .

لماذا التبويض

لقد تضمن أول الآية حرف الجر (من) الذي يفيد في المقام التبويض ، وفيه مسائل :

الأولى : البيان والتفصيل بأن طائفة من أهل الكتاب هي المقصودة في مضامين هذه الآية الكريمة .

الثانية : عدم تعيين أسماء مخصوصة من أهل الكتاب أو طوائفهم ، وفيه دعوة للمسلمين للنظر إليهم بعين الرحمة ، وهو من مصاديق قوله تعالى

﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران ٦١ .

(٢) أنظر الجزء الثاني والستين من هذا السفر الذي يتضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) بلحاظ انبساط هذه الرحمة على سيرة المسلمين العامة مع الناس في المعاملة لقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣).

الثالثة : التباين في الكثرة والقلة في أعداد هذه الطائفة في الأزمنة والأمصار المختلفة.

الرابعة : بيان وجود أمة من أهل الكتاب تقيم الصلاة وتتعاهد ذكر الله ، وفي التنزيل ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤).

الخامسة : لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بنزول القرآن معجزة عقلية ، وصاحبه المعجزة الحسية ، ونزول الملائكة لنصرته في دفاعه ضد المشركين المعتدين في معركة بدر وأحد والخندق وحين ، وأخبرت آية البحث عن المدد من عند الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بوجود طائفة من أهل الكتاب تؤمن بالله عز وجل ، ونزول القرآن والإنجيل والتوراة .

السادسة : بيان قانون عدم خلو الأرض من أمة مؤمنة في كل زمان ، فبعث الله عز وجل النبي محمداً وهناك طائفة من أهل الكتاب على ملة

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

(٤) سورة آل عمران ١١٣-١١٤.

التوحيد وتلقوا البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشارة من أجيال الموحدين التي قبلهم .

تقسيم الناس عقائدياً

تبين الآية تقسيم الناس بلحاظ الإيمان وعدمه إلى أقسام :

الأول : المسلمون .

الثاني : أهل الكتاب .

الثالث : الكفار والمشركون .

ويدل ورود حرف الجر (من) بقوله تعالى ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى تقسيمهم إلى قسمين :

الأول : الذين يؤمنون بالله ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورسالة موسى عليهم السلام .

الثاني : الذين يؤمنون بالله والتوراة والإنجيل ولكنهم يحدون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي هذا التقسيم مسائل :

الأولى : المدار في معرفة أحوال الناس على الهداية والصلاح .

الثانية : موضوعية الإيمان بالله في تحقق صدق الإيمان .

الثالثة : قانون الإيمان بالله واقية من الشرك والضلالة .

الرابعة : دعوة عامة أهل الكتاب للإلتحاق بإخوانهم الذي يصدقون بنزول القرآن من عند الله .

الخامسة : مع ورود آية في الثناء على النصارى بقوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ

أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ . . .﴾^(١) وآية المباهلة في باب الإحتجاج فان آية البحث لم تذكر بالثناء خصوص النصارى إنما وردت الآية بصفة (أهل الكتاب) فهل يدل

(١) سورة المائدة ٨٢ .

وفق السبر والتقسيم على إرادة خصوص النصارى الذين مدحتهم الآية أعلاه ، أو أن المراد عدد قليل منهم ، الجواب لا ، فتقدير آية البحث على وجوه :

- الأول : وإن من النصارى من يؤمن بالله وما أنزل إليكم .
- الثاني : وإن من اليهود من يؤمن بالله وما أنزل إليكم .
- الثالث : وإن من المجوس من يؤمن بالله وما أنزل إليكم .

كتاب الزبور

من إعجاز القرآن توثيقه وذكره لبعض الكتب التي أنزلها الله عز وجل على الأنبياء ، ومنها الزبور إذ ورد ذكره مرتين في القرآن بقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) ، وقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٢).

ليبين ماهية هذا الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على داود عليه السلام ، وأنه تأديب وإصلاح للناس ، وبشارة للمؤمنين ، وهو كتاب دعاء .
لقد ورد ذكر الزبور في أحاديث متعددة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها :

(وعن واثلة بن الأسقع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان)^(٣).

(١) سورة الأنبياء ١٠٥.

(٢) سورة النساء ١٦٣.

(٣) الدر المنثور ١/٣٧٩.

و(عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما اسري بي إلى السماء ما سمعت شيئاً قط هو أحلى من كلام ربي عز وجل، قال: فقلت: يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، ورفعت إدريس مكاناً علياً، وآتيت داود زبوراً، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

فماذا لي يا رب ؟ فقال: جل جلاله: يا محمد اتخذتك خليلاً كما اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمتك تكليماً كما كلمت موسى تكليماً، وأعطيتك فاتحة الكتاب وسورة البقرة ولم أعطهما نبياً قبلك .

وأرسلتك إلى أسود أهل الأرض وأحمرهم، وإنسهم وجنهم، ولم أرسل إلى جماعتهم نبياً قبلك .

وجعلت الأرض لك ولامتك مسجداً وطهوراً، وأطعمت امتك الفئى ولم احله لأحد قبلها، ونصرتك بالرعب حتى أن عدوك ليرعب منك.

وأنزلت سيد الكتب كلها مهيمناً عليك قرآناً عربياً مبيناً، ورفعت لك ذكرك حتى لا اذكر بشئ من شرائع ديني إلا ذكرت معي^(١).

ويتضمن الزبور (مائة وخمسين سورة ، ليس فيها حكم ، ولا حد ، ولا فريضة ، ولا حلال ، ولا حرام ، وإنما هو ثناء على الله عز وجل ، وتمجيد وتحميد)^(٢).

ووردت أخبار عديدة من التابعين بخصوص ما يتضمنه الزبور منها ما ورد عن وهب بن منبه الذي كان يكثر من الأخذ من كتب أهل الكتاب ، ومنها ما أخرجه (اليهقي في الدلائل عن وهب بن منبه قال :

إن الله أوحى في الزبور ، يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقاً نبياً لا أغضب عليه أبداً ولا يعصيني أبداً ، وقد غفرت له أن

(١) البحار ٣٠٥/١٨ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٦٣/٢ .

يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء .

وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم .

وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم .

وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم ، يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم ، أعطيتهم ست خصال لم أعطاها غيرهم من الأمم ، لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إذا استغفروني منه غفرته .

وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة ، ولهم عندي أضعاف مضاعفة وأفضل من ذلك ، وأعطيتهم على المصائب في البلياء إذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم .

فإن دعوني استجبت لهم ، فإما أن يروه عاجلاً ، وإما أن أصرف عنهم سوءاً وإما أن أؤخره لهم في الآخرة .

يا داود من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي صادقاً بها فهو معي في جنتي وكرامتي ، ومن لقيني وقد كذب محمداً وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صبأً ، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره ، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار^(١) .

(و) عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إن داود عليه السلام خرج ذات يوم يقرأ الزبور ، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا

طائر ولا سبع إلا جاوبه، فما زال يمر حتى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبي عابد يقال له حزقييل .

فلما سمع دوي الجبال وأصوات السباع والطير علم أنه داود عليه السلام، فقال داود: يا حزقييل أتأذن لي فأصعد إليك؟ قال: لا، فبكى داود عليه السلام .

فأوحى الله جل جلاله إليه: يا حزقييل لا تعير داود وسلني العافية، فقام حزقييل فأخذ بيد داود فرفعه إليه، فقال داود: يا حزقييل هل هممت بخطيئة قط .

قال: لا، قال: فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عزوجل؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذتها . قال: بلى ربما عرض بقلبي، قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك .

قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه، قال: فدخل داود النبي عليه السلام الشعب فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية، وإذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام فإذا هي: أنا أروى سلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، فكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيات جيرانني، فمن رأيي فلا يغتر بالدنيا^(١).

ولقد ذكرت آية البحث إيمان طائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن، وما أنزل إليهم، فهل يؤمنون بنزول الزبور، الجواب نعم، إذ ذكره الله عز وجل في القرآن مرتين.

وقد ورد ذكر داود مرات كثيرة في التوراة منها في سفر الملوك الأول والثاني وسفر أخبار اليوم الأول وغيرها وسفر المزامير منها)
٧٠: ٠ لمام المغنين لداود للتذكير

٧٠:١ اللهم الى تنجيتي يا رب الى معونتي اسرع^(١).

صحيفة المدينة دستور

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السبق التاريخي في تثبيت قواعد حقوق الإنسان وضبطها وتعاهدها بالعمل بمضامينها ، إذ عقد صحيفة المدينة في السنة الأولى من الهجرة بين المهاجرين والأنصار وبين يهود المدينة ، ومن جاورهم من القبائل لتنظيم الصلوات وأحكام المعاملات ، وتسمى هذه الصحيفة بأسماء أخرى منها :

الأول : العهد النبوي .

الثاني : وثيقة المدينة .

ومن الآيات توثيق وتدوين هذه الصحيفة في كتب السيرة النبوية من غير اختلاف في نصوصها وترتيبها ، إذ ابتدأت بالصلة بين المهاجرين والأنصار ، ثم جاء الإسهاب والتفصيل بأحكام الصلة مع اليهود ، لبيان إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الكتاب ، وعدم إحصار هذا الإكرام والتي تصدق بنبوته محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن الطائفة التي تذكرها آية البحث .

إنما تضمنت الصحيفة الأمن والعهد لكل يهود المدينة من بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع بإقرارهم على دينهم ، وحفظ حقوقهم .

وروى الوثيقة الزهري في مغازيه ، وابن إسحاق ، وابتدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ الصحيفة بالبسملة وهي (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ .

المُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَبِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ وَيَبْنُو عَوْفَ عَلَى رَبِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى .

(١) موسوعة الكتاب المقدس ٤٠٦/٢ .

كُلِّ طَائِفَةٌ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .
 وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
 تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ
 يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ .

وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
 تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .
 بَنُو النَّجَارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
 تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَلَى
 رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ
 وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنُو النَّبَيْتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ،
 وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاqِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
 تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ
 مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْمَفْرَحُ الْمُثْقَلُ بِالذِّينِ وَالْكَثِيرِ الْعِيَالِ . قَالَ الشَّاعِرُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تَوَدِّي أَمَانَةً ... وَتَحْمَلُ أُخْرَى أَفْرَحَتِكَ الْوَدَائِعَ
 وَأَنْ لَا يُحَالَفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ
 بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً ظَلَمَ أَوْ إِثْمًا أَوْ عُدْوَانَ ، أَوْ فَسَادَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدٌ أَحَدِهِمْ وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي
 كَافِرٍ وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ .

وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةً يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ دُونَ
 النَّاسِ وَإِنَّهُ مَنْ تَبَعْنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأَسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا
 مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ .

وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسألم مؤمنٌ دون مؤمنٍ في قتالٍ في سبيلِ الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم وإن كلَّ غازیةٍ غزت معنا يعقب بعضها بعضاً .

وإن المؤمنين يبئ بعضهم على بعضٍ بما نال دماءهم في سبيلِ الله وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وإنه لا يجير مشركاً مآلاً لقريشٍ ولا نفسها ، ولا يحول دونه على مؤمنٍ وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قودٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول وإن المؤمنين عليه كافةٌ ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه وإنه لا يحل لمؤمنٍ أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة .

ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدلٌ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .

وإن يهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وإن يهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن يهود بني ساعدة ما ليهود بني عوف ؛ وإن يهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن يهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

وإن يهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف .

وإن البر دون الأثم وإن موالي ثعلبة كأنفسهم وإن بطانة يهود كأنفسهم وإنه لا يخرج منهم أحدٌ إلا بإذن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإنه لا ينحجز على ثأرٍ جرح وإنه من فتكٍ فينفسه فتكٌ وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا ؛ وإن على اليهود نفقتهم والنصيحة والبر دون الأثم وإنه

لَمْ يَأْتُمْ أَمْرٌ بِحَلْفِهِ وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ وَإِنْ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفَهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرِ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٌ وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حَرَمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يَخَافُ فُسَادَهُ فَإِنْ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَتَقَىٰ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مِنْ نَصْرِهَا .

وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ صَلَاحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ عَلَىٰ كُلِّ أَنَاثٍ حَصَّتْهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . مَعَ الْبِرِّ الْمَحْضِ ؟ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ مَعَ الْبِرِّ الْمَحْسِنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَأَثِمٍ وَإِنَّهُ مِنْ خَرَجِ آمِنٍ وَمِنْ قَعْدِ آمِنٍ بِالْمَدِينَةِ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ آثَمَ وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَىٰ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(١) (٢).

وصحيفة المدينة بيان وتفسير لآية البحث ، ودعوة للمسلمين للإقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اللطف مع أهل الكتاب خصوصاً الذين يؤمنون بنزول القرآن من عند الله ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٥٠٢.

(٢) أنظر بحار الأنوار ١٩/١٧٠.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

وتبين هذه الصحيفة التكافل الإجتماعي بين المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين وصفتهم الوثيقة بالمؤمنين بالقول (المؤمنون أمة واحدة من دون الناس) مما يعني الولاء بالإيمان وإنتفاء العصبية القبلية والتحزب العشائري ، ولم يكن في السنة الأولى للهجرة وجود للمنافقين إذ بدأ هذا الوجود بعد نصر المسلمين في معركة بدر ، وهذه الوثيقة من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١).

إسناد صحيفة المدينة

ذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري في مغازيه صحيفة المدينة ، وهو تابعي صغير ، كما وردت عنه أخبار مختصرة عن بنود ومضامين الصحيفة ، نعم روى الصحيفة مرسلة من غير إسناد ، ولم يبين الوساطة .

ولد ابن شهاب الزهري في المدينة ، وعاش في الشام و(توفي أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني سنة أربع وعشرين ومائة)^(٢) عن سبعين سنة ، كما رواها محمد بن إسحاق مطولة ، وهو تلميذ الزهري وأبرز طلابه ، وصحيفة المدينة وردت مرسلة ، وكانوا يحتجون بالأحاديث المرسلة إلى أن جاء الشافعي فتكلم فيها ، وتبعه جماعة منهم أحمد بن حنبل ، وأنه يحتج بالمرسل مع عدم وجود حديث مسند بخصوص موضوعه ، مع أن المسند ليس في قوة المسند عن الثقات ، ونسب إلى أحمد بن حنبل القول ثلاث أمور ليس لها إسناد : التفسير والملاحم والمغازي .

ويروى ليس لها أصل ، ولا يوجد هذا القول في مسند أحمد ، وورد التفسير عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ورد تفسير لآيات متعددة مسندة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بالتوارث وعن الصحابة يرفعونها .

(١) سورة الحجرات ١١.

(٢) الوفيات لابن منقذ ٤/١.

والمختار أن صحيفة المدينة صحيحة في الجملة ، وهي وثيقة تاريخية من بدائع النبوة ، ومصداق لحسن الصلة بين المسلمين وأهل الكتاب والتوجه للدفاع عن النبوة والتنزيل ضد هجوم وغزو المشركين المتكرر للمدينة في معركة أحد ، والخندق وقبلها في معركة بدر .

وهل صحيفة المدينة تفسير عملي لآية البحث ، وشاهد عليها ، الجواب نعم ، فمن فضل الله عز وجل تجلي مصاديق واقعية لمضامين الآية القرآنية في كل زمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في بيات أحكام آيات القرآن ، وسنته ترجمة فعلية لها ، قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(١).

وهل تدل صحيفة المدينة على أن (آيات السلم محكمة غير منسوخة) هذا العنوان الذي صدر بخصوصه أحد عشر جزءاً من هذا السفر ، الجواب نعم.

لماذا نسبة (أهل الكتاب)

من خصائص القرآن أنه كتاب التمييز بين الناس بلحاظ العقائد ، وأنه مرآة عالم الآخرة ، وأحوال الناس المتباينة فيها ، فلما أخبر الله عز وجل عن جعل الجنة في الدار الآخرة ثواباً للمؤمنين الذين عملوا ويعملون الصالحات في الدنيا ، وجعل النار عقوبة للكافرين والمشركين ، فانه تعالى بين الإستحقاق وأسباب الجزاء ، وتقسم آيات القرآن الناس إلى ثلاثة أقسام:

الأول : المسلمون ، ومنهم المؤمنون ، ومنهم المنافقون الذين يظهرون الإسلام ويؤتون بالعبادات كالصلاة والصيام ، وهم يخفون الكفر ، ويرتقبون أسباب الشماتة بالمؤمنين ، نعم المنافقون فئة قليلة .

ومن معجزات القرآن الغيرية وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تناقص عدد المنافقين مع تقادم الأيام ، حتى إذا جاء أوان إنتقال

(١) سورة النجم ٣-٤.

النبي محمد إلى الرفيق الأعلى لم يكن لهم أثر وسلطان في الردة ، أو في منع الصحابة من الإجهاز عليها ووأدها .

الثاني : أهل الكتاب وهم أهل الديانات السابقة ، وأتباع الأنبياء السابقين ، ومن إعجاز القرآن عدم حصر ذكرهم باليهود والنصارى ، إنما ورد عنوان عام بلحاظ اتباع التنزيل ، وهو ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ ومن معاني ودلالات هذا الوصف مسائل :

الأولى : قانون حض القرآن لليهود والنصارى على التقيد بأحكام التوراة والإنجيل .

الثانية : تفقه المسلمين في المعارف الإلهية ، والتسليم بنزول كتب سماوية قبل القرآن ، ووجود أمم تتبع هذه الكتب السماوية .

الثالثة : إكرام القرآن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى .

الرابعة : التباين والتفريق بين أهل الكتاب والمشركين .

الخامسة : دعوة أهل الكتاب لإجتتاب محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمتناع عن نصرته المشركين الذين يحاربونه .

بيان صلة عقائدية في مفاهيم التوحيد بين المسلمين واليهود والنصارى إلى يوم القيامة ، بلحاظ بقاء القرآن غضاً طرياً من التحريف إلى يوم ينفخ في الصور .

الثالث : الكفار الذين يحددون بالتنزيل والمعجزات التي جاء بها الأنبياء ، والنسبة بين الكفار وعبدة الأوثان عموم وخصوص مطلق ، فالكفار أعم . ودلالة صفة أهل الكتاب على تحملهم مسؤولية حفظ التوراة والإنجيل وما فيهما من الأحكام والبشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وفي سفر التكوين من التوراة (١٧: ١٨) وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك .

١٧: ١٩ فقال الله بل سارة امراتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق واقم عهدي معه عهدا ابديا لنسله من بعده .

١٧: ٢٠ واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه واكثره واكثره كثيرا جدا اثني عشر رئيسا يلد واجعله امة كبيرة^(١).

آية البحث درء للفتنة والإقتال

من خصائص القرآن الإعجاز الغيري لآياته واستمرار الإنتفاع العام والخاص منها ، وبخصوص آية البحث فانها تدعو للألفة والموادعة بين المسلمين وأهل الكتاب .

وهل هذه الألفة من طرف المسلمين وحدهم ، الجواب لا ، إذ يبعث الثناء على طائفة من أهل الكتاب في آية البحث السكينة في قلوب أهل الكتاب ، ويدعوهم للتفكر باعجاز القرآن والتدبر في المعجزات الحسية التي رزق الله عز وجل النبي محمداً منها إنشقاق القمر ، قال تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأُنشِقَ الْقَمَرُ ﴾^(٢).

ومنها طاعة بعض الجمادات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلامها عليه ، وتسييح الطعام والحصى في يده . وإفاضة الماء الكثير من بين يديه بدعائه وتسييحه ، وقد يكون فيه نجاة لمن معه من الصحابة كما وقع في الحديبية .

وبالإسناد عن سالم عن جابر بن عبد الله الأنصاري (قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لكم . قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا ما في ركوتك.

فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.
قال: فشربنا وتوضأنا.

(١) موسوعة الكتاب المقدس ٦١/١ .

(٢) سورة القمر ١.

فقلنا لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(١).

ومنها شفاء المرضى بنفث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ريقه ، وجريان الآيات ببركة كفيه وغيرها .

وقد ذكرت أبواباً مستحدثة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتدبر أهل الكتاب وعامة الناس فيها ، وهي نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معارك الإسلام الأولى مع أن المشركين في كل واحدة منها أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين كما في معركة بدر ، ومعركة أحد ، ومعركة الخندق ، ومعركة حنين .

ومن الإعجاز في المقام أن المشركين هم الذين يبدأون القتال والهجوم ، وهم أكثر عدة وأسلحة باضعاف ما عند المسلمين في ميدان القتال ، وليس للمسلمين من مدد في هذه المعارك إلا فضل الله عز وجل إذ كان الملائكة يهبطون لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وبخصوص معركة أحد قال تعالى في خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾^(٢).

وهذه المعجزات الحسية الظاهرة دعوة لأهل الكتاب والناس جميعاً للإمتناع عن محاربة المسلمين والإضرار بهم ، وجاءت آية البحث معجزة غيرية في دفع الفتنة ومنع حدوثها بين المسلمين وأهل الكتاب .

وهل منافع هذه الآية ظاهرة في هذا الزمان ، الجواب نعم ، إذ تتجلى بالود وقبول كل من المسلمين وأهل الكتاب للطرف الآخر ، وعدم النفرة بينهم ، لبيان أن من الإعجاز الغيري لآية البحث إشاعة روح التسامح بين

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/ ٢٢٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٤ .

الناس ، وقبول الاختلاف في العقيدة ، قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١).

بين الثناء والذم

يتضمن القرآن آيات الثناء على الله عز وجل وسعة سلطانه وعظيم قدرته والثناء على الرسول محمد والأنبياء السابقين ، والثواب العظيم الذي أعده للمؤمنين ، والعمل صالح والإحسان ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

ويمكن تقسيم آيات القرآن تقسيماً استقرائياً إلى :

الأول : آيات الثناء والبشارة .

الثاني : آيات الذم والإنذار .

وكل من آية البحث والآية السابقة لها من آيات الثناء والبشارة ، وبيان أمور :

الأول : قانون التقوى توفيق .

الثاني : قانون التقوى فلاح .

الثالث : قانون حاجة الناس إلى الخشية من الله .

الرابع : القرآن كتاب التقوى ،

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان منذ أن أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، ورزق الإنسان العقل والإرادة والتفكر ، والإختيار ، وإكتساب الصالحات بالعبادة البدنية كالصلاة والصوم ، والعبادة المالية بالزكاة والخمس ، والعبادة البدنية المالية كحج بيت الله الحرام .

(١) سورة البقرة ٢٥٦ .

(٢) سورة البقرة ١٩٥ .

وتتغشى مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفراد العبادة مجتمعة ومتفرقة ، لبيان أن الدنيا دار التقوى والثناء على المؤمنين ، وذم الذين كفروا ، قال تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾^(١) .
ومن إعجاز القرآن دلالة آيات الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين في مفهومها على ذم الذين كفروا ، ومنه آية البحث وآية السياق فهما من آيات الثناء على المؤمنين أصحاب العقيدة السليمة ، وذكر الخشوع لله ووجوبه على المسلمين وأهل الكتاب ، والناس جميعاً ، ولكن الذين كفروا استكبروا وحرموا أنفسهم من نيل المنزلة الرفيعة للخاشعين ، قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢) .

ليبان أن النسبة بين الخشوع لله والدعاء عموم وخصوص مطلق ، فالخشوع أعم ، ويتجلى بطاعة الله باللسان وعلى الجوارح ، وإجتناّب المعاصي والسيئات .

قانون مودة المسلمين

النسبة بين الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين المودة للمسلمين عموم وخصوص مطلق ، فالإقرار بنزول القرآن من عند الله أعم من المودة .

وقد وردت الآية أعلاه بصيغة أفعل تفضيل ﴿أَقْرَبُهُمْ مَوَدَّةً﴾ مما يدل على وجود طوائف أخرى من أهل الكتاب وغيرهم ممن يود المسلمين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٢٢ .

(٢) سورة غافر ٦٠ .

(٣) سورة مريم ٩٦ .

و(عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ : قل : اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي عندك ودّاً ، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة ، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١) ، قال : فنزلت في علي .

وأخرج الطبراني وابن مردويه ، عن ابن عباس قال : نزلت في علي بن أبي طالب ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٢) قال : محبة في قلوب المؤمنين .

وأخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣) ما هو ، قال : المحبة ، في قلوب المؤمنين ، والملائكة المقربين . يا علي ، إن الله أعطى المؤمن ثلاثاً . المنة والمحبة والحلاوة والمهابة في صدور الصالحين^(٤) .

والنسبة بين مضامين آية البحث والآية أعلاه عموم وخصوص مطلق ، إذ تترشح هذه المودة عن التصديق بنزول القرآن من عند الله ، والإنصات له ، والرضا والغبطة بعمل المسلمين بأحكامه .

وتأتي المودة للمؤمنين من وجوه :

الأول : ابتداء من عند الله ليتجلى قانون الملازمة بين عمل الصالحات عن إيمان والمودة من الناس .

(١) سورة مريم ٩٦ .

(٢) سورة مريم ٩٦ .

(٣) سورة مريم ٩٦ .

(٤) الدر المنثور ٤٩٠/٦ .

الثاني : الحسن الذاتي للإيمان ، وميل النفوس له ، قال تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تُهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(١) .

الثالث : العمل الصالح يستهوي النفوس .

وتدل مودة النصارى للمسلمين على سمت المسلمين ومعاملتهم الحسنة مع أهل الكتاب ، وأن دفع الرجال العمال منهم الجزية لهم بغیظ أهل الكتاب ، ولم يبعث النفرة في نفوسهم .

ومن إعجاز الآية تجلي قانون إمتناع ملوك النصارى عن إعانة المشركين على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

علم المناسبة

لم ترد فاتحة هذه الآية ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ إلا مرتين في القرآن ، إذ وردت مرة أخرى في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾^(٢) ، وكل منهما وردت بخصوص الإيمان ولغة الثناء .

و(عن ابن عباس في قوله ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾^(٣) قال : خروج عيسى ابن مريم)^(٤) .

(١) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٢) سورة النساء ١٥٩ .

(٣) سورة النساء ١٥٩ .

(٤) الدر المنثور ٣/٢٨٧ .

وعن الإمام الصادق عليه السلام ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(١) قال : هو رسول الله صلى الله عليه وآله .

و(قال بعضهم : الهاء في (به) راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم وفي (موته) راجعة إلى الكتابي)^(٢).

أما قوله تعالى ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، فقد ورد في القرآن أربع عشرة مرة لبيان تعدد المذاهب والتباين بين طوائف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فبينما نزلت آية البحث في الثناء على طائفة من أهل الكتاب لإيمانهم بالله ، ونزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزول التوراة على موسى عليه السلام ، ونزول الإنجيل على عيسى عليه السلام .

جاء قوله تعالى ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

للتضمن الآية أعلاه ذماً لطائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن ، كما ورد قوله تعالى ﴿وَدَكَّيْرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤) ، ومنه قوله تعالى ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَو يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥) .

(١) سورة النساء ١٥٩ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٨٠/٤ .

(٣) سورة البقرة ١٠٥ .

(٤) سورة البقرة ١٠٩ .

(٥) سورة آل عمران ٦٩ .

والود كيفية نفسانية لا تظهر على الجوارح إلا بالقول أو الفعل ، ولكن الله عز وجل يعلم ما في القلوب فأظهره في القرآن ، لبيان سلامة المسلمين من أضرار هذا الود .

لذا نزل قوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(١) ، ومن التباين بين طوائف أهل الكتاب بخصوص الإيمان ، قال تعالى ﴿ وَتَوَّأْنِ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٢) .

وورد لفظ ﴿ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ بصيغة العموم واحدة وعشرين مرة ، وفيه بيان ومناسبة لتفقه المسلمين ، وكيفية المعاملة مع أهل الكتاب عامة ، ومع طوائف منهم بلحاظ إيمانهم لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير إكراه أو قسوة أو إنكارهم لها .

إذ أن نسبتهم إلى الكتاب في القرآن دعوة للرفق بهم ، والموادعة معهم ، وعدم معاملتهم كالمشركين وإن التقت طوائف منهم معهم بالكفر بنزول القرآن ، لبيان القرآن قانون الإنتساب إلى الكتاب عنوان أمن في الدنيا ، ودليل على بقائهم على ملتهم ، وعمارتهم لكنائسهم وبيعهم .

ويجب الله عز وجل أن يذكر من قبل الناس جميعا ، وإن كان عند شطر منهم خصال الكفر ، وفي قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . . . ﴾^(٣) .

(وعن ثابت بن عوسجة الخضيرى ، قال: حَدَّثَنِي سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَعَبَدَ اللَّهُ مِنْهُمْ لَأَحَقُّ بِنِ الْأَقْمَرِ ، وَالْعِيزَارِ بِنِ جِرُولِ ، وَعَطِيَّةُ

(١) سورة آل عمران ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران ١١٠ .

(٣) سورة الحج ٤٠ .

القرظى، إن علياً قال: إنما نزلت هذه الآية في أصحاب محمد ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾^(١)، قال: لولا دفع الله بأصحاب محمد، عن التابعين، لهدمت صوامع^(٢).

ورد عن ابن عباس في الآية (قال: الصوامع التي تكون فيها الرهبان، والبيع مساجد اليهود، وصلوات كنائس النصارى، والمساجد مساجد المسلمين)^(٣).

وقد يرد لفظ (أهل الكتابين) والمراد النصارى لأنهم يؤمنون بنزول التوراة والإنجيل، وتسمى دار عبادات كنيسة، والجمع كنائس. ولهم بيت المدراس وهو الذي يتدارسون فيه العلم، وذكر (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل مدراسهم فدعاهم إلى الإيمان فقال له نعيم بن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت.

قال عليه الصلاة والسلام: على ملة إبراهيم قالاً: إن إبراهيم كان يهودياً فقال صلى الله عليه وآله وسلم لهما: إن بيننا وبينكم التوراة فهلّموا إليها)^(٤).

ليبان أن التوراة أنزلت بعد إبراهيم، وليس فيها ما يدل على أنه يهودي.

(١) سورة الحج ٤٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٣٨٥/٩.

(٣) تفسير أبي السعود ٣٦٩/١.

(٤) تفسير أبي السعود ٣٦٩/١.

قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾

ابتدأت آية البحث بحرف الإستئناف (الواو) ثم حرف التوكيد المشبه بالفعل (إن) .

ويتألف قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ من كلمتين اللام وهو حرف توكيد ، من اسم موصول بمعنى الذي .

ليبان إعجاز القرآن في نفاذه إلى قلوب الناس ، وإيمان طائفة من اليهود والنصارى بنزوله من عند الله ، وهذه الطائفة ليست من العوام بل هي من الأخبار وعلماء أهل الكتاب .

ليبان توارث أهل الكتاب الإيمان بالله .
والإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل رب العالمين ، وهو خالق كل شئ و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومن بديع صنع الله عز وجل كثرة الشواهد التي تدل على وجوده وأن مقاليد الأمور بيده تعالى، وإنتفاء الموانع التي تحول دون الإيمان بالله هو تعالى أقرب إلينا من أنفسنا ، ويحصى أعمالنا ويعلم بها قبل خلقنا وهو الذي يسمع الدعاء ، ولا يقدر على إستجابة الدعاء وتحقيق الرغائب والأمانى إلا هو سبحانه .

(وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزل الله من ابن آدم أرفع المنازل هو أقرب إليه من جبل الوريد ، وهو يحول بين المرء وقلبه ، وهو آخذ بناصية كل دابة ، وهو معهم أينما كانوا)^(١).

والإيمان بالله حرز في النشاطين ، وموضوع للعز والرضا بما قدر الله عز وجل ، وواقية من الذل للغير ، فمن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه وصفاته الحسنى ، وأنه تعالى هو المحيي المميت .

وهل يدل الثناء على طائفة من أهل الكتاب في آية البحث بأنهم يؤمنون بالله بسلامتهم من مفاهيم الشرك ، الجواب نعم ، وفيه تعريض بغيرهم ،

(١) الدر المنثور ٩/ ٢٧٨ .

ومنهم أهل الجاهلية الذين يؤمنون بأن الله هو رب العالمين ، ولكنهم يتقربون إليه تعالى بالأصنام ، ويتزلفون إليها ولا يؤمنون بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات العقلية والحسية .

وفي قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾^(١) ، أمور :
الأول : الثناء على الأنبياء السابقين بتوارث طوائف من أتباعهم الإيمان بالله ، فهذا الإيمان بسبب الوحي الذي جاء للأنبياء السابقين والآيات الكونية .

الثاني : صفة (أهل الكتاب) تشریف وإكرام .

الثالث : ترغيب عموم أهل الكتاب باللحاق بالطائفة التي ذكرتها آية البحث بالإيمان بالله ونزول القرآن والتوراة والإنجيل .

لذا ورد في القرآن ذم وإنذار للذين لا يعملون بأحكام التوراة والإنجيل ، ولا يصدقون بما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَٰكِن يَذَنَّبُ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) .

قال مجاهد أن آية البحث ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب^(٣) .

والمختار إرادة طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء دفعوا الجزية أو لم يشملهم دفع الجزية .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة المائدة ٦٨ .

(٣) النكت والعيون ٢٧١/١ .

والمختار سقوط الجزية في هذا الزمان لتبدل أنظمة الحكم ، وتساوي الناس بالحقوق والواجبات وفق قوانين وضعية عامة .

علم المناسبة

لم يرد لفظ ﴿لَنْ يُؤْمِنُ﴾^(١) في القرآن إلا في آية البحث ، واللام لام الإبتداء دخلت على اسم (إن) الاسم الموصول (من) لتأخره عنها ، و(من أهل) خبر (إن) مقدم .

وتفيد اللام هنا التأكيد بوجود شواهد عديدة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يؤمنون بالله .

ليبان الصلة بين المسلمين وأهل الكتاب في الإيمان بالله إلهاً ورباً وخالقاً له ملك السموات والأرض ، وهو الذي بعث الأنبياء والرسل وأنزل الكتب السماوية ، وهذا المعنى مستقراً من ذكر الكتاب نسبتهم إليه ، أي الكتاب السماوي والمراد هنا التوراة والإنجيل والزبور .

وتقسم آية البحث الناس إلى أقسام :

الأول : المسلمون وهم المخاطبون في الآية كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ

إِلَيْكُمْ﴾ .

الثاني : أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم على شعبتين :

الأولى : الذين ذكرتهم آية البحث بالثناء .

الثانية : الذين تدل آية البحث في مفهومها على ذمهم لتخلفهم عن

الإيمان بالله ، والتنزيل مع تفريطهم في آيات الله .

الثالث : الذين كفروا ، الذين لم يؤمنوا بالتوراة والإنجيل أو القرآن .

ومن خصائص الكتب السماوية دعوتها للإيمان بالله تعالى ، وبعثها

الخشوع والخضوع لله تعالى في النفوس ، ليرشح الثواب العظيم عن الإيمان

لتكون آية البحث إنذاراً ووعيداً لهم .

ومن إعجاز آية البحث تقديم الإيمان بالقرآن مع أن زمانه متأخر ، وفيه وجوه :

الأول : القرآن جامع للشرائع والأحكام ، قال تعالى ﴿ وَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١).

الثاني : إنفراد آيات القرآن بالإعجاز ، فهو دليل عقلي شاهد على صدق نزوله من عند الله عز وجل .

الثالث : بيان عدم التفكيك بين الإيمان بالله ، والإيمان بالتنزيل والنبوة .

علم التقدير (لمن يؤمن بالله)

تقدير الآية على وجوه :

الأول : لمن يؤمن بالله إلهاً ورباً وخالقاً .

الثاني : لمن يؤمن بالله وأنه بعث الأنبياء ﴿ مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ .

الثالث : لمن يؤمن بالله ولا يشرك به أحداً .

الرابع : الله عز وجل الإله الذي تجب عبادته .

الخامس : الإيمان بصفات وأسماء الله عز وجل الحسنی ، وأنه تعالى

خالق هذا الكون والذي يتعاهده ويحفظه ، وفي التنزيل ﴿ إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا

مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢).

وعن (يزيد بن عبيد السلمي قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه

وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد من بني فزارة فقالوا : يا رسول الله ادع ربك

أن يغيثنا ، واشفع لنا إلى ربك ، وليشفع ربك إليك .

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة يونس ٣ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويلك هذا أنا شفعت إلى ربي ،
فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه .

لا إله إلا الله العظيم وسع كرسيه السموات والأرض ، فهي تئط من
عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد^(١).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلِيُّ
الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) (قال : بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على
العرش ، بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملا له ، ولا أن العرش
محل له ، لكننا نقول : هو حامل للعرش وممسك للعرش .

ونقول في ذلك : ما قال : وسع كرسيه السموات والأرض . فثبتنا من
العرش والكرسي ما ثبتته ، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاويا له وأن
يكون عزوجل محتاجا إلى مكان أو إلى شئ مما خلق ، بل خلقه محتاجون
إليه^(٣).

السادس : يؤمنون بالله مثل إيمانكم به تعالى .

السابع : وجوب الإيمان بالله على كل إنسان .

الثامن : ترشح أداء العبادات عن الإيمان بالله التي هي واجب مصاحب

للإيمان بالله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

وقد اختلف علماء الأصول هل غير المسلمين مخاطبون بفروع الإسلام
كتكليفهم بالأصول ، وهو المشهور والمختار ، وقيل أنهم غير مكلفين
بالفروع.

(١) الدر المنثور ٢/١٦٣.

(٢) سورة طه ٥.

(٣) البحار ٣/٢٩.

(٤) سورة البقرة ٢١.

وقيل أنهم مكلفون بالنواهي دون الأوامر ، وأنه متفق عليه .
التاسع : من مصاديق رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوة
 الناس جميعاً للإيمان بالله .

وإخبار القرآن بإيمان طائفة من أهل الكتاب بالإيمان بالله دليل على
 عدم إنحصار الإيمان بالله بالمسلمين وحدهم ، وفي الثناء على الذين قالوا إنا
 نصارى ، قال تعالى حكاية عنهم ﴿ وَمَا لَنَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
 وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾^(١) .

العاشر : آية البحث تعضيد لأجيال المسلمين إلى يوم القيامة ، وبرزخ
 دون الاستيحاش من طريق الإيمان والتقوى .

قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾

هل تشمل الآية المؤمنين من أهل الكتاب قبل نزول القرآن من أيام
 موسى عليه السلام وأيام عيسى عليه السلام أم أن القدر المتيقن من الآية هو
 أهل الكتاب أيام نزول القرآن وما بعدها ، المختار هو الأول ، وتدل عليه
 البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي وردت على لسان
 عيسى عليه السلام إذ ورد حكاية عنه في التنزيل ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ
 مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾^(٢) .

وقد توارث الأنبياء هذه البشارة من أيام آدم عليه السلام ، لينزل القرآن
 بتوثيق رسالاتهم والثناء عليهم ، والشهادة من الله عز وجل لهم بأنهم قاموا
 بتبليغ الرسالة .

وتدل أسباب نزول آية البحث على أن المراد من أهل الكتاب المذكورين
 هم الذين بقوا على ملتهم من النصرانية واليهودية ولم يدخلوا الإسلام .

(١) سورة المائدة ٨٤ .

(٢) سورة الصف ٦ .

إذ ورد في أسباب النزول عن الصحابي أبي قتادة (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إِنَّ أَحَاكُمُ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ ، قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم ، قال فنزلت ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾^(١) قالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة ، فأنزل الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٢) (٣).**

والجمع بين هاتين الآيتين في سبب النزول من بديع ذخائر القرآن ، وتفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للآيات ، وهو من الشواهد بأن آية البحث لم تختص بالذين دخلوا الإسلام من اليهود والنصارى. ورد الخطاب في هذه الآية إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والمسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة وفيه مسائل :

الأولى : إكرام أجيال المسلمين .

الثانية : قانون آيات القرآن غضة طرية في كل زمان ، وقانون تلاوة الآية القرآنية وكأنها أنزلت تواً ، وهو من إعجاز الآية الذاتي ، وفيه عون للمسلم للعمل بمضامين وأحكام الآية القرآنية .

فتلاوة الآية تطلب بذاتها وفيها الأجر والثواب ، ولقانون تلاوة الآية سبب وباعث للعمل بمضامينها ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٤) .

الثالثة : تدل الآية على قانون سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة البقرة ١١٥ .

(٣) النكت والعيون ٨٥/١ .

(٤) سورة الحشر ٧ .

الرابعة : قانون تصديق طائفة من أهل الكتاب بالقرآن عون للناس لدخول الإسلام ، وتعزيد للمسلمين ، وشاهد على صحة وسلامة إختيارهم الإسلام ، لذا أكرم الله عز وجل أهل الكتاب ببقائهم على ملتهم وعدم إكراههم على تركها ، وبتسميتهم أهل الذمة أي أنهم بذمة الله ورسوله مع قبول الجزية من الرجال منهم دون النساء والصبيان والرهبان إذ يعفون منها .

وإذ قالت آية البحث ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ من غير بيان جهة الصدور العلوية ، فقد جاءت الآية الأخرى بأن التنزيل من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١) وهو تأكيد لإيمان طائفة من أهل الكتاب بأن القرآن نازل من عند الله ، ولزوم تصديق الطوائف الأخرى من أهل الكتاب بنزول القرآن من عند الله وبين عملهم بالتوراة والإنجيل .

وهل تدل آية البحث على هذا القانون ، الجواب نعم لإبتدائها بإيمان طائفة بالله عز وجل ، وخشوعهم له سبحانه ، وعدم تفريطهم بآيات الله . ويدل مجئ الإيمان بالقرآن بعد الإيمان بالله عز وجل على موضوعية هذا الإيمان ، والحاجة إليه ، وأن أهل الكتاب يتوارثون أخبار وبشارة الأنبياء بنزول القرآن ، ويتجلى قانون إعجاز القرآن عون لأهل الكتاب والناس جميعاً للإيمان به .

ترى ما هي النسبة بين الإيمان بالقرآن وبين التصديق به ، المختار هو العموم والخصوص المطلق ، فالإيمان أعم من العمل لما في الإيمان من الإقرار بالقلب الذي لا يطلع عليه إلا الله عز وجل ، فأية البحث من الشواهد على قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢).

(١) سورة المائدة ٦٨ .

(٢) سورة غافر ١٩ .

أي يصدقون بأن القرآن حق وصدق ، وأنه نازل عند الله ، وهل تدل الآية على إيمان طائفة من أهل الكتاب بأحكام كل آية من القرآن ووجوب العمل بها ، أم أن إيمانهم على نحو الإجمال والتسليم العام بنزوله من عند الله ، المختار هو الثاني ، وهذه الطائفة ليست من الذين ذمهم الله بقوله تعالى ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾^(١).

فالمراد من الكتاب في الآية أعلاه هو اسم الجنس .

قال تعالى ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٢) ، وصفة ﴿ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ عامة للصحابة ولمن صدق بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

ليبان أن إيمان طائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن من عند الله عز وجل إنما هو نتيجة لما عندهم من علوم التنزيل وبشارات الأنبياء السابقين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن إعجاز القرآن الغيري إقرار طائفة من أهل الكتاب بأنه نازل من عند الله ، وأن هذا الإقرار تسليم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لماذا ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾

لقد نزلت آيات وسور القرآن كلها على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو التعاقب والتوالي في ثلاث وعشرين سنة ، نزل بها جبرئيل ، ولم تنزل آية منه على غيره من الناس ، ومع هذا فقد أكرم الله عز وجل المسلمين والمسلمات بالخطاب في آية البحث ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ ويحتمل وجوهاً:

(١) سورة البقرة ٨٥ .

(٢) سورة سبأ ٦ .

الأول : إرادة شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصيغة الجمع للتفخيم والإكرام .

الثاني : إرادة أهل البيت والصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم .

الثالث : المراد أجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة .

والمختار هو الأخير ، وهو من اللطف الإلهي بالمسلمين والثناء عليهم لإتباعهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن القرآن أنزل إليهم .

ومن معاني هذا العموم وجوه :

الأول : نزل القرآن لمنفعة المسلمين والناس في النشاطين .

الثاني : من علم الله عز وجل أن المسلمين يستحقون نزول القرآن

فتفضل به عليهم .

الثالث : صحيح أن القرآن نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ولكن وجوب العمل بمضامينه يقع على جميع المسلمين والمسلمات .

الرابع : قد أكرم الله عز وجل المسلمين ووصف نزول القرآن عليهم

بقوله تعالى ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ

بِهِ﴾^(١) .

الخامس : الخطاب التكليفي لكل مسلم ومسلمة بتعاهد وحفظ آيات

القرآن والعمل بمضامينه .

معاني (على) - بحث نحوي-

يأتي حرف الجر (على) بمعاني متعددة وهي :

الأول : الإستعلاء : إما حقيقة مثل قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ﴾^(٢) ،

أو مجازاً كما في قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢٣١ .

(٢) سورة البقرة ٩٧ .

(٣) سورة البقرة ١٨١ .

الثاني : بمعنى (في) الظرفية كما في قوله تعالى ﴿فَنَسَّ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١).

الثالث : المصاحبة بمعنى (مع) ومنه قوله تعالى ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٍ﴾^(٢).

ومعنى (على) في الآية أعلاه التراكم واستحقاق العقوبة الشديدة ، أي أن الحرف (على) يتضمن معناه الأصلي (على) ومعنى (مع).

الرابع : التعليل ، قال تعالى ﴿كَبَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٣).

الخامس : بمعنى عند ، كما في قوله تعالى ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٤) ، ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾^(٥).

السادس : (على) للتبيين والإيضاح كما في قوله تعالى ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٦).

السابع : (على) بمعنى (من) كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٧).

(١) سورة البقرة ١٨٤.

(٢) سورة البقرة ٩٠.

(٣) سورة الأنعام ١٢.

(٤) سورة يونس ٧٢.

(٥) سورة الأحزاب ٣٧.

(٦) سورة المائدة ١١٣.

(٧) سورة المطففين ٢.

الثامن : (على) بمعنى الباء منه قوله تعالى ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَيَّ اللَّهُ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(١).

التاسع : موافقة (إلى) كما في آية البحث وقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾^(٢). وهذا التقسيم وفق الصناعة النحوية لا يمنع من تعدد معاني الحرف القرآني ، فمن معاني حرف الجر (إليكم) في آية البحث الإستعلاء ، وموافقة إلى ، كما في قوله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾^(٣)، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾^(٤).

والمراد من الحكمة في الآية أعلاه وجوه :

الأول : آيات القرآن فتكون من عطف البيان والتفصيل .

الثاني : إرادة السنة النبوية بلحاظ أنها شعبة من الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٥).

الثالث : تفسير القرآن بالقرآن .

الرابع : هل منه العلوم المترشحة عن تفسير وتأويل آيات القرآن والمسائل والقوانين المستنبطة منها ومن الصلة بينهما ، الجواب لا ، لتقييد موضوع الآية بالنزول .

وقد تضمن هذا السفر (معالم الإيمان) أكثر من عشرين ألف قانون كلها مستقراة ومستنبطة من ذات آيات القرآن .

(١) سورة الأعراف ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران ١٩٩.

(٣) سورة النساء ١٤٠.

(٤) سورة البقرة ٢٣١.

(٥) سورة النجم ٣-٤.

ولم تقل الآية يعظكم بها ، إنما المراد يعظكم بالتنزيل ، ليكون من معاني حرف الجر تأكيد نزول القرآن والسنة من عند الله عز وجل ، وتوجه التنزيل للمسلمين فهو من مصاديق ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ .

علم المناسبة

من الإعجاز في علم التفسير الذاتي للقرآن مجيئ اللفظ أعلاه مرتين في القرآن في ذات موضوع الصلة مع أهل الكتاب ، والآية الأخرى قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ (١) .

فهذه الآية تفسير لآية البحث ، ومادة للإحتجاج جعلها الله عز وجل بيد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، لذا ابتدأت بقوله تعالى ﴿قُلْ﴾ وإلزام أهل الكتاب بالعمل بالتنزيل ، بأن يعمل اليهود بالتوراة ، والنصارى بالإنجيل .

وفيها بيان بأن ما أنزل لأهل الكتاب أعم وأكثر من التوراة والإنجيل .
 وورد لفظ ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ من غير حرف العطف الواو أربع مرات في القرآن منها الأمر إلى المسلمين بجدال أهل الكتاب بالأحسن وإعلان الإيمان بنزول التوراة والإنجيل من عند الله عز وجل ، إذ قال تعالى ﴿وَأَتَّبَعُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَإِهْنَا وَالْهَكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢) .

(١) سورة المائدة ٦٨ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٦ .

وقد ورد قوله تعالى ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾^(١).

ليبان أن الذين ذكرتهم آية البحث من أهل الكتاب هم راسخون في العلم الذي جاء به موسى وعيسى عليهما السلام توارثوا البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأنبياء السابقين وهي عندهم في الكتب السماوية التي لم تصلها يد التحريف .

ويدل الجمع بين ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ في الآية أعلاه وبين ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ في آية البحث أن المراد هو القرآن .

وهل يحتمل أن النسبة بينهما العموم والخصوص المطلق ، وأن الذي أنزل على المسلمين أكثر مما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب لا ، إذ اختص الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة والرسالة والوحي .

أما المسلمون والمسلمات فهم أتباع له ، عاملون بسنته ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٢).

وفي الآية أعلاه من سورة النساء ذم وتوبيخ للذين لا يؤمنون بنزول القرآن سواء من أهل الكتاب أو من كفار قريش وحلفائهم ، ومن صيغ العموم في المقام قوله تعالى ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَذَّكُرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣) ، وقال تعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤) .

(١) سورة النساء ١٦٢.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة الرعد ١٩.

(٤) سورة الأنعام ٣٨.

وقد وردت أحاديث نبوية في الثناء على القرآن والترغيب بتلاوته منها (عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن لله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله، قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)^(١).

قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾

لقد أخبرت آية البحث عن إيمان طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالله عز وجل إلهاً ورباً وخالقاً، وينزل القرآن من عند الله، ويدل هذا الإيمان بالدلالة التضمنية على الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه نبي ورسول من عند الله.

ليان النفع العظيم لإخبار الكتب السماوية السابقة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبشارات الأنبياء برسالته.

والله عز وجل هو الذي أصلح طائفة من أهل الكتاب لوراثة هذه الأخبار والبشارات ليأتي القرآن بالثناء على هذه الطائفة، كما أخبر بأنهم يؤمنون بنزول التوراة والإنجيل.

ومن مصاديق هذا الإيمان الإقرار بالتوحيد برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الآخر.

وفي هذا الشطر من آية البحث معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهات:

الأولى: حفظ الكتب السماوية السابقة.

الثانية: شهادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على صدق نزول

التوراة والإنجيل من عند الله وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ٩٠/١.

(٢) سورة الأحزاب ٤٥.

و(أمر علياً ومعاداً أن يسيرا إلى اليمن ، فقال : انطلقا فبشراً ولا تنفراً ، ويسراً ولا تعسراً ، فإنه قد أنزل علي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(١) ، قال : شاهداً على أمتك ، ومبشراً بالجنة ، ونذيراً من النار ، وداعياً إلى شهادة لا إله إلا الله ﴿ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾^(٢) بالقرآن)^(٣) .

الثالثة : تذكير أهل الكتاب والناس جميعاً بنزول التوراة والإنجيل .
الرابعة : دعوة أهل الكتاب وغيرهم لبيان وجوه الإلتقاء بين القرآن والكتب السماوية السابقة .

الخامسة : دعوة المسلمين للعمل بمضامين آيات القرآن والسنة النبوية ، وفي أهل الكتاب قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) .

بين العهد القديم والجديد

يؤمن المسلمون بنزول القرآن ، وبنزول التوراة على الرسول موسى عليه السلام ، ونزول الإنجيل على عيسى عليه السلام ، ويؤمن النصارى بنزول التوراة والإنجيل ، ويؤمن اليهود بنزول التوراة وهي الأسفار الخمسة التي تتناول قصة الخليقة والتكوين ، وعهد الله إلى إبراهيم وذريته ، والخروج من مصر ، والتجلي على جبل سيناء إذ أنزل الله عز وجل الوصايا العشرة ، وتيه بني إسرائيل في الصحراء ، ثم دخولهم إلى الأرض المقدسة .

(١) سورة الأحزاب ٤٥ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٦ .

(٣) الدر المنثور ١٧٧/٨ .

(٤) سورة المائدة ٦٦ .

وهذه الأسفار هي (التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد، التثنية)
والتوراة لغة التشريف والتعليم واصطلاحاً هو الكتاب الذي أنزله الله عز
وجل على الرسول موسى عليه السلام .

والنسبة بين العهد القديم والتوراة عموم وخصوص مطلق ، فالتوراة
جزء من العهد القديم الذي أسفاره أكثر من التوراة .

والعهد القديم اصطلاح مسيحي يشير إلى العهد الذي عقده الله عز
وجل مع الشعب القديم وهم بنو إسرائيل قبل بعثة السيد المسيح ، لأن فيه
إقراراً بنزول الإنجيل وأنه العهد الجديد ، لذا لا يسمى اليهود الكتاب
المقدس العبري بالعهد القديم .

والمراد من الكتاب في ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اسم جنس يشمل الكتب
السماوية التي انزلت من عند الله عز وجل على الرسل الذين سبقت بعثتهم
أيام الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن أظهرها التوراة التي
أنزلت على موسى عليه السلام ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه
السلام .

قوله تعالى ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾

الخشوع لغة هو الخضوع والإستكانة والتذلل ، وأما معنى الخشوع في
الإصطلاح فهو أعم ومنه قيام القلب بين يدي الله عز وجل ، والإنقياد التام
والتطامن والإخبات لله علام الغيوب .

والمختار أن النسبة بين المعنى الإصطلاحي واللغوي للخشوع هو العموم
والخصوص المطلق ، فالمعنى الإصطلاحي أعم ويشمل القلب والجوارح
والأركان وعالم القول والفعل .

ومن منافع الخشوع لله عز وجل النجاة من الخشوع الذليل والمهين في
عالم البرزخ الذي يحل بالذين كفروا حين يرون العذاب ، قال تعالى ﴿تَرَاهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ

الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿١﴾ والمراد من الضمير (ها) في يعرضون عليها
أي يعرضون على النار .

كما ورد في آل فرعون بقوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا
وَعَشِيًّا..﴾ ﴿٢﴾ أي يعرضون على النار صباحاً ومساءً ، ويقال لهم هذه دار
إقامتكم يوم القيامة ، توبيخاً وعقوبة ، وفيه وجوه :

الأول : نعت طائفة من أهل الكتاب بوصفهم خاشعين لله تشریف
وشهادة لهم في صلاتهم ، ودعوة لطوائف أهل الكتاب بالإقتداء بهم .

الثاني : قانون الملازمة بين التصديق بنزول القرآن وبين الخشوع لله عز
وجل ، وأيهما سابق ، الجواب هو الخشوع لله لأنه متقدم زماناً ، فهو
مصاحب لوجود الإنسان في الأرض .

الثالث : قانون النفع العام للكتب السماوية بوجود أمة من الخاشعين لله
في كل زمان .

الرابع : آية البحث تأديب للمسلمين ، وإصلاح للمجتمعات ، وصلة
بصيغة الهدى والإيمان بين المسلمين ، وعموم أهل الكتاب .

فان قلت قد وردت آية البحث بالتبويض ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ﴿٣﴾ فكيف
يكون الود مع جميعهم ، ومنهم من يجحدون بنبوة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم ، وينكرون نزول القرآن من عند الله عز وجل .

وعموم الود لا يتعارض مع مجئ آية البحث بصيغة التبويض لأنها
تكشف حقيقة وواقعاً يكون سبباً لعموم الود ، فهو كالعالم الإجمالي في
عدم تعيين الذين يؤمنون بنزول القرآن من أهل الكتاب .

(١) سورة الشورى ٤٥ .

(٢) سورة غافر ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٩ .

وهل هذا التبعض دعوة للفصل والتمييز بينهم ، الجواب نعم ، لكن مع بقاء الأولوية لعموم الود ، ومن سبل الفصل والتمييز وصف آية البحث لهم بكونهم خاشعين لله عز وجل .

من معاني الخشوع

يحتمل الخشوع في آية البحث وجوهاً :

الأول : إنه مقدمة وسبب للإيمان بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

الثاني : إنه من رشحات الإيمان بنزول القرآن .

الثالث : قانون الملازمة بين الإيمان بالله وبالتنزيل ، وبين الخشوع لله عز

وجل .

الجواب لا تعارض بين هذه الوجوه ، وهي مجتمعة ومتفرقة عون لتجلي الخشوع لله على اللسان والجوارح ، وفي المعاملة مع المسلمين .

وقد أثنى الله عز وجل على المؤمنين الذين يؤدون الصلاة بخشوع وذكر أن (النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء ، فنزلت ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١) فطأطأ رأسه .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر في قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قال : كانوا إذا قاموا في الصلاة اقبلوا على صلاتهم ، وخفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم ، وعلموا أن الله يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً^(٢) .

وقد ذكر الله عز وجل شواهد يومية عن خشوع أهل الكتاب عند تلاوة آيات القرآن عليهم ، قال تعالى ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوَلَا تُوْمِنُوْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰتَوْا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ اِذَا تَلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ سُّجَّدًا * وَيَقُولُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا

(١) سورة المؤمنون ٢ .

(٢) الدر المنثور ١٨٤/٧ .

إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخْرُونَ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ
خُشُوعًا ﴿١﴾.

قانون الملازمة بين الإيمان والخشوع لله

لزوم ملازمة الخشوع لله عز وجل بالإيمان له ، ومن الخشوع إتباع الأنبياء ، وذكر أخبارهم في طاعة الله ، والجهاد في سبيله (وأخرج أحمد عن كعب الأحبار قال : أوحى الله إلى موسى : أن علم الخير وتعلمه فأني منور لمعلم الخير ومتعلمه في قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم) (٢) .

وصحيح أن كعب الأحبار تابعي أسلم بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه يحكي عن كتب اليهود إذ كان يهودياً ، فهو خبير بها وساهم دخوله الإسلام وتفقهه في الدين بمعرفته الصحيح من تلك الكتب ، له رواية في سنن أبي داود والترمذي والنسائي .

(مات كعب الأحبار سنة أربع وثلاثين للهجرة في مدينة حمص) (٣) .

ومن الخشوع لله التحلي بالصبر والاجتهاد في طاعة الله ، والرضا بما قسم الله عز وجل ، والإبتعاد عن الفواحش والسيئات ، والخشوع لله خلق حميد ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إمام الخاشعين لذا أثنى عليه الله عز وجل وقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) .

ومن التكامل البياني في القرآن أمور:

الأول : بيان مصاديق الخشوع لله .

الثاني : قانون الترغيب المتجدد بالخشوع لله عز وجل .

(١) سورة الإسراء ١٠٧-١٠٩ .

(٢) الدر المنثور ٣٠٩/٤ .

(٣) الذهبي / العبر في خبر من عبر ٦/١ .

(٤) سورة القلم ٤ .

الثالث : تحلي كل مسلم ومسلمة كل يوم بالخشوع لله عز وجل بأداء كل واحد منهم الصلاة خمس مرات في اليوم .

الرابع : الأجر والثواب العظيم على الخشوع لله عز وجل ، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١) فجعلت الآية الفلاح نتيجة للجمع بين الإيمان والصلاح والخشوع فيها .

وعن (عامر بن سعيد قال سمعت سعداً وناساً من الصحابة يقولون : كان رجلان أخوان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدهما أفضل من الآخر ، فتوفي الذي هو أفضلهما .

ثم عمر الآخر بعده أربعين ليلة ، ثم توفي فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة الأول .

فقال : ألم يكن الآخر يصلي؟ قالوا : بلى ، وكان لا بأس به . قال : فما يدريكم ما بلغت به صلاته؟ إنما مثل الصلاة كمثل نهر جار يباب رجل غمر ، عذب يقتحم فيه كل يوم خمس مرات ، فماذا ترون يبقى من دونه؟ لا تدرن ماذا بلغت به صلاته)^(٢) .

علم المناسبة

ورد لفظ (خاشعين) خمس مرات في القرآن ، جاء في آية البحث في سياق الثناء على طائفة من أهل الكتاب .

وجاءت آية في الثناء على آل زكريا كبيت نبوة وعلم بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة المؤمنون ١-٢ .

(٢) الدر المنثور ٩٤/٢ .

(٣) سورة الأنبياء ٩٠ .

ووردت مرة في الثناء على المسلمين الذين يقيمون الصلاة ، قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١) ، إذ ورد لفظ (الخاشعين) بالتعريف بالألف واللام مرتين في القرآن .

وردت واحدة في الثناء على المؤمنين من الأولين والآخرين وبيان خصلة كريمة يتصفون بها وهي الخشوع لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢) .

ولم يرد لفظ خاشعات في القرآن إلا في الآية أعلاه ، مع شمول آيات الخاشعين الأخرى لهن إذ ورد التذكير فيها بلحاظ تغليب المذكر .

وورد لفظ (خاشعين) بصيغة الذم للظالمين يوم القيامة ، بقوله تعالى ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾^(٣) .

ليبان قانون الذي يحرم نفسه من الخشوع لله في الدنيا الذي هو نفع وخير محض ، يتلون بالخشوع الدليل في الآخرة عقوبة لهم .

ومن الإعجاز تقييد هذا الخشوع بأنه من الذل والهوان ، وهل تشمل الآية أعلاه عالم البرزخ ، الجواب نعم ، وهي بيان لقوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة ٤٥ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٥ .

(٣) سورة الشورى ٤٥ .

(٤) سورة غافر ٤٦ .

ولم يرد لفظ (خاشعين لله) في القرآن إلا في آية البحث لتأكيد إيمان طائفة من أهل الكتاب ، وتوارثهم علم التوحيد وشهادتهم بأن النبي محمداً رسول من عند الله لما جاء به من المعجزات ، وهل هذه الشهادة من الخشوع لله عز وجل ، الجواب نعم .

قوله تعالى ﴿لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

تؤسس آية البحث لعلم وهو الثبات على الإيمان ، وعدم التكذيب بآيات التنزيل طمعاً بزينة الدنيا وحطامها .

وتبين آية البحث ضرورة تعاهد التنزيل والعمل بأحكامه ، وكيف أن الدنيا دار إمتحان وإبتلاء ، ووجود أمة في كل زمان تصبر في طاعة الله وتأبى التفريط بسنن الشرائع .

ومع أن آية البحث ثناء على طائفة من أهل الكتاب إلا أنها دعوة لكل مسلم ومسلمة بلزوم حفظ آيات القرآن من التحريف والزيادة والنقصان . وتقدير الآية : يا أيها الذين آمنوا لا تشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً .

وفي الآية إنذار للناس الذين يختارون زخرف الدنيا ويتركون وراء ظهورهم أحكام الشريعة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) .

وعن الصحابي (عدي بن بجيرة)^(٢) قال : كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومة فارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال للحضرمي : بيتك وإلا فيمينه قال : يا رسول الله إن حلف ذهب بأرضي

(١) سورة آل عمران ٧٧ .

(٢) ورد سهو من النسخ في الدر المنثور عدي بن بجيرة ، ويكنى عدي أبا زرارة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرة أحاديث .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان .

فقال امرؤ القيس : يا رسول الله فما لمن تركها وهو يعلم أنها حق؟ قال : الجنة . . . فقال : أشهدك إنني قد تركتها .

فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا﴾^(١) إلى آخر الآية^(٢).

و(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى: أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سَلْعَةً لَهُ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يَعْطُهُ، لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ)^(٣).

وعبد الله بن أبي أوفى صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وخيبر وما بعدها من المشاهد ، وقد حظي بدعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم صل على آل أبي أوفى).

وبعد أن انتقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى انتقل إلى الكوفة وتوفي سنة (٨٦) للهجرة ، وكان آخر من مات من الصحابة في الكوفة .

وهل في الآية تعريض بمن لم يسلم من أصحابهم ممن يميلون إلى الدنيا وزخرفها ، ويمتنعون عن الإيمان بالتنزيل لمصالح ومنافع خاصة ، الجواب نعم ، بل ورد الدم لهم صريحاً بقوله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ٧٧.

(٢) الدر المنثور ٣٦٤/٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٥٦/٣.

(٤) سورة البقرة ٧٩.

وتبين الآية قانون الملازمة بين الخشوع لله وعدم التفريط بآيات الله .
وقانون الخشوع لله خير محض للذات والغير نزلت آية القرآن للمنع من
التفريط به .

تعاهد التنزيل

يفسر القرآن بعضه بعضاً ، وقد ورد قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يُفْرِحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾^(١) ، فخصت الآية النزول على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم والمراد هو القرآن .
وتتضمن آية أخرى الإخبار بأن أهل الكتاب يعلمون بأن القرآن نازل
من عند الله ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ﴾^(٢) .

ومن الإعجاز أن النسبة بين موضوع الآية أعلاه وآية البحث عموم
وخصوص مطلق ، فالجميع يعلم بنزول القرآن ، ولكن الذين يؤمنون
ويشهدون على تنزيله طائفة منهم .

إذ ذكرت آية البحث إحدى الخصال الحميدة عند طائفة من أهل الكتاب
بأنهم لا يشتركون بآيات الله ثمناً قليلاً فقد جاءت آية قرآنية أخرى تبين ثواب
هذا الفعل الحسن بقوله تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ، وقال تعالى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٤) .

لقد تكرر العطف بالواو وموضوع طائفة من أهل الكتاب في آية البحث
بأربع صفات حسنة ترتب عليها الأجر من عند الله .

(١) سورة الرعد ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام ١١٤ .

(٣) سورة النحل ٩٥ .

(٤) سورة القصص ٦٠ .

وتفيد واو العطف الجمع بين اثنين كما في قوله تعالى ﴿وَإِذِ يُرَفِّعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

ليكون من معاني آية البحث حث عموم أهل الكتاب على تعاهد الخصال الحميدة التي ذكرتها آية البحث لما فيها من الأجر العظيم ، وهو من فيض وبركة القرآن على المسلمين وأهل الكتاب والحاجة العامة إلى التزود من علومه .

وهل يشترط الترتيب في هذه الخصال ، الجواب لا بد من الإبتداء بالإيمان بالله فهو الأصل ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

لقد أبى الله إلا وراثه أمة من الناس مبادئ التوحيد وسنن الإيمان وتقوم بحفظ التنزيل ولو على نحو الإجمال ، حتى إذا ما بعث الله عز وجل النبي محمداً صار حفظ التنزيل على نحو الدقة العقلية ، بتاهد المسلمين كلمات وآيات القرآن بقانون سلامة القرآن من ديب يد التحريف إليه .

وفي قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُحَدُّ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾^(٣) قال ابن عباس (كان الله أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل لأهل العلم ، وعلمه لهم وجعله لهم آية فقال لهم : إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتاباً ولا يخطه يمينه . وهي الآيات البينات التي قال الله تعالى)^(٤).

(١) سورة البقرة ١٢٧.

(٢) سورة النساء ٤٨.

(٣) سورة العنكبوت ٤٩.

(٤) الدر المنثور ٤٤/٨.

بحث بلاغي

من البديع والمحسنات المعنوية الإطراد ، وقيل يختص بالثناء بذكر آباء الممدوح بصيغة مسبوكة كما في قول النبي محمد في وصف النبي يوسف عليه السلام ، (إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)^(١).

ومنها (الإستطراد) وهو لغة من أطرَد الشيء أي تبع بعضه بعضاً ، وأطرَد الكلام إذا تتابع ثم عاد وانعطف .

والإطراد في علم الأصول أحد علامات الحقيقة بأن يتصف اللفظ في استعماله حقيقة بأن يصلح إنطباقه في كل الأحوال بخلاف المجاز الذي ينقطع ، كما في شجاعة الأسد حقيقة في كل الأحوال بخلاف إيمانهم بالله عز وجل ثم إيمانهم بنزول القرآن من عند الله وما يتضمنه من المبادئ والأحكام .

فان قلت جاء القرآن بأركان الإسلام من النطق بالشهادتين ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام وحج بيت الله الحرام ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾^(٢) وأهل الكتاب حتى الطائفة التي يثني عليه القرآن في آية البحث لا تأتي هذه الأفعال العبادية بالصيغة التي جاء بها القرآن .

والجواب يدل التعيين في أول آية البحث بأهل الكتاب ببقائهم على ملتهم ودينهم ، وأن القدر المتيقن من الإيمان بنزول القرآن هو التصديق بنزوله من عند الله ، وأنه يجيز بقاء أهل الكتاب على ملتهم ، وهل تختص آية البحث بأهل الذمة ، الجواب هي أعم انما المراد أتباع الكتب السماوية السابقة .

والنسبة بين أهل الكتاب وأهل الذمة عموم وخصوص مطلق ، فأهل الكتاب أعم .

(١) تفسير أبي السعود ٤٠٣/٣ .

(٢) سورة آل عمران ٩٧ .

ثم أخبرت آية البحث عن إيمان هذه الطائفة من أهل الكتاب بالإيمان بما أنزل إليهم ، وهل تشمل الآية إيمان طائفة من اليهود بنزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والإنجيل على عيسى عليه السلام ، الجواب نعم ، فلم تقل الآية (وإن من النصارى) بل ذكرت العنوان العام الشامل لليهود والنصارى .

ومن الإطراد في آية البحث انتقالها من الإيمان العقائدي إلى حال الخشوع بالوجود الذهني والجوارح ، فالخوف والخشية من عند الله عز وجل .

ثم انتقلت الآية إلى عالم الفعل والعمل بأنهم لا يفرطون في آيات الله ، ولا يرضون بتحريف التنزيل .

ومن معاني قوله تعالى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١) ، امتناعهم عن محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن إعانة المشركين حق وصدق ، ولا يلهثون وراء المتاع القليل في تكذيب التنزيل .

ثم أخبرت آية البحث عن الثواب العظيم لهذه الطائفة من أهل الكتاب على إيمانهم وإمتناعهم عن الجحود ، وعن إنكار التنزيل ، ومن معاني خاتمة الآية سرعة نزول الثواب الحسن للمؤمنين ، قال تعالى ﴿وَمَا أَتَانَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٢) .

وسرعة نزول العذاب على الكافرين ، قال تعالى ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة الطور ٢١ .

(٣) سورة آل عمران ١١٠ .

ذرائع معركة بدر

بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة تسارع انتشار الإسلام في الجزيرة ، ودخول الأفراد إلى مكة معتمرين وفي موسم الحج وهم يتلون آيات القرآن ، ويتحدثون عن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية والعقلية ، وكانت العرب تقيم الأسواق في موسم الحج يلقون فيها قصائد الشعر ويتفاخرون بالأنساب مع عرض البضائع والخيل والإبل والسيوف والحبوب للبيع .

فحلت آيات القرآن بدل الشعر لما فيها من سمو مراتب البلاغة ، فاشتد غيظ رؤساء قريش ، وعندما قدمت قافلة أبي سفيان من الشام ، وادعوا بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يريدون الإستيلاء على القافلة ، وليس من أمانة أو دليل على هذا الإدعاء .

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحابه في سرية استطلاع وعرض للإسلام بين القبائل ، والصلاة في أفواه القرى وفيه دعوة لهم للإسلام .

ولم يتعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى أنعامهم وأموالهم وزرعهم ، فأرسل أبو سفيان ضمضم بن عمرو رسولاً إلى قريش يستنجدهم ويدعوهم لإنقاذ القافلة ، ولكنها وصلت إلى مشارف مكة وسلمت ، وليس من تعرض لها .

فبعث لهم أبو سفيان رسالة يطلب منهم الرجوع (قال ابن إسحاق : وَلَمَّا رَأَى أَبُو سَفْيَانَ أَنَّهُ قَدْ أَحْرَزَ عَيْرَهُ أَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ : إِنَّكُمْ إِنَّمَا خَرَجْتُمْ لَتَمْنَعُوا عَيْرَكُمْ وَرِجَالَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ فَقَدْ نَجَّاهَا اللَّهُ فَارْجِعُوا .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هَشَامٍ وَاللَّهِ لَأَنْرَجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْرًا ، وَكَانَ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ، يَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهِ سَوْقٌ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقِيمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا

، فَتَنَحَّرُ الْجُزْرَ وَتَسْمَعُ بِنَا^(١) الْعَرَبِ وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا ، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا
أَبْدًا بَعْدَهَا ، فَأَمْضُوا^(٢) .

وعندما التقى الفريقان كانت هناك مندوحة بعدم وقوع قتال ، ولكن
مشركي قريش أصروا على القتال ، وقاموا برمي المسلمين بالسهام ، وتقدم
ثلاثة منهم وطلبوا المبارزة وهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة وابنه
الوليد بن عتبة ، فقتلوا جميعاً في تلك المبارزة ، ونزل قوله تعالى ﴿ هَذَا نَحْصَانٌ
أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ
فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾^(٣) .

لتخسر قريش معركة بدر بسقوط سبعين قتيلاً وأسر سبعين
آخرين منهم ، ويلحقهم الخزي بين القبائل ، وتتجلى معجزات
حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المعركة ، لذا نسب
الله عز وجل نصر المسلمين لنفسه ، قال تعالى ﴿ وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ
أَذِلَّةٌ فَأْتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٤) فأرادت قريش الانتقام والثأر
بوسائل منها ، امتناعهم عن توزيع أرباح قافلة أبي سفيان على
أهلها ، إذ قاموا بتسخيرها للإنفاق في معركة أحد فكانت حسرة
عليهم يوم المعركة وما بعدها ، قال تعالى ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ
يُغْلَبُونَ ﴾^(٥) .

(١) سقطت كلمة (وتسمع بنا) من المتن سهوا من النسخ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٦١٨/١ .

(٣) سورة الحج ١٩ .

(٤) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٥) سورة الأنفال ٣٦ .

مكر كفار قريش

الأصل هو اتعاظ رؤساء قريش من خسارتهم في معركة بدر مع رجحان كفتهم في العدد والعدة والمؤون ، وشواهد حضور الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

ولكنهم لجأوا إلى المكر والثأر والسعي في سبيل الإنتقام من المسلمين .
وعن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف في حديث أنهم عقدوا اجتماعاً في دار الندوة في مكة بجوار المسجد الحرام (إن لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد ثأراً بمن قتل منكم بيد . فاجمعوا مالاً واهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم .

ولينتدب لذلك رجلان من ذوي آرائكم . قال : فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب : يستأذن عليك حزب الله . فقال النجاشي : مروا هذا الصائح فليعد كلامه . ففعل جعفر . فقال النجاشي : نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته . فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه .

فقال : ألا تسمع كيف يدخلون بحزب الله وما أجابهم النجاشي . فساءهما ذلك ، ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له .

فقال عمرو : ألا ترى إنهم يستكبرون أن يسجدوا لك . فقال لهم النجاشي : ما منعكم ألا تسجدوا لي وتحيونني بالتحية التي يحييني بها من أتى من الأفاق . قالوا : نسجد لله الذي خلقك وملكك قال وإنما كان للملك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان . فبعث الله فينا نبياً صادقاً .

وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا . وهو السلام تحية أهل الجنة . فعرف النجاشي أن ذلك حق فيما جاء في التوراة والانجيل . قال : أيكم الهاتف : يستأذن عليك حزب الله .

قال جعفر : أنا . قال : تكلم . قال : إنك ملك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم .

وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فمن هذين الرجلين أن يتكلم أحدهما وينصت الآخر . فتسمع محاورتنا . فقال عمرو لجعفر : تكلم .

فقال جعفر للنجاشي : سل هذين الرجلين . أعبيد نحن أم أحرار .
فإن كنا عبيداً أبقتنا من أربابنا فأرددنا إليهم . فقال النجاشي : أعبيد هم
يا عمرو أم أحرار ، قال : لا ، بل أحرار كرام . فقال النجاشي : نجوا من
العبودية .

ثم قال جعفر : سلهما هل أهرقنا دماً بغير حق ، فاقصصنا .
فقال عمرو : لا ولا قطرة . فقال جعفر : سلهما هل أخذنا أموال الناس
بغير حق فعلينا إيفاءها .

فقال النجاشي : قل يا عمرو . وإن كان قنطاراً . فعليّ قضاؤه قال : لا ولا
قيراط . قال النجاشي : فما تطلبون منهم .

قال عمرو : كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا ،
وتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره . ولزمناه نحن فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم
إلينا . فقال النجاشي : ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه .
قال جعفر : أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره .
كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة . وأما الذي تحولنا إليه فدين الإسلام جاءنا به
من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقاً له .

فقال النجاشي : يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك . فأمر
النجاشي فضرب بالناقوس . فاجتمع إليه كل قسيس وراهب . فلما اجتمعوا
عنده قال النجاشي : أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى . هل
تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبياً مرسلأ .

فقالوا : اللهم نعم قد بشرنا به عيسى عليه السلام .
فقال : من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي . فقال النجاشي
لجعفر : هيه : أي هات ماذا يقول لكم هذا الرجل ، وما يأمركم به ، وما
ينهاكم عنه .

فقالوا : يقرأ علينا كتاب الله ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ،
ويأمر بحسن الجوار ، وصلة الرحم ، ويأمر للوالدين واليتيم ، ويأمر بأن
نعبد الله وحده لا شريك له . فقال : اقرأ عليّ شيئاً مما يقرأ عليكم . فقرأ

عليهم سورة العنكبوت والروم. ففاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدمع. وقالوا : يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليهم سورة الكهف. فأراد عمرو أن يغضب النجاشي. فقال : إنهم يشتمون عيسى وأمه. فقال النجاشي : ما تقولون في هذا.

فقرأ جعفر عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفسه من سواكه قدر ما يقذي العين وقال : ما زاد المسيح على ما يقولون.

ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال : إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم غرم .

ثم قال : أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم عليه السلام قال عمرو للنجاشي : ومن حزب إبراهيم .

قال : هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعه، ثم ردّ النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه .

وقال : إنما هديتكم رشوة إلي. فاقبضوها ، ولكن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة. قال جعفر : فانصرفنا فكنّا في خير دار ، وأكرم بلد وأنزل الله

ذلك اليوم في خصومتهم على رسوله وهو في المدينة ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾^(١) على مثله.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾^(٢) : يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وسألوا النجاشي أن يسلم لهم الصحابة فزجرهم .

(١) سورة آل عمران ٦٨ .

(٢) سورة آل عمران ٦٨ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٠٤/٣ .

علم المناسبة

لم يرد لفظ ﴿لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾^(١) في القرآن إلا في آية البحث في ثناء خاص على طائفة من أهل الكتاب ، وقد ورد في ذم طائفة أخرى قوله تعالى ﴿اشْتَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٢)، لتحذير المسلمين منهم ، والخشية من مكرهم .

ومن الإعجاز في التباين في صيغة الفعل في الآيتين أعلاه دلالة الفعل المضارع (لا يشترون) على تعاهد طائفة من أهل الكتاب في كل زمان للإيمان بالله ونزول القرآن بينما ذكرت آية الذم للذين فرطوا بآيات الله بصيغة الماضي (اشترؤا) لبيان فضحهم ، وانقطاع ضررهم .

وفي خطاب إلى بني إسرائيل قال تعالى ﴿وَأْمَنُوا بَمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ﴾^(٣).

ونزل القرآن بدم وإنذار الذين يكتمون البشارات بالنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم طمعاً بالدنيا والشأن والجاه فيها ، والحرص على وجود الأتباع وكسب المال بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

وبينت آيات القرآن أن القدر من التفريط بآيات الله بالصد عن سبيل الله ، وسوء السيرة والفعل فلا يقف الأمر عند الإعراض عن آيات الله ، وإنكار

(١) سورة آل عمران ١٩٩.

(٢) سورة التوبة ٩.

(٣) سورة البقرة ٤١.

(٤) سورة البقرة ١٧٤.

التنزيل إنما يؤدي إلى الجحود والإستكبار ، قال تعالى ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِمْ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١).

وعن مجاهد (في قوله ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(٢)) قال : أبو سفيان بن حرب ، اطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٣) .
وموضوع الآية أعم ، والمدار على عموم المعنى وليس على سبب النزول ، وقد نزل القرآن بالنهي عن إتخاذ آيات الله هزواً ، ووردت آيات بدم الذين يكفرون بآيات الله ، مع إنذارهم قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٤).

قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

الآية وعد كريم وبشارة من عند الله ، وبيان لأمر :

الأول : قانون الأجر السريع على الصالحات .

الثاني : قانون الثواب على حسن العقيدة .

الثالث : الآية من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ ﴾^(٥).

الرابع : دلالة الآية على علم الله عز وجل بما في القلوب .

الخامس : قانون الإثابة على ما في القلوب من حسن الإعتقاد والإقرار

بالتنزيل .

(١) سورة التوبة ٩ .

(٢) سورة التوبة ٩ .

(٣) الدر المنثور ١٨/٥ .

(٤) سورة آل عمران ١٩ .

(٥) سورة الأعراف ١٥٦ .

ترى ما هي النسبة بين الأجر الذي تذكره آية البحث وبين الأمن من الخوف والحزن يوم القيامة ، كما في قوله تعالى ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

المختار نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق ، وتدل عليه واو العطف في قوله تعالى ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وقيدت الآية الأجر بأنه ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وفيه شهادة لأهل هذه الآية بايمانهم بالله ، وأنه سبحانه يعلم ما في قلوبهم من مراتب الإيمان ، والتسليم بالتوحيد ، وقد ادخر الله لهم الأجر والثواب .

ترى لماذا ذكرت آية البحث الأجر بصيغة التنكير من غير تفصيل ، وتعيينه من جهة الكم والكيف والنوع والماهية والزمان ، الجواب من وجوه: الأول : لا يعلم كثرة وعظمة الأجر الذي يأتي من عند الله إلا هو سبحانه .

الثاني : لا يعلم فضل الله عز وجل كما وكيفاً إلا الله عز وجل .
الثالث : من الأجر ما هو في الدنيا ، ومنه في عالم البرزخ ، ومنه يوم القيامة .

الرابع : أجر الله توليدي ، وفي مضاعفة متجددة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة ٢٧٧.

(٢) سورة البقرة ٢٧٤.

(٣) سورة البقرة ٦٢.

الخامس : دلالة خاتمة آية البحث على سرعة مجئ الجزاء والثواب من عند الله عز وجل على الإيمان ، وفيه شاهد على موضوعية الإيمان لأهل الأرض ، وأسباب الرفعة في الدنيا والآخرة ، ومن أسماء الله التسعة والتسعين التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع)^(١).

خصال حسنة

لقد ذكرت آية البحث خمس خصال لطائفة من أهل الكتاب وهي :

الأولى : الإيمان بالله عز وجل .

الثانية : الإيمان بنزول القرآن من عند الله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : الإيمان بنزول التوراة على موسى عليه السلام ، والإنجيل على عيسى ، ليخرج من موضوع الآية الذين يقفون عند نزول الإنجيل والتوراة ، والذين يقفون عند نزول التوراة وحدها .

الرابعة : الخشوع والخضوع لله عز وجل .

الخامسة : تعاهد آيات الله ، وعدم التفريط بها ، أو بيعها بعوض وئمن زهيد من متاع الدنيا .

ويحتمل الثواب والأجر من عند الله على هذه الخصال وفق منطوق الآية وجوهاً :

الأول : مجئ الأجر على هذه الخصال مجتمعة .

الثاني : عند التخلف عن إحدى هذه الخصال يجب الأجر .

الثالث : نزول الأجر على كل خصلة من الخصال أعلاه مستقلة .

(١) الدر المنثور ٤/٣٧٥.

والمختار هو الوجه الأول ، وأن الأجر على اجتماع هذه الخصال هو الأعظم ، وقد ورد قبل أربع آيات قوله تعالى ﴿أَنْبِيَّ لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسِيٍّ﴾^(١).

وصحيح أن الآية أعلاه خطاب للمؤمنين إلا أن إثبات شيء لشيء لا يدل على نفيه عن غيره .

الرب لغة وإصطلاحاً

الرب لغة صفة مشبهة للموصوف بالربوبية ، ويطلق على المالك والسيد والمدير والقيم ، وعلى الذي يربي غيره ويتعاهده ويصلحه ويأتي بصيغتين : الأولى : يكون مضافاً كما في قوله تعالى ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾^(٢) ، أي يسقي سيده .

(والرَّبُّ مالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَقِيلَ الرَّبُّ السَّيِّدُ وَقِيلَ الرَّبُّ الْمُدَبِّرُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْعَةَ :

وَأَهْلَكُنْ يَوْمًا رَبَّ كَنْدَةَ وَابْنَهُ ... وَرَبٌّ مَعَدٌّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعْرٍ
يعني سَيِّدُ كَنْدَةَ وَيُقَالُ رَبُّ الدَّارِ وَرَبُّ الفَرَسِ أَي مَالِكٌ)^(٣).

ويأتي مضافاً ويراد منه الله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) ، وكما في آية البحث والسياق بلفظ (ربهم) المكرر فيهما لبيان

أن الربوبية المطلقة لله عز وجل وهو رب الأرباب .
ومع تقادم الألقاب لم يطلق كثيراً اسم رب لغير الله مضافاً في المحاورات .

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة يوسف ٤١ .

(٣) المخصص ابن سيده ٣٠٣/٤ .

(٤) سورة الفاتحة ٢ .

الثانية : الإطلاق في لفظ (الرب) وهو يختص بالله عز وجل ، والله عز وجل هو الذي خلق المخلوقات كلها ، والقائم على استمرار نصبها وإصلاحها وما يحدث من غير تصادم بينها في نظام كوني بديع يبهر العقول ويجعلها تدرك وجوب عبادتهم لله عز وجل .

والله هو المتصرف بعالم الأكوان ، والذي أحاط بكل شئ علماً ، والذي تنفذ قدرته إلى أعضاء بدن الإنسان ، وهذا النفاذ من مصاديق قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(١) .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً)^(٢) .
وتبين آية السياق بذل المتقين الوسع في طاعة الله وسعيهم لطلب مرضاته ، أما آية البحث فأنها تضمنت الوعد والبشارة من عند الله للذين يؤمنون من أهل الكتاب .

ويتجلى قانون الأجر والثواب بيد الله عز وجل ، وقانون النفع المتصل للأجر من عند الله ، فيأتي الأجر للفرد فتنفع منه الجماعة ، ويأتي للجماعة فينسط على الأفراد ، ويكتب الله عز وجل للمؤمن الفوز بالأجر في الآخرة ، ولا ينحصر النفع منه لحين البعث من القبور بل يكون النفع منه في الدنيا وعالم البرزخ ويوم القيامة .

إحضار النجاشي الصحابة

مع أن وفد قريش أحضروا معهم الهدايا للنجاشي والبطارقة فإنه أراد أن يستمع من الصحابة لأن خبر بعثة نبي ووجود أنصار له وتحملهم الأذى والهجرة والإقامة في دار الغربة البعيدة أمانة على صدق دعوى النبوة

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) تفسير القرطبي ١٧/١٩٣ .

خاصة مع وجود البشارات برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماوية السابقة .

فأمر النجاشي بأحضار الصحابة ليسمع منهم ، فمن خصائصه التي وصفه بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لهم (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٌ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا)^(١) استماعه للطرف الآخر وإن كان مستضعفاً .

وكان عمرو بن العاص موفد قريش يتصف بالدهاء فصور للنجاشي أن هؤلاء الصحابة خطر على دينه وشعبه ، وأنهم مارقون ويطعنون بدين النصارى ، ويجب تسليمهم لوفد قريش .

وقد يسأل بعضهم إذا كان عدد أعضاء الوفد اثنين فقط ، فكيف يسلم لهم ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة ، ولم أجد من تعرض لهذه المسألة ، وفيه وجوه :

الأول : يستأجران رجالاً كثيرين وبضعة سفن ، ويأتون بالصحابة مقيدين كالأسرى .

الثاني : إغانة وتيسير رجال وجنود النجاشي لهما ، لذا حاولا التشويه وتخويف النجاشي وحاشيته من ضررهم .

الثالث : يرجع عمرو بن العاص وعمارة بن عقبة أبي معيط إلى مكة ، ويأتون بالرجال معهم لأخذ الصحابة أسرى .

الرابع : شطر الصحابة وأخذهم على دفعات .
والمختار هو الأول والثاني معاً .

فلما حضروا عند النجاشي (صاح جعفر بالباب : يستأذن عليك حزب الله . فقال النجاشي : مروا هذا الصائح فليعد كلامه . ففعل جعفر . فقال النجاشي : نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته . فنظر عمرو بن العاص إلى

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٢٢١/١ .

صاحبه. فقال : ألا تسمع كيف يدخلون بحزب الله ، وما أجابهم النجاشي .
فساءهما ذلك ، ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له .

فقال عمرو : ألا ترى إنهم يستكبرون أن يسجدوا لك . فقال لهم
النجاشي : ما منعكم ألا تسجدوا لي وتحيونني بالتحية التي يحييني بها من
أتى من الآفاق . قالوا : نسجد لله الذي خلقك وملكك قال وإنما كان للملك
التحية لنا ونحن نعبد الأوثان .

فبعث الله فينا نبياً صادقاً ، وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا . وهو
السلام تحية أهل الجنة . فعرف النجاشي أن ذلك حق فيما جاء في التوراة
والانجيل . قال : أيكم الهاتف : يستأذن عليك حزب الله .

قال جعفر : أنا . قال : تكلم . قال : إنك ملك من ملوك أهل الأرض
ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم^(١) .

ثم سأل جعفر النجاشي الحوار والاحتجاج على وفد قريش فاذن له
بالكلام ، فقال للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن أم أحرار لبيان إذا
كانوا عبيداً يردهم إلى اسيادهم .

فسأل النجاشي عمرو بن العاص ، فأجاب (بل أحرار كرام . فقال
النجاشي : نجوا من العبودية)^(٢) .

إلا أن يكون هناك سبب عرضي طارئ يستلزم إعادتهم ، وكان جعفرأ
عرف قصد النجاشي فقال له (سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق
فعلينا إيفاؤها .

فقال النجاشي : قل يا عمرو . وإن كان قنطاراً . فعليّ قضاؤه قال : لا ولا
قيراط . قال النجاشي : فما تطلبون منهم؟)^(٣) .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٠٥/٣ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٠٥/٣ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٠٥/٣ .

وتعدد الإحتجاج واستمر الحوار إلى أن طلب النجاشي قراءة شيء مما يقرأه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ (سورة العنكبوت والروم ، ففاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدمع .

وقالوا : يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب . فقرأ عليهم سورة الكهف . فأراد عمرو أن يغضب النجاشي .

فقال : إنهم يشتمون عيسى وأمه . فقال النجاشي : ما تقولون في هذا . فقرأ جعفر عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفسه من سواكه قدر ما يقذي العين وقال : ما زاد المسيح على ما يقولون .

ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال : إذهبوا فأنتم سيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو أذاكم غرم .

ثم قال : أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم عليه السلام .

قال عمرو للنجاشي : ومن حزب إبراهيم .

قال : هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعه ، ولكنكم أنتم المشركون . ثم رد النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه .

وقال : إنما هديتكم رشوة إلي . فاقبضوها ، ولكن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة . قال جعفر : فانصرفنا فكنا في خير دار^(١) .

قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(٢) .

وحديث النجاشي هذا مصداق لآية البحث ، وأن المقصود بها طائفة من أهل الكتاب يؤمنون بالله ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٠٦/٣ .

(٢) سورة الأنفال ٣٠ .

ومن معاني ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١) رد النجاشي الهدايا والمال الذي جاء به وفد قريش وقوله إنها رشوة وليست هدية شعبة من العدالة.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

الآية ترغيب للناس بالإيمان وعمل الصالحات بالإخبار بسرعة حساب الله عز وجل للناس ، ومن معاني خاتمة آية البحث أمور :
الأول : سرعة مجئ الجزاء في الدنيا على العمل الصالح ، وهو المستقراً من آية البحث .

الثاني : الإنذار للذين كفروا بنزول العذاب بهم ، ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢) ومنه قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣) .

كما جاءت الآية بصيغة الإطلاق بقوله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤) الجزاء على الحسنات بالحسنى ، والجزاء على السيئات بسوء العذاب .

الثالث : سرعة حساب الله عز وجل للعباد ، إذ يحاسبهم في آن واحد في ساعة واحدة ، فلا يشغله حساب عن حساب ، وكل شئ من أعمال العباد حاضر عنده مدون وموثق بأيدي الملائكة .

و(أخرج الطبراني ، عن سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة حنين نزلنا قفرا من الأرض ليس فيه شيء ،

(١) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٩ .

(٤) سورة إبراهيم ٥١ .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اجمعوا من وجد عوداً فليات ، ومن وجد عظماً أو شيئاً فليات به قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أترون هذا؟ فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليثق الله رجل لا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه^(١).

الرابع : بيان أن حساب الناس المسلم والكتابي والكافر بيد الله عز وجل ، فهو الذي يتولى حسابهم ، ولا يقدر على سرعة الحساب وحضور الجزاء إلا الله عز وجل ، لذا ورد في التنزيل ﴿إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَىٰ عَلِيِّ رَبِّي﴾^(٢).

تقدير خاتمة الآية

ومن وجوه تقدير خاتمة آية البحث :

الأول : إن الله سريع الحساب في الدنيا والآخرة .

الثاني : إن الله سريع الحساب في الدنيا ، وفيه شواهد يومية حاضرة عند الناس بخصوص حياتهم ، وحياة الذين سبق من الأمم ، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾^(٣).

الثالث : سرعة الحساب من عند الله سبب للتوبة والإنابة والصلاح ، قال تعالى ﴿سُنُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٤).

(١) الدر المنثور ٦/٣٧٢.

(٢) سورة الشعراء ١١٣.

(٣) سورة الروم ٤٢.

(٤) سورة فصلت ٥٣.

الرابع : لا يقدر على سرعة الحساب إلا الله عز وجل ، لأن ملك السموات والأرض له وحده ، ومقاليد الأمور بيده سبحانه ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) .

أن سرعة الحساب من عند الله لطف وفضل على المؤمنين ، ونفع عام ، وهو إنذار ووعيد للذين كفروا .

ومن معاني سرعة الحساب أن الله عز وجل لا يحتاج إلى إرجاء أو رؤية أو فكرة ، والله عز وجل غني غير محتاج ، ولا يشغله حساب عن حساب والله عز وجل ﴿هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(٢) .

وورد كل من لفظ (الحاسبين) و(حاسبين) مرة واحدة في القرآن .
(وعن عبد الله بن أبي أوفى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف .
ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم ، منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم)^(٣) .

علم المناسبة

ورد قوله تعالى ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ثمانين مرات في القرآن ، وكلها صفة لله عز وجل لبيان مسائل :

الأولى : الحساب بيد الله عز وجل .

الثانية : لا يقدر على الحساب السريع إلا الله عز وجل .

(١) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٢) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة النعام ٦٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٧٠/٤ .

الثالثة : الإنذار والوعيد للذين كفروا بقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(١).

الرابعة : دعوة المسلمين لرؤية البلاء الذي يحل بالذين كفروا بسبب جحودهم .

الخامسة : تحذير المسلمين ، وترغيبهم بالتقوى والخشية من عند الله في العبادات والمعاملات ، والحلية والحرمة ، قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ يَعْلَمُونَهَا مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَاكْلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٢).

السادسة : بيان سرعة الحساب من الله حكم لقوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا نَاتِي الْأَرْضَ نَشَقُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٣).
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (في قوله ﴿ نَشَقُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾^(٤)) قال : موت علمائها وفقهائها وذهاب خيار أهلها)^(٥).

وعن الإمام علي بن الحسين في (قول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا نَاتِي الْأَرْضَ نَشَقُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾^(٦)) وهو ذهاب العلماء)^(٧).

(١) سورة آل عمران ١٩.

(٢) سورة المائدة ٤.

(٣) سورة الرعد ٤١.

(٤) سورة الرعد ٤١.

(٥) الدر المنثور ٢٧/٦.

(٦) سورة الرعد ٤١.

(٧) البحار ٣٣٧/٦٧.

و(من طريق السدي عن أبيه عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال : إن الكفار يبعثون يوم القيامة رداً عطاشاً فيقولون : أين الماء؟ فيمثل لهم السراب ، فيحسبونه ماء ، فينطلقون إليه ، فيجدون الله عنده ، فيوفيهم حسابهم . والله سريع الحساب)^(١).

السابعة : الإخبار عن العدل الإلهي يوم القيامة ، فلا ينقص من ثواب المؤمن شيئاً ، ولا يزيد من عذاب الكافر فيتم الحساب بالعدل والحق بسرعة ، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢) ، وتدل هذه الآية على بعث الناس جميعاً من القبور ، وحضورهم في عرصات القيامة .

و(عن جابر قال : بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في القصاص ، فأتيت بعيراً فشدت عليه رحلي ، ثم سرت إليه شهراً .

حتى قدمت مصر فأتيت عبدالله بن أنيس فقلت له حديث بلغني عنك في القصاص .

فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد حفاة عراة غرلاً . قلنا ما هما؟ قال : ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب .

أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منها حتى اللطمة .

(١) الدر المنثور ٧/٣١٠ .

(٢) سورة غافر ١٧ .

قلنا كيف وان نأتي الله غرلاً بهما؟ قال : بالحسنات والسيئات ، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الْيَوْمُ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمِ﴾ (١) (٢).

إنحراف المنافقين

آية البحث شاهد على علم الله عز وجل بما في القلوب ، لأن الإيمان والتصديق القلبي لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لذا ذم الله عز وجل المنافقين وهم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر .

ولم تكن هذه الصفة الوحيدة بالمنافقين بل أن النفاق يظهر في أقوالهم وأفعالهم منه قوله تعالى ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣).

وذكر النفاق والمنافقون بلغة الذم في سور متعددة من القرآن منها سورة البقرة ، سورة آل عمران ، سورة النساء ، سورة الإنفال ، سورة التوبة وتسمى الفاضحة لأنها تفضح المنافقين بصفاتهم ، سورة العنكبوت ، سورة الأحزاب ، سورة الفتح ، سورة الحشر ، سورة الحديد ، وسورة المنافقون ، التي سميت باسمهم مع تكرار ذكرهم وأفعالهم في هذه السور .

والنفاق قولي وفعلي ، ويدل عليه الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من كن فيه كان منافقا وان صام وصلى وزعم أنه مسلم، من إذا ائتمن خان، وإذا حدث

(١) سورة غافر ١٧.

(٢) الدر المنثور ٤٩٧/٨ .

(٣) سورة التوبة ٦٧.

كذب، وإذا وعد أخلف، إن الله عزوجل قال في كتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْخَائِنِينَ﴾^(١) (٢).

والكذب أمر قولي ، وخيانة الأمانة فعلي .
ومثله عن الحسن البصري يرفعه^(٣).

و(عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أربع من كُنْ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه
خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا
عاهد غدر ، وإذا خصم فجر)^(٤).

ليبان أن هذه الخصال هي الأصل في مصداق النفاق ، والفرد الظاهر
من سلوك المنافقين ، والذي يعرفون به .

خصال المنافقين

فمن إعجاز الآية الكريمة ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥) أنها ذكرت ثماني خصال للمنافقين وهي :

الأولى : صفة النفاق وإخفاء الكفر مع نطقهم بالشهادتين بقوله تعالى
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾.

الثانية : اتحاد نسخة المنافقين والمنافقات والإعانة والنصرة على الباطل
في مجالسهم ومنتدياتهم ، ومنها اجتماع نفر منهم في بيت سويلم .

(١) سورة الأنفال ٥٨.

(٢) البحار ١٠٨/٦٩.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٨٨/٦.

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١٨٧/٦.

(٥) سورة التوبة ٦٧.

وفي المرسل (عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه عن جده قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم ، يشبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك . فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة . فاقترح الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك

كادت وبيت الله نار محمد ... يشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم ... أنوء على رجلي كسيراً ومرفقى
سلام عليكم لا أعود لمثلها ... أخاف ومن تشمل به النار يحرق^(١) .
ومن إعجاز القرآن ورود ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ خمس مرات في القرآن

بخصوص :

الأول : ولاية المؤمنين بعضهم لبعض .

الثاني : ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم لبعض ، وستأتي النسبة المنطقية بين موضوع الآيتين .

الثالث : ولاية اليهود والنصارى فيما بينهم .

الرابع : ولاية الذين كفروا والمشركين بعضهم لبعض .

الخامس : ولاية الظالمين فيما بينهم كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ

الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾^(٢) .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥١٧/٢ .

(٢) سورة الجاثية ١٩ .

أما قوله تعالى ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فلم يرد في القرآن إلا في الآية أعلاه من سورة التوبة بخصوص المنافقين ، وهي الوحيدة التي تجمع الذكور والإناث في المقام .

كما يدل على التآلف والتقارب والتشابه في المكر فيما بينهم ، ولزوم حذر واحتراز المؤمنين منهم خاصة وأنهم بين ظهرانيهم .

الثالثة : قول المنافقين خلاف الواجب الشرعي والعقلي ، إذ أنهم يأمرون بالمنكر ، والأصل أن يأمر المسلم بالمعروف .

ومن المنكر إظهار الريب بالآيات والمعجزات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعانتهم الكفار .

الرابعة : نهى المنافقين والمنافقات عن المعروف وعمل الصالحات ، ويقومون بصد الناس عن الإيمان ، ونشر الإشاعات التي فيها أذى للمؤمنين ، وتخويف المسلمين من الخروج للدفاع عن النبوة والتنزيل ومنها قولهم كما ورد في التنزيل .

منها قولهم في معركة الخندق ﴿إِنْ يَبُوتْنَا عَوْرَةً﴾^(١) ، وأخبر الله عز وجل

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ وقولهم بخصوص كتيبة تبوك ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾^(٢) .

واجتماعهم لتثبيط المؤمنين ، وقيامهم باشاعة قتل المسلمين الذين يخرجون في السرايا ، كما وردت سورة كاملة في القرآن باسم (سورة المنافقون).

الخامسة : امتناع المنافقين عن الصدقات والإنفاق في سبيل الله ، مع حاجة المسلمين للعدة والرواحل والسلاح للدفاع .

(١) سورة الأحزاب ١٣ .

(٢) سورة التوبة ٨٢ .

ومن معاني ﴿يَقْبُضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ في الآية أعلاه قوله تعالى في سورة المنافقون ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفُسُوا وَلَهُ خِزَانَتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).
السادسة : ترك أوامر الله عز وجل ، وامتناع المنافقين والمنافقات عن طاعته .

السابعة : قوله تعالى ﴿نَسِيَهُمْ﴾ أي لم يتغشاهم الله بفضلته وعفوه .
الثامنة : الشهادة من الله عز وجل بأن المنافقين متمردون خارجون عن دائرة الصلاح ، لاختتام الآية بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

صدر الجزء (270) من معالم الإيمان

قال تعالى ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣).
 قد صدر لي بفضل ولطف من الله عز وجل الجزء السابع بعد المائتين من تفسيري هذا للقرآن بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .
 وهذا التضاد من وجوه :
الأول : قانون تلاوة آيات القرآن باعث على التراحم .
الثاني : قانون التدبر بآيات القرآن ، والتفكر بمعانيها ودلالاتها هداية ورشاد .
الثالث : قانون العمل بمضامين وأحكام الآية القرآنية تهذيب للنفوس ، ودعوة إلى التسامح واللطف والإحسان مع الناس .

(١) سورة المنافقون ٧ .

(٢) سورة التوبة ٦٧ .

(٣) سورة ص ٢٩ .

ومن صفات المسلمين ما ورد في قوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾^(١).

لذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من يرحم الناس يرحمه الله تعالى)^(٢).

وعن الصحابي جرير بن عبد الله (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يرحم الله من لا يرحم الناس)^(٣).

فورد ذكر الناس بصيغة العموم مع اختلاف ملهم ومشاربهم .
ومما يدل على حرمة إيذاء الذي ينطق بالشهادتين ما أخرجه (البخاري والنسائي والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله في ذمته)^(٤).

فيتضمن الحديث الوعيد للمسلم الذي يعتدي على الذي ينطق بالشهادتين ، وعلى حرمة تكفيره .

وفي الحديث المتواتر (من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا تخفروا الله في ذمته)^(٥).

فقد روي هذا الحديث عن جندب بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وأبي بكر وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة البلد ١٧.

(٢) السمرقندي / بحر العلوم ٤/٤٠٩ .

(٣) الدر المنثور ٩/٢٣٥ .

(٤) الدر المنثور ١/١٩٣ .

(٥) الدر المنثور ٢/١٠٣ .

وورد عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله ذات الحديث والأمان بخصوص صلاة الصبح والعشاء ، ومثله عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

الكتابي في ذمة الله

لقد وردت أحاديث نبوية بأن أهل الكتاب في ذمة الله وهم اليهود والنصارى والمجوس ، ومن يتبع نبياً من الأنبياء ، والإحسان لأهل الكتاب طاعة لله ورسوله .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة)^(١).

وأهل الذمة عنوان جامع يشمل أهل الكتاب.

ويدل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢) على وجود طائفة من اليهود والنصارى يؤمنون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن عليه وأن المسلمين على الحق والهدى .

ليان الإحسان لأهل الكتاب جميعاً لورود ذكر هذه الطائفة بصيغة التنكير من غير تعيين لليهود أو النصارى أو لمذهب مخصوص منهم .

نعم ورد قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣).

والنسبة بين الإيمان بنزول القرآن وبين المودة عموم وخصوص مطلق .

(١) جمع الجوامع ١/ ٢١٨٥٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٣) سورة المائدة ٨٢ .

ورود ﴿أَقْرَبُهُمْ مَوَدَّةً﴾ بصيغة أفعل التفضيل لبيان أن طوائف وأمم غير النصراني يودون المسلمين .

وموضوع هذه المودة هو انتسابهم للإسلام ، وأداؤهم الفرائض العبادية وحسن سمتهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١).

ومن إعجاز الآية أعلاه ابتداؤها بصيغة الماضي ومجئ الجزء بصيغة المضارع لبيان قانون تجدد الود والثناء على الذي يعمل الصالحات حتى بعد وفاته لذا ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به ، أو صدقة تجري له ، أو ولد صالح يدعو له)^(٢).

قانون التقوى واقية

ذكرت آية السياق الذين اتقوا على نحو العموم ، والتقوى من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة من جهة الكمال والتمام ، ولكن اللطف الإلهي جاء بالبشارة لكل المتقين وإن كانوا بمراتب أدنى ، وهو من الإعجاز في مجئ لفظ الجنات في الآية السابقة بصيغة الجمع ، وأعلى الجنات درجة هي جنة الفردوس.

أما آية البحث فقد ذكرت طائفة من أهل الكتاب بالثناء عليهم لتصديقهم بنزول القرآن والتوراة والإنجيل ، لبيان مسألة وهي أن الإيمان بالكتب السماوية المنزلة لا يختص بالمسلمين وحدهم .

ومن معاني الجمع بين الآيتين حث أهل الكتاب والناس عامة على بلوغ مراتب التقوى والخشية من الله ، ومن معاني التصديق بنزول القرآن العمل

(١) سورة مريم ٩٦.

(٢) البحار ٢٣/٢ .

بما فيه من الأوامر والنواهي ، فمن مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾^(١) ، العمل بأحكام الشريعة التي نزل بها القرآن .

وهو من أسرار قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾^(٢) ، ومنه ما نزل عليهم من الأوامر والنواهي ، قال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . ﴾^(٣) .

لقد ذكرت آية السياق حقيقة واحدة وهي التقوى بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ﴾^(٤) وهي أسمى صفة في الحياة الدنيا ، ومن فضل الله أنها سور جامع للمؤمنين الذين يعملون الصالحات .

وهل يدخل الأنبياء والمرسلون بهذه الصفة الكريمة ، الجواب نعم ، فهم أئمة وسادة المتقين في الدنيا والآخرة .

وتبين آية السياق في مفهومها أن التقوى نجاة وواقية من الخوف والحزن والعذاب يوم القيامة .

ومن فضل الله عز وجل تعدد الآيات التي ترغّب بالتقوى ، والآيات التي تتضمن الإخبار عن حسن عاقبة التقوى ، ومنها آية السياق ، وفيها دعوة للناس جميعاً للخشية من الله عز وجل وإتيان الفرائض العبادية ووردت أحاديث نبوية عديدة في التقوى والحث عليها .

منها ما ورد بالإسناد (عَنْ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَلْبِغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ)^(٥) .

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٣) سورة الحشر ٧ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٨ .

(٥) سنن ابن ماجه ٤١٤/١٢ .

و(عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاِحِلَتِهِ .

فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا أَوْ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أَوْ قَبْرِي فَبِكِي مُعَاذٌ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ انْتَفَتَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا^(١) .

ذِكْرُ اسْمِ الْجَلَالَةِ

ذَكَرْتُ آيَةَ السِّيَاقِ (اللَّهُ) عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بِصِيغَةِ الرَّبُوبِيَّةِ وَمَرَّتَيْنِ بِاسْمِ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) .

أَمَّا آيَةُ الْبَحْثِ فَذَكَرْتُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ فَشَهِدْتُ لَطَائِفَةَ مَنْ أَهَلَ الْكِتَابَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَهَلْ يَخْتَصُّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَخْصُوصٍ هَذِهِ الطَّائِفَةُ ، الْمَخْتَارُ لَا ، إِنَّمَا تَشْهَدُ الْآيَةَ لِعُمُومِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هُمْ اتِّبَاعُ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ الْقُرْآنِ .

وَلَكِنِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ فِي الْآيَةِ ذَكَرَ جَمْعًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَنَزُولِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ ، وَالْحَشْوَعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَهَلْ يَكُونُ مِنْ مَعَانِي آيَةِ الْبَحْثِ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ ، الْجَوَابُ يَشْتَرِطُ الْإِيمَانَ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ أَمْرٌ ظَاهِرٌ عِنْدَ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَتَبَيَّنَ آيَةَ الْبَحْثِ انْتِفَاءَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَنَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَبَيْنَ الْبَقَاءِ عَلَى مِلَّةِ الْيَهُودِ أَوْ النَّصْرَانِيَّةِ .

(١) مسند أحمد ٣٣/٤٥ .

وذكرت آية البحث اسم الجلالة أربع مرات وذكرته أيضاً بصفة الربوبية ، لبيان موضوعية ذكر الله عز وجل في آيات القرآن .
لقد اختص الله عز وجل باسم الجلالة (الله) والذي ترتعد له السموات والأرض ، وتستجيب لأوامر الخلائق خاشعة ، تنجذب إليه القلوب ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١).

فبينت الآية أعلاه قانون الملازمة بين ذكر اسم الجلالة وبين الطمأنينة ، و(الله) الاسم الجامع للأسماء الحسنى ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).
واسم (الله) علم للذات ، وقهر الله عز وجل الخلائق بأن جعل هذا الاسم مختصاً به .

وقد تكرر لفظ الجلالة في القرآن (٢٦٩٧) مرة ، وهو أكثر لفظ ورد في القرآن ، ومع كثرة الدعاء بالنداء (اللهم) فان هذا اللفظ لم يرد في القرآن إلا خمس مرات منها قوله تعالى ﴿اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

ومن فضل الله عز وجل أنه عرفنا بأسمائه ، وفتح لنا باب مناجاته ودعائه ، والإستجارة به وحسن التوكل عليه .

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) سورة الأعراف ١٢٨.

(٣) سورة آل عمران ٢٦.

تعاهد الخلافة

لقد وصفت آية البحث طائفة من أهل الكتاب بأنهم خاشعون لله عز وجل ، والنسبة بين الخشوع لله والتقوى الذي ذكرته الآية السابقة عموم وخصوص مطلق ، فالتقوى أعم ، ومن فضل الله عز وجل ترشح الخشوع عن الإيمان بالله عز وجل .

فما أن يؤمن الإنسان بأن الله عز وجل هو رب العالمين ، وأن إليه المصير حيث الحساب والجزاء في الآخرة إلا ويتغشاها الخشوع لله عز وجل .

لقد تساءلت الملائكة عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) فأجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وتفضل الله عز وجل وأقام الحجة والشاهد على قانون من الإرادة التكوينية وهو علم الله تعالى بما لا تعلم الملائكة بأن يسألهم عن أسماء ومعاني مسميات عجزوا عن معرفتها ، وأظهروا هذا العجز .

فعلم الله عز وجل آدم الأسماء ثم أمره أن يخبر الملائكة بأسمائها لبيان أهلية الإنسان الصالح للخلافة في الأرض ، وفي قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣) بيان وعهد من عند الله عز وجل بأنه يتعاهد الإنسان خلافته في الأرض .

ومنه تفضل الله عز وجل يبعث الأنبياء والرسل على نحو متعاقب وأبى سبحانه إلا أن يصاحب التنزيل الناس ، لذا ترى القرآن باقياً بين الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، لقانون استدامة القرآن في الأرض حتى مع انقطاع النبوة .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣١ .

وذكرت آية البحث بالإيمان بالقرآن والكتب السماوية السابقة ، وهو شاهد على وجود هذه الكتب في أيدي الناس ، وتلاوتهم لها ، والعمل بأحكامها ، وفيه أمور:

الأول : قانون نزول القرآن تعاهد لخلافة الإنسان في الأرض .

الثاني : العمل بأحكام القرآن من أبهى مصاديق خلافة الإنسان العامة في الأرض .

الثالث : قانون الإيمان بالله عز وجل والنبوة والملائكة واليوم الآخر من التقوى .

الرابع : حب الله للمتقين ، قال تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

الخامس : قانون عدم خلو الأرض من المتقين .

السادس : قانون التقوى علة استدامة الحياة في الأرض ، قال تعالى ﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

السادس : فوز المؤمنين بمرتبة التقوى .

قانون الملازمة بين التقوى ودخول الجنة

لقد رزق الله عز وجل الإنسان العقل ، وجعل عنده القدرة لتغلب العقل على الشهوة والهوى ، لبيان قانون الملازمة بين تسخير العقل والإيمان ، إذ يقود العقل صاحبه إلى الرشاد بالتسليم بأن الله عز وجل خالق كل شئ ، والإقرار بالعبودية له تعالى ، قال تعالى ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَكَأَيُّكُمْ بِاللَّهِ غُرُورٌ﴾^(٣).

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إختبار وإمتحان ، دار عبادة خالصة له لا يُعبد فيها سواه وبفرائض وسنن مخصوصة ، ومبينة على لسان

(١) سورة آل عمران ٧٦.

(٢) سورة الذاريات ٥٦.

(٣) سورة فاطر ٥.

الأنبياء ، وفي الكتب النازلة من السماء ، ولا يرضى الله عز وجل لعباده الشرك به ولا التقصير في العبادات ، وفي التنزيل حكاية عن لقمان ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

وتبين الآية السابقة أن تقوى الله عز وجل صفة مستديمة عند أهل الأرض من أيام آدم عليه السلام .

لقد كان آدم عليه السلام نبياً رسولاً ، كما ورد في حديث أبي ذر (قلت يا رسول الله أرأيت آدم أنبيأ كان؟ قال : نعم . كان نبياً رسولاً كلمه الله قبلاً ، قال له ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢)).

و(عن أبي ذر قال : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةٌ ، وَتَحِيَّتُهُ رَكَعَتَانِ؛ قُمْ فَارْكَعْهُمَا .

قال : فَلَمَّا رَكَعْتُهُمَا ، جَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلَاةِ ، فَمَا الصَّلَاةُ؟ قال : خَيْرٌ مَوْضُوعٍ ، فَاسْتَكْثِرْ أَوْ اسْتَقِلَّ .

قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمْ كِتَاباً أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب؛ أنزل الله : على شِيثَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً ، وَعَلَى خَانُوحَ ثَلَاثِينَ صَحِيفَةً ، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ ، وَأَنْزَلَ عَلَى مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَةِ عَشْرَ صَحَائِفَ ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ ، وَالْإِنْجِيلَ ، وَالزَّبُورَ ، وَالْفُرْقَانَ .

قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قال : كَانَتْ أَمْثَالاً كُلُّهَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ الْمُبْتَلَى الْمَغْرُورُ ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَلَوْ مِنْ كَافِرٍ ، وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ : وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَةٌ يَنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ،

(١) سورة لقمان ١٣.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يُفَكِّرُ فِي صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ ،
وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ .

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا لِثَلَاثٍ : تَزَوُّدٌ لِمَعَادٍ ، أَوْ مَوْوَنَةٌ
لِمَعَاشٍ ، أَوْ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ مُحْرَمٍ ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ ، مُقْبِلًا
عَلَى شَأْنِهِ ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ ، وَمَنْ حَسِبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ؛ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا
يَعْنِيهِ .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ : كَانَتْ عِبْرًا كُلِّهَا
: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ ، ثُمَّ هُوَ
يَنْصَبُ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا؛ ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا ، وَعَجِبْتُ
لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ لَا يَعْمَلُ .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَهَلْ فِي أَيْدِينَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِي أَيْدِي إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى؛ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ ، قَالَ : نَعَمْ ، اقْرَأْ يَا أَبَا ذَرٍّ ﴿قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ تَزَكَّى﴾ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ
هَذِهِ السُّورَةِ ﴿٢﴾ .

وبين هذا الحديث أن النبي محمداً يجلس في المسجد النبوي ويتلقى
الأسئلة ، ويؤدب الصحابة ، ويبين موضوعية الصلاة الواجبة والمستحبة .

عيسى (ع) وخبر الدجال

إذا كانت عمارة الأرض ابتدأت بآدم وحواء وهما من أئمة المتقين فهل
تقوم الساعة على وجود أمة من المتقين أم أن التقوى تنقطع ويكون هذا
الإنقطاع سبباً لقيام الساعة ، الظاهر هو الثاني .

إذ ورد وبالإسناد (عن النّوّاس بن سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَقَّعَ، حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي
طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رَحَلْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا .

(١) سورة الأعلى ١٤-١٦ .

(٢) تفسير الثعالبي ٤/٢٤٠ .

فقال : ما شأنكم ، قلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة فحفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم .

وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم : إنه شاب قطط عينه طافية ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خلة بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالا .

يا عباد الله فاثبتوا : قلنا : يا رسول الله وما لبثته في الأرض ، قال : أربعين يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم .

قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم . قال : لا اقدروا له قدره ، قلنا : يا رسول الله ، وما إسرعه في الأرض . قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على قوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذري ، وأسبغه ضروعا ، وأمده خواصر . ثم يأتي القوم فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم .

ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك . فتتبعه كنوزها كيحاسب النحل . ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا ، فيضربه بالسيف ، فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، عليه السلام ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، ولا يحل لكافر يجذ ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطليه حتى يدركه يباب لد فيقتله .

ثم يأتي عيسى عليه السلام قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله، عز وجل، إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور.

ويبعث الله ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(١)، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويخصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم وتنتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفه، ثم يقال للأرض: أخرجي ثمرك وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها.

ويبارك الله في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من الفم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة^(٢).

النسبة بين الجنة والآخرة

لقد ذكرت آية السياق جزاء المتقين في عالم الآخرة بأنه الخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار، أما آية البحث فأخبرت عن الأجر الذي أعده الله عز وجل للمؤمنين من أهل الكتاب.

(١) سورة الأنبياء ٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦١/٢.

ترى ما هي النسبة بين الجنة وعالم الآخرة ، المختار أنه العموم والخصوص المطلق ، وأن الجنة أعم وأعظم ، وأن أهلها من ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) خاصة وأن مواطن يوم القيامة متعددة ، ولا يعلم أهوالها إلا الله عز وجل ، ومنها عالم البرزخ ومساءلة منكر ونكير ، قال تعالى ﴿وَمَنْ وُورَاهُمْ بَرْزَخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢).

ليبان أن أفضل المراتب في الآخرة هو مرتبة التقوى والخشية من الله بالسر والعلانية ، والعمل بما جاء به الأنبياء والرسل ، فان قلت قد ورد قوله تعالى ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣) ، للمؤمنين الذين اتبعوا النبي محمداً وجاهدوا في سبيل الله وعملوا الصالحات كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

والجواب إن الأجر من عند الله من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة في عظمته وحضوره واستدامته ، ومن الأجر ما يدل على دخول الجنة التي تجري من تحتها الأنهار ومنه النجاة من أهوال يوم القيامة. والملاك أن الله عز وجل لا يضيع عمل العباد ، وأن الدنيا دار فعل الحسنات ، قال تعالى ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾^(٥) ومن معاني الجمع بين الآيتين البعث على إتباع النبي محمد

(١) سورة يونس ٦٢.

(٢) سورة المؤمنون ١٠٠.

(٣) سورة آل عمران ١٩٩.

(٤) سورة البقرة ٢٧٧.

(٥) سورة هود ١١٤.

صلى الله عليه وآله وسلم والفوز بالأجر التام وهو اللبث الدائم في الجنان التي ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾^(١) والمراد من الزمهرير هو البرد الشديد. وعن (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض.

فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم! اللهم أجرني من حر جهنم ، قال الله عز وجل لجهنم إن عبداً من عبيدي استجار بي منك ، وإني أشهدك أنني قد أجرته .

وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض ، فإذا قال العبد : لا إله إلا الله ، ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم : إن عبداً من عبيدي استجارني من زمهريرك ، وإني أشهدك أنني قد أجرته .

فقالوا وما زمهرير جهنم؟ قال كعب : بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة بردها بعضه من بعض)^(٢).

ثم اختتمت آية البحث بقانون من الإرادة التكوينية وهو ما عند الله عز وجل من الأجر والثواب والإحسان والإكرام هو خير وأفضل للأبرار الصالحين .

أدعية الآيات السابقة

لقد تضمنت آية السياق البشارة باستجابة الله عز وجل لأدعية المؤمنين في الآيات التسعة السابقة وهي :

الأول : سؤال المؤمنين الله عز وجل بوقايتهم ونجاتهم من النار .
الثاني : من مصاديق ومعاني دعاء المسلمين في هذه الآيات إقرارهم بأن الله عز وجل هو ربهم ولا يشركون به شيئاً .

(١) سورة الإنسان ١٣.

(٢) الدر المنثور ١٠/١٦٨.

الثالث : بيان هذه الآيات لحاجة الإنسان لسؤال النجاة من الخزي يوم القيامة بسبب عمل سوء فعله في حياته ، وفي التنزيل ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) .

الرابع : سؤال التنزه من الظلم للنفس والغير ، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٢) .

الخامس : سؤال النصير من عند الله لما يدل عليه مفهوم قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٣) .

وهناك مسألتان :

الأول : ترى ما هي النسبة بين النصره والشفاعة .

الثاني : هل تختص النصره بالدار الآخرة .

أما الأولى فالنسبة هي العموم والخصوص المطلق ، فالنصرة أعم ، وأما الثانية فان النصره من عند الله تشمل الحياة الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٤) .

لقد جعل الله عز وجل الإنسان ضعيفاً محتاجاً ، ويتجلى قانون ملازمة الحاجة للإنسان ، ففتح الله عز وجل للمؤمنين باب السلامة بسؤال النصره .
السادس : دعاء وتضرع المؤمنين للنجاة من صحبته الظالمين ، وما يلاقونه من البلاء وشدة العذاب على ظلمهم لبيان مسائل :

الأولى : قانون إنتفاء النصير للظالمين .

الثانية : قانون الظلم حاجب للنصرة .

الثالثة : قانون الإيمان واقية من المصير البئيس للظالمين .

(١) سورة الأنعام ١٤٩ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٢ .

(٣) سورة غافر ٥١ .

(٤) سورة غافر ٥١ .

الرابعة : التضاد بين الإيمان والظلم .

الخامسة : حاجة المسلمين للدعاء للسلامة من الظلم ونجاة المسلم فلا يكون ظالماً أو مظلوماً .

السادس : تسخير حاسة السمع للهداية والإيمان لما ورد قبل خمس آيات

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾^(١) .

الثامن : الدنيا دار النداء بالإيمان .

التاسع : دلالة هذه الآيات على الثناء على النبي محمد صلى الله عليه

وآله وسلم وأنه بلغ ما أرسل به ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) .

العاشر : من أدب الدعاء الإبتداء بالثناء على الله عز وجل والتسليم له

بالربوبية المطلقة لذا ابتدأت كل آية من آيات الدعاء السابقة بقول ﴿ رَبَّنَا ﴾

وهي الآيات (١٩١-١٩٤) التي تكرر فيها قول ﴿ رَبَّنَا ﴾ .

الحادي عشر : من خصائص المؤمنين تلقي النداء والدعوة إلى الإيمان

بالقبول والتصديق .

الثاني عشر : رجاء الثواب العاجل على الإيمان بمغفرة الذنوب ، وبيان

مسألة وهي إتخاذ إعلان الإيمان مناسبة لسؤال المغفرة والعفو والرحمة ، قال

تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

(٣) سورة غافر ٦٠ .

الثالث عشر : قانون الملازمة بين الإيمان والتفقه في الدين لسؤال المسلمين كل يوم الله عز وجل ﴿وَوَفَّقْنَا مَعَ الْآبِرَارِ﴾^(١) فتغادر أجيال من المسلمين الحياة الدنيا .

ويبقى هذا الدعاء يتلوه الأحياء منهم تركة سماوية خالدة ، وكنزاً قرآنياً ، وواقية متقدمة لدخول القبر .

الرابع عشر : تضمنت الآية الرابعة والتسعين بعد المائة من سورة آل عمران الدعاء المتعدد ﴿رَبَّنَا وَأَتَمَّمَا وَعِدْتَنَا عَلَيَّ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢) لسؤال ما وعد الله المؤمنين على السنة الأنبياء والرسل من الثبات على الإيمان وحسن الإقامة في الدنيا ، وفضل الله في دخول الجنة مع سؤال النجاة من الخزي والعار يوم القيامة .

ومن معاني ﴿لَا تُخْزِنَا﴾ لا تفضحنا وتظهر ذنوبنا ومعاصينا للخلائق يوم الحشر ، و(عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : العار والتخزية يبلغ من ابن آدم يوم القيامة في المقام بين يدي الله ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار)^(٣) .

وهل تدل آية البحث على أن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولزوم التصديق بها مما جاء به الأنبياء السابقين ، الجواب نعم .

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٣) الدر المنثور ١٩/٣ .

طول يوم القيامة

لقد سأل المؤمنون الله عز وجل العصمة من الخزي في مواطن يوم القيامة مع تعدد هذه المواطن وطول الوقوف والمكث فيها .

و(عن أبي سعيد الخدري قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١) ما أطول هذا اليوم ، فقال : والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا)^(٢).

وعن (أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الظالم لنفسه يجبس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يدخل الحزن في جوفه، ثم يرحمه فيدخل الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، الذي أدخل أجوافهم الحزن في طول المحش)^(٣).

و(عن مجاهد، عن ابن عباس قوله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤) قال : انتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة. يعني بذلك: تنزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة سنة)^(٥).

و(عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفا

(١) سورة المعارج ٤.

(٢) الدر المنثور ١٠/١٠٠.

(٣) البحار ٧/١٢٨.

(٤) سورة المعارج ٤.

(٥) تفسير ابن كثير ٨/٢٢١.

كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون، ثم تلا هذه الآية ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ
مُقَدَّارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١) (٢).

الوفاة مع الأبرار

اختتمت الآية الثالثة والتسعين بعد المائة من سورة آل عمران بقوله تعالى
﴿وَوَفَّقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ لبيان تفقه المسلم في أمور الدين وإقراره بالتباين حال الوفاة
بين المؤمن والكافر ، وكذا في حالهم في عالم البرزخ ويوم القيامة .
ومن الفقاهاة في المقام معرفة المسلمين بالخصال الحميدة التي يتصف بها
الأبرار ، ومن فضل الله عز وجل معرفة عامة الناس بالحسن الذاتي
والغيري للبر والإحسان والتقوى .

ومن إعجاز الآية مجئ قوله تعالى ﴿وَوَفَّقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ، بصيغة الدعاء
والتضرع إلى الله عز وجل لبيان أن كيفية قبض ملك الموت لروح المسلم
بأمر ومشئته من عند الله ، وكذا حال الإنسان ساعة الإحتضار لتكون
مناسبة للإستغفار ، ليكون من معاني الآية وذكر المتوفي فيها مسائل :

الأولى : تنبيه المسلم ساعة الإحتضار ليتسغفر الله ويتوب إليه .

الثانية : قانون المؤمنون هم الأبرار .

الثالثة : الأجر والثواب بالإقرار بالوفاة وحلول الأجل والرجوع إلى

الله .

ومن منافع الدعاء لحسن العاقبة مراقبة النفس ، وضبط السلوك ،
والإنزجار عن المحرمات ، وفي قوله تعالى ﴿وَأُتِلُّ عَلَيْهِمْ بَأْسَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ
مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٣) ورد عن ابن عباس (هو

(١) سورة المعارج ٤.

(٢) البحار ١٢٧/٧.

(٣) سورة الأعراف ١٧٥.

رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم ، تعلم اسم الله الأكبر ، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجل جديد ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه مضت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلك مما كان فيه . وفي قوله ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثْ﴾^(١) قال : إن حمل الحكمة لم يحملها وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضاً لهث وإن طرد لهث^(٢).

خواتيم آل عمران

لقد أختتمت أدعية هذه الآيات بالثناء على الله عز وجل لبيان ثقة المسلمين بوعدده ولطفه وسعة رحمته كما ورد في التنزيل ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٣) وفيه تسليم بوقوع يوم الحساب .

ترى لماذا لم تقل الآية (أنك لم تخلف الميعاد) الجواب لأن موضوع الآية والوعد الإلهي متجدد ومتصل إلى يوم القيامة . وفي قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾^(٤) ، ورد الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أنه يوم القيامة ، وسمي بذلك لأنهم وعدوا فيه بالجزاء بعد البعث)^(٥).

لقد أولى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خواتيم سورة البقرة عناية خاصة إذ انها نزلت في السماء ليلة المعراج بفضل من الله عز وجل .

(١) سورة الأعراف ١٧٦ .

(٢) الدر المنثور ٤/٣٦٩ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٤ .

(٤) سورة البروج ١-٢ .

(٥) النكت والعيون ٤/٤٠٢ .

وكذا أولى خواتيم سورة آل عمران ، فكان يتلوها وقت السحر إذ ورد
(عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم،
وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة .

واضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله في طولها، فنام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا انتصف الليل -أو قبله بقليل،
أو بعده بقليل.

استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من منامه.

فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من
سورة آل عمران، ثم قام إلى شنّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام
يصلي .

قال ابن عباس : فقامت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقامت إلى جنبه
فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده اليمنى على رأسي، وأخذ
بأذني اليمنى يفتلها فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم
ركعتين، ثم ركعتين ثم أوتر.

ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج
فصلى الصبح^(١).

هذا إلى جانب تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآيات
في الصلاة وبيانه وتفسيره لها ، والإسشهاد بها .

قانون القرآن كتاب الإستجابة

القرآن كتاب الإستجابة النازلة من عند الله عز وجل ، فكما أنه يتضمن
الأوامر والنواهي ، والبشارة والإنذار ، والوعد والوعيد ، فإنه يتضمن
الإخبار عن إستجابة الله عز وجل للمؤمنين والمؤمنات في أدعيتهم ، وفيه
حجة على الناس للزوم إتخاذ الحياة الدنيا دار الدعاء وبث الأماني
والشكوى إلى الله عز وجل.

(١) تفسير ابن كثير ١٨٧/٢.

وفي يعقوب عليه السلام عندما غاب عنه ولده يوسف عليه السلام وأخوه بنيامين ، وليس من خبر إلا بواسطة أبنائه الآخرين الذين ذهبوا بيوسف فلم يرجعوا به .

ثم سألوا أباهم أن يرسل معهم أخاه بنيامين ، فعادوا وهو ليس معهم ، حينئذ قال يعقوب عليه السلام ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١) .

وهل اجتماع يعقوب مع يوسف وأخيه من مصاديق قوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾^(٢) ، أم أن القدر المتيقن من آية الإستجابة هذه هي أيام نزول القرآن وما بعده ، المختار هو الأول .

ومن خصائص القرآن أنه يتضمن حاجات الناس بصيغة الدعاء والمسألة ، سواء بخصوص الدنيا والآخرة ، ومنها أدعية الأنبياء والصالحين ، ومنه قوله تعالى بخصوص أهل الكهف ﴿ إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾^(٣) .

لقد جاءت أدعية المسلمين والمسلمات في الآيات السابقة للثبات على الإيمان والتبرأ من الظلم والظالمين ، وللنجاة من النار يوم القيامة وما في هذا الدعاء من الإقرار بالتوحيد وعالم الحساب في الآخرة .

وعن أبي سعيد الخدري (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها قالوا : إذن نكثر ؟ قال : الله أكثر)^(٤) .

(١) سورة يوسف ٨٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٣) سورة الكهف ١٠ .

(٤) تفسير القرطبي ٣٠٣/٢ .

لفظ ﴿عَامِلٌ﴾ في القرآن

تدل آية البحث على علم الله عز وجل بما في قلوب أهل الكتاب ، وتبين أن طائفة منهم يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئاً ، لأصالة الإطلاق والتبادر في قوله تعالى ﴿لَسَنُيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ، فهل تشملهم عمومات قوله تعالى ﴿أَنِّي لَأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى...﴾^(١) ، الوارد في آية السياق ، الجواب القدر المتيقن من الآية أعلاه خصوص المؤمنين ، ولكن الدعاء باب فتحه الله عز وجل للناس جميعاً ، لبيان أن استجابة الدعاء في الدنيا تتغشى أهل الأرض .

وهل يشترط في قبول الله عز وجل مطلق العمل وصدق اسم العامل قصد القربة إلى الله تعالى في إتيان ذات العمل ، أم أن الله عز وجل يقبله مطلقاً سواء مع قصد القربة أو بدونه ، المختار هو الثاني .
كما أن لفظ (العامل) في آية السياق يدل بالدلالة الإلزامية على حضور قصد القربة عند إتيان الفعل العبادي .

وقد ذكر لفظ ﴿عَامِلٌ﴾ في القرآن أربع مرات كلها بصيغة التثنية وهي :

الأولى : قبل خمس آيات في قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٢) .

الثانية : في احتجاج وتحدي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه وما هم فيه من الإقامة على الشرك وعبادة الأوثان ، كما ورد في قوله تعالى

(١) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٥ .

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

الثالثة : في احتجاج النبي شعيب على قومه كما ورد في التنزيل ﴿وَيَا قَوْمِ

اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَن هُوَ كَاذِبٌ وَّارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾^(٢).

الرابعة : الأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله

وسلم بالاحتجاج على قومه ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

ترى لماذا تكرر احتجاج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرتين في ذات الموضوع ، الجواب لبيان اجتهاده في تبليغ الرسالة ، وجهاده في سبيل الله ، مع تحمله الأذى الشديد من قومه ، وإنذاره باليوم الآخر وعالم الحساب وسوء عاقبة الظالمين .

الهجرة إلى الحبشة

ذكرت آية السياق اجتهاد المسلمين في طاعة الله ومنهم الذين اختاروا الهجرة على نحو الضرورة وطلب السلامة والنجاة بدينهم لقوله تعالى ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنِّي﴾^(٤) فتركوا ديارهم وأموالهم وجوار البيت الحرام .

(١) سورة الأنعام ١٣٥.

(٢) سورة هود ٩٣.

(٣) سورة الأنعام ١٣٥.

(٤) سورة آل عمران ١٩٥.

وقد هاجر ثلاثة وثمانون رجلاً وتسع عشرة امرأة من المسلمين الأوائل إلى الحبشة في أقصى الأرض ، ومع هذا لم يتركهم كفار قريش فقد بعثوا الخيل في طلبهم قبل ركوب البحر.

واتفق أن وجد المهاجرون سفينتين تريدان أن تبجرا إلى الحبشة فركبوا فيها بأجرة نصف دينار عن كل واحد ، وما أن غادرت السفينتان ميناء الشعبية القريب من ميناء جدة الذي لم يكن موجوداً آنذاك حتى وصلت خيل قريش ، فلم يكفوا بل أرسلوا وفداً للنجاشي لطلب تسليمهم ، إذ بعث قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي وجمعوا له الهدايا ، ولما دخلا على النجاشي سجدا له (ثم قالاه: إن نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا عن ملتنا.

قال: فأين هم ؟ قالاه: في أرضك فابعث إليهم ، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه.

فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك ؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل.

قال: وما ذاك ؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولا، ثم أمرنا ألا نسجد لاحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم.

قال: فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه.

قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي

لم يمسهما بشر ولم يفرضها ولد .

قال: فرفع عودا من الارض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين

والرهبان، والله

ما يزيدون على الذى نقول فيه ما سوى هذا، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد في الانجيل، وأنه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم^(١).

وقالوا أن أبا موسى الأشعري ممن هاجر إلى الحبشة ولكنه لم يكن معهم ، وقد وفد وأصحابه من الأشعريين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوان قدوم أهل السفينتين جعفر بن أبي طالب وأصحابه من أرض الحبشة (ووافقوا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بخير فقالوا: قدم أبو موسى مع أهل السفينتين .

ولم يذكره موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبو معشر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة)^(٢).

أوان محو الذنوب

لقد أكرم الله عز وجل المسلمين في آية السياق بالإستجابة الفورية لدعائهم ، فلا ينحصر موضوع قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٣)، بالوعد الكريم بالإستجابة بل يكون على وجوه :

الأول : الإستجابة الفورية لأدعية المسلمين .

الثاني : مغفرة الذنوب وتكفير السيئات ابتداء من عند الله ، ورحمة للذرية بسبب إيمان أبيهم .

الثالث : من مصاديق قوله تعالى ﴿يُنْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٤)،

محو الذنوب عن المؤمنين الذي يأتي بفضل من الله وعلى وجوه :

الأول : المحو الحال حال الدعاء .

الثاني : المحو المتجدد في أيام المؤمن في الحياة الدنيا .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١٠/٢ .

(٢) أنظر الطبقات الكبرى / لابن سعد ١٠٥/٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٥ .

(٤) سورة الرعد ٣٩ .

الثالث : محو ذنوب المؤمن بعد دخوله القبر ، وهو في عالم البرزخ .
وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (عن آبائه عليهم السلام قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مر عيسى بن مريم بقبر يعذب صاحبه
ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب .
فقال : يا رب مررت بهذا القبر عام أول ، فكان صاحبه يعذب ثم مررت
به العام فإذا هو ليس يعذب .

فأوحى الله عز وجل إليه يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح
طريقا وأوى يتيما فغفرت له بما عمل ابنه^(١) .
و(عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى بَغْلَةٍ
شَهْبَاءَ فَمَرَّ عَلَى حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ فَإِذَا هُوَ بِقَبْرِ يَعْذِبُ صَاحِبُهُ فَحَامَتِ الْبَغْلَةُ
فَقَالَ لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُونَا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ عَذَابَ الْقَبْرِ^(٢)) وهل إلى
مرد من سبيل .

وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (خَيْرُ بَيْنِ
الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نَصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعْمُ
وَكَفَى أَثْرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ)^(٣) .

الرابع : محو الذنوب في المحشر ومواطن الحساب .

الخامس : محو الذنوب وإسقاط العقاب بالشفاعة يوم القيامة .

ومما يمحو الله عز وجل عن الإنسان في الحياة الدنيا مقدمات الذنوب ،
كما يزيح موانع عمل الخير .

و(عن كريب ، عن ابن عباس ، أنه مات له ابن بعسفان ، فقال : يا
كريب ، هل اجتمع له الناس ؟ فخرجت فإذا الناس قد اجتمعوا له قال :
اجتمعوا له أربعون .

(١) البحار ١٠١/١٠١ .

(٢) مسند أحمد ١٤١/٢٥ .

(٣) سنن ابن ماجه ٢٥/١٣ .

قلت : نعم قال : أخرجوه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ما من رجل مسلم يموت ، فيقوم على جنازته أربعون رجلا ، لا يشركوا بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (قال: إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلا من المؤمنين فقالوا : اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيرا وأنت أعلم به منا ، قال الله تبارك وتعالى : إني قد أجزت شهادتكم ، وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون)^(٢).

ومن أسماء الله الحسنى الغفور والغفار ، وغافر الذنب ، العفو ، وهو الذي يتجاوز عن خطايا عباده من وجوه كثيرة منها :

الأول : إذا تابوا وأنبأوا .

الثاني : التجاوز عن ذنوب طائفة من الناس ابتداء من الله تعالى .

الثالث : اللطف من الله بتقريب العبد إلى الطاعة وإبعاده عن المعصية .

الرابع : تهيئة مقدمات التوبة .

الخامس : إزاحة الأسباب التي تحول دون التوبة والإنابة .

وهل الثناء على أمة أو طائفة من الناس في القرآن بشارة المغفرة لهم ،

الجواب نعم ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣).

وتتجلى موضوعية الإيمان والتقوى وأداء الفرائض العبادية في قوله

تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَا هُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٤).

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٢٢٩/١٩.

(٢) البحار ٣٧٦/٧٨.

(٣) سورة الفتح ١٤.

(٤) سورة المائدة ٦٥.

من مصاديق الإيمان

لقد ذكرت آية البحث ثلاثة وجوه من مصاديق الإيمان التي تتصف بها طائفة من أهل الكتاب وهي :

الأول : الإيمان بالله عز وجل ، وهو الأصل ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

الثاني : الإيمان بالقرآن .

الثالث : الإيمان بالتوراة والإنجيل .

وذكرت الآية الإيمان بـ ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ على نحو الإجمال .

وهل هو وفق السبر والتقسيم على جهات :

الأولى : إيمان النصارى بنزول الإنجيل .

الثانية : كل من اليهود والنصارى يؤمنون بنزول التوراة والإنجيل

والزبور مجتمعة .

الثالثة : فيه تفصيل فالنصارى يؤمنون بنزول التوراة والإنجيل ، ويؤمن

اليهود بنزول التوراة .

والأمر في آية البحث سهل لأنها تذكر خصوص طائفة من أهل الكتاب

، ولم تذكر خصوص ملة منهم على نحو الحصر والتعيين .

لقد قدمت آية البحث الإيمان بالله لبيان إتصافهم بتوحيد الله عز وجل ،

وهو الذي يسمى توحيد الربوبية بالإعتقاد والإقرار بأن الله تعالى تفرد

بالمملك والقدرة المطلقة والمشية والتدبير والخلق والرزق ، وأنه ربنا ورب

الخلائق كلها .

لذا يتلو كل مسلم ومسلمة قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، على

نحو الوجوب العيني خمس مرات في اليوم والليلة .

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) سورة الفاتحة ٢ .

وأما توحيد الإلوهية فهو الإعتقاد بتفرد الله عز وجل في استحقاق العبادة ، ولا يجوز للإنس والجن التوجه بها إلى غيره كالأصنام والطواغيت ، وورد في التنزيل حكاية عن فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (١).

ومن العبادات الصلاة والصيام والحج والزكاة ، ومنها ما تكون عبادة قلبية وفكرية منها صدق الإيمان ، والتوكل على الله ، ورجاءه والتوجه إليه بالدعاء والإستغاثة ، وفي معركة بدر لم ينم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعركة بل اجتهد بالدعاء فيها قائماً راکعاً ساجداً .

فنزل قوله تعالى ﴿إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئْتِ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ (٢).

وعن الإمام علي عليه السلام (قال قد رأيتنا ليلة بدر وما منا أحد إلا وهو نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه كان يصلي إلى شجرة يدعو حتى أصبح ولقد رأيتنا وما فينا فارس إلا المقداد وفي حديث الزعفراني ولقد رأيتنا وما فينا فارس إلا المقداد) (٣).

ويبين هذا الحديث نزول السكينة على البدرين ، فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد بالدعاء ليلته كلها ، أما المهاجرون والأنصار فإنهم ناموا بطمأنينة وعدم الخوف من جيوش المشركين مع أنهم ثلاثة أضعاف عدد الصحابة ، أما بالنسبة للخيل فهي نسبة ١٪ لأن مع المشركين مائة فرس ، وعند المسلمين فرس واحدة .

وتقسيم التوحيد إلى قسمين توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلوهية تقسيم استقرائي مستحدث .

(١) سورة النازعات ٢٤ .

(٢) سورة الأنفال ٩ .

(٣) تاريخ دمشق ٦٠ / ١٦٤ .

كتاب الكفارات^(١)

الكفارة اسم للتكفير الذي هو في اللغة بمعنى الستر، وسمي الفلاح كافراً لأنه يستر الحب في الأرض، والكافر سمي به لأنه يستر الحق، والكفارة في الشرع تستر الذنب وهي عبادة مخصوصة لها أحكامها وكيفيتها بحسب موجبها.

والكفارة على خمسة اقسام :

في كفارة القتل

(مسألة ١) صيام الكفارة يؤديه الجاني ، إلا إذا مات ولم يؤده فيقضى عنه من ماله ، وإذا تعذر فيلزم الابن الأكبر .

واجماع علماء الإسلام أن من مات وعليه صيام صام عنه وليه ، أي سواء كان صياماً واجباً بالذات كالإفطار في شهر رمضان ، أو واجباً بالعرض كصيام الكفارة .

(مسألة ٢) كفارة قتل المؤمنة مثل كفارة قتل الرجل لاطلاق الحكم في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِخْطَاءً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾^(٢) ، فيشمل الذكر والأنثى ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، وعلى خلاف في العبد .

(مسألة ١٧) الإطعام الواجب في الكفارة يصح على أربعة وجوه:
الأول : اشباع المساكين ، والإشباع إما أن يكون وفق المتعارف والمعتاد كما وكيفاً واما ان يكون بمقدار شبعهم فلا يحدد من طرف القلة والكثرة .
الثاني : تسليم الطعام الى المساكين بان يسلم لكل منهم مداً من الطعام وهو كيلو الا ربعاً تقريباً والأحوط مدان .

الثالث : اطعام بعضهم والتسليم للبعض الآخر .

(١) انظر التفصيل في رسالتنا العملية (الحجة) ٤/ ١٧٨ .

(٢) سورة النساء ٩٢ .

الرابع : دفع القيمة على نحو الوكالة.

(مسألة ١٨) يشترط في الإطعام إكمال عدد المساكين سواء كانوا ستين او عشرة بحسب الكفارة ففي كفارة افطار يوم من شهر رمضان عمداً لا يصح اطعام ثلاثين مسكيناً مرتين، او في كفارة حنث اليمين فلا يجوز اطعام خمسة مرتين او تسليم مسكينين كل واحد خمسة أمداد.

(مسألة ١٩) لا يجب اجتماع المساكين سواء في تسليم الطعام لهم او اشباعهم فيصح اطعام ستين مسكيناً في اوقات متفرقة او في بلدان مختلفة. (مسألة ٢٠) الواجب في الإشباع لكل مسكين وجبة واحدة.

(مسألة ٢١) يجزي في الإشباع كل قوت متعارف ويتقوت به غالب الناس فتصح الحنطة والشعير والأرز سواء كان مطبوخاً او نيئاً ويجزي الدقيق والخبز وان كان بلا ادم والأفضل ان يكون مع الأدام، وما يسوغ لعيال صاحب الكفارة اكله قال تعالى ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾^(١)، ويجزي الدقيق والأولى التمر لأنه ادم.

(مسألة ٢٧) المراد بالمسكين الذي هو مصرف الكفارة الفقير الذي يستحق الزكاة وهو من لم يملك قوت سنته لا فعلاً ولا قوة، ويشترط فيه :
الأول : الإسلام والأحوط استحباباً الإيمان.

الثاني : ان لا يكون ممن تجب نفقته على الدافع كالوالدين والأولاد والزوجة الدائمة وتجاوز لسائر الأقارب والأرحام حتى الأخوة والأخوات ممن لا تجب نفقته.

الثالث : ان لا يكون متجاهراً بالفسق، نعم لا يشترط في المستحق للكفارة العدالة.

(مسألة ٢٨) يجب ان لا يجعل المستحق الكفارة في الحرام او مقدمة للحرام او اعانة عليه.

(مسألة ٢٩) الأقوى جواز اعطاء غير الهاشمي كفارته الى الهاشمي.

وقد وردت الكفارة في حنث اليمين ، قال تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

وبين طائفة من أهل الكتاب الذين آمنوا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن من عند الله عز وجل .

صحابه كانوا من أهل الكتاب

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دخول عشرات الآلاف من الناس في الإسلام في أيام حياته ، وأكثرهم من العرب الذين كانوا يعبدون الأوثان ، كما دخل أناس كثيرون من اليهود والنصارى والمجوس في الإسلام قبل أن يغادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ومنهم :

- الأول : عبد الله بن سلام .
- الثاني : عدي بن حاتم الطائي ، تقدمت قصة إسلامه .
- الثالث : تميم الداري .
- الرابع : سلمة ابن أخي عبد الله بن سلام .
- الخامس : سلام ابن اخت عبد الله بن سلام .
- السادس : سلمان الفارسي .
- السابع : بجير بن بجرة ، الذي قاتل ضد الذين ارتدوا بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- الثامن : الأصبغ بن عمرو .
- التاسع : الجارود بن المعلی .
- العاشر : ثعلبة بن سعية .

الحادي عشر: أسد بن سعية القرظي .

الثاني عشر: أسد بن عبيد .

وفي إسلام الصحابة الثلاثة أعلاه ذكر ابن إسحاق باسناده أنهم قالوا ليلة فتح قريظة (يا معشر يهود أنه والله للرجل الذي كان وصف لنا بن الهبيان فاتقوا الله واتبعوه فأبوا عليهم فنزل الثلاثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا)^(١).

الثالث عشر: أسد بن كعب القرظي: روى ابن جرير من طريق ابن

جريح قال في قوله تعالى ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾^(٢) قال هم عبد الله ابن سلام وأخوه ثعلبة وسعية وأسد وأسيد وأبنا كعب)^(٣).

ومع قلة كلمات الخبر أعلاه فقد وردت فيه سبعة أسماء من الصحابة الذين كانوا على ملة أهل الكتاب .

الرابع عشر: مخيريق أحد بني ثعلبة من الفطيون من يهود المدينة وكان حبراً وأسلم السنة الثالثة للهجرة .

الخامس عشر: الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة الكلبي كان نصرانياً ، وهو رئيس في قومه أسلم في السنة السادسة للهجرة .

إذ (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الرحمن بن عوف في سبعمائة إلى دومة الجندل وذلك في شعبان سنة ست من الهجرة .

فنقض عمامته بيده ثم عممه بعمامة سوداء فأرعى بين كتفيه منها، فقدم دومة فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ثلاثاً ثم أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رأسهم .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١٥/١ .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ١٥/١ .

فبعث عبد الرحمن فأخبر النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، بذلك فكتب إليه أن تزوج تماضر بنت الأصبح، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها وأقبل بها وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن^(١).

السادس عشر: الذين أسلموا من نصارى نجران ونصارى الحبشة.

تميم الداري

تميم بن أوس الداري ويكنى أبو رقية من فلسطين، والدار: بطن من لحم، فخذ من يعرب بن قحطان، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم منصورفة من تبوك سنة تسع في وفد الدارين وعددهم عشرة فأسلموا، ولتميم عدة أحاديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ورد (عن فاطمة بنت قيس، قالت: قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم تميم الداري فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ركب البحر فتاهت به سفينته، فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء، فلقى إنسانا يجر شعره، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الجساسة. قالوا: فأخبرنا.

قال: لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة. فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال: من أنتم؟ قلنا: ناس من العرب. قال: ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم؟ قلنا: قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه.

قال: ذلك خير لهم. قال: أفلا تخبروني عن عين زعر ما فعلت؟ فأخبرناه عنها، فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار ثم قال: ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد؟ فأخبرناه أنه قد أطعم، فوثب مثلها، ثم قال: أما لو قد أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طيبة.

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣/١٢٩.

قالت: فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحدث الناس، فقال: هذه طيبة وذاك الدجال. (١).

وعن عكرمة قال تميم يوم أسلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا رسول الله، إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم، قال: هي لك، وكتب له بها، قال: ثم جاء تميم بالكتاب إلى عمر فقال: أنا شاهد ذلك، وأعطاه إياه) (٢).

وذكر ابن سيرين أن تميم الداري ممن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحدث تميم عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية عشر حديثاً.

وعن (مسروق): قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري: صلى ليلة حتى أصبح أو كاد، يقرأ آية يرددها ويكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٣) (٤).

مات تميم سنة أربعين للهجرة في قرية في فلسطين وهبها له النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (قال ابن حبان: مات بالشام وقبره بيت جبرين من بلاد فلسطين) (٥).

الصحابي مخيريق

كان مخيريق عالماً غنياً كثير الأموال، ويملك البساتين من النخل، وهو من بني قينقاع، وكان مخيريق يعرف بما عنده من العلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفته الرسالية، وعندما هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة عرف مخيريق أنه نبي آخر الزمان، ولكنه بقي

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/١٦٨.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١/٤٨٠.

(٣) سورة الجاثية ٢١.

(٤) سير اعلام النبلاء ٢/٤٤٥.

(٥) الإصابة في معرفة الصحابة ١/١٣٣.

على دين قومه لما ألفه ولإرجائه دخول الإسلام ، حتى وقعت معركة أحد يوم السبت النصف من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة .

فقال يا معشر اليهود ، والله أنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : أن اليوم يوم سبت ، لا نعلم ولا نقاتل فيه . فأجابهم : لا سبت لكم .

لقد أخبر مخيريق بأنهم يعملون بصدق الرسالة ، وأن هناك عقداً بين النبي محمد وبينهم الذي يسمى صحيفة المدينة ، وميثاق المدينة ولكنهم احتجوا بأن يوم معركة أحد يصادف يوم السبت (شابات) وهو يوم خصص للراحة والعبادة عندهم حسب سفر الخروج .

(ثُمَّ أَخَذَ سَلَاحَهُ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَحَدٍ وَعَهْدَ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِنْ قُتِلَتْ هَذَا الْيَوْمَ فَأَمْوَالِي لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِيهَا مَا أَرَاهُ اللَّهُ) (١) أي أن مخيريق يعلم بأن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يقول ولا يفعل إلا بالوحي من عند الله عز وجل ، فقاتل مخيريق يوم أحد حتى قتل (فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغني - يقول "مخيريق خير يهود" .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمواله فعاماً صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة منها ، وذكر حديث مخيريق ، وقال فيه مخيريق خير يهود ، ومخيريق مسلم) (٢) .

ولم يقل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير اليهود ، إنما قال خير يهود بصيغة التنكير ، كثمود وإرادة نسبتهم إلى يهود بن يعقوب ، وليبان أن ملته قبل الإسلام كانت اليهودية .

وفي قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا ترغيب لليهود بالإسلام ، وبيان علو مرتبة الذين دخلوا الإسلام منهم ، لذا لما قتل

(١) الروض الأنف ٢/٣٧٥ .

(٢) الروض الأنف ٢/٣٧٥ .

مُخَيَّرِيقُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (مُخَيَّرِيقُ سَابِقُ يَهُودِ،
وَسَلْمَانَ سَابِقِ فَارِسَ، وَبِلَالَ سَابِقِ الْحَبْشَةِ .

قال : وأسماء أموال مُخَيَّرِيقُ التي صارت للنبي صلى الله عليه وآله
وسلم: الدلال، وبرقة، والأعواف، والصفافية، والميثب، وحسنى، ومشربة
أم إبراهيم.

فأما الصفافية والبرقة والدلال والميثب، فمجاورات بأعلى السورين من
خلف قصر مروان بن الحكم، فيسقيها مهزور.

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور، فإذا خلفت بيت مدراس
اليهود، فحيث مال أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة الأسدي، فمشربة أم
إبراهيم إلى جنبه، وإنما سُميت (مشربة أم إبراهيم) لأن أم إبراهيم من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولدتها فيها، وتعلقت حين ضربها
المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة، فتلك الخشبة اليوم معروفة في
المشربة.

وأما حُسنَى فيسقيها مهزور وهي من ناحية القف.

وأما الأعواف فيسقيها أيضاً مهزور، وهي في أموال بني محمّم^(١).

بحيرى^(٢) الراهب

لقد ركب أبو طالب إلى الشام للتجارة فتعلق به النبي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وسأله أن يخرج معه ، وعمر النبي آنذاك اثنتا عشرة سنة
وقيل عشر سنوات ، وكان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حباً جماً (وَقَالَ وَاللَّهِ لَأُخْرِجَنَّ بِهِ مَعِيَ ، وَلَا يُفَارِقُنِي ، وَلَا أُفَارِقُهُ أَبَدًا)^(٣).

(١) تاريخ المدينة المنورة ١/١١١.

(٢) يذكر في بعض الأخبار بالألف الممدودة (بحيرا) وقيل كل الأسماء الأعجمية التي
تختم بالألف تكون الألف فيها ممدودة إلا خمس أسماء فقط تكون الألف فيها مقصورة
وهي : موسى ، عيسى ، بخارى ، كسرى ، متى .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ١/١٨٠.

وعن أبي سعيد الخدري (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بعثت ولي أربع عمومة، فأما العباس فيكنى بأبي الفضل، ولولده الفضل إلى يوم القيامة، وأما حمزة فيكنى بأبي يعلى، فأعلى الله قدره في الدنيا والآخرة، وأما عبد العزى فيكنى بأبي لهب، فأدخله الله النار وألهبها عليه، وأما عبد مناف فيكنى بأبي طالب، فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة)^(١).

ومن معاني المطاولة في الحديث أعلاه استدامة حال العز لأهل البيت ، وأن الأذى والضرر الذي يلقونه لا يضعف حالهم ، ولا ينقص من شأنهم . ونزل الركب في بصرى بلدة في الشام وكان فيها راهب نصراني يقيم في صومعته عنده علم من الكتاب يتوارثونه كابراً عن كابر .

وكانت قوافل قريش كثيراً ما تمر عليه ، فلا يكلمهم ، فلما نزلوا قريباً منه تحت ظل شجرة رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفات النبوة التي عنده ، وغمامة تظله ، ونظر إليها وكيف أنها أظلت الشجرة . فصنع بحيرى لهم طعاماً كثيراً ، ونزل إليهم من صومعته ودعاهم للغداء عنده ، وقال لهم (فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلَّكُمْ صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ وَعَبْدُكُمْ وَحُرُكُمْ)^(٢).

فاستغربوا منه هذه الدعوة إذ كانوا يملكون عليه لسنوات فلا يلتفت إليهم لأنه منقطع إلى العبادة والنسك وفي حال عزلة عن الناس ، فحضروا عنده ، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحداثة سنة في رحالهم تحت الشجرة .

فنظر إليهم بحيرى ولم يجد ذات الصفة التي عرفهم بها وإقام لهم الوليمة بسببها ، فسألهم بحيرى هل تخلف أحد منكم عن هذه الوليمة .

(١) مختصر تاريخ دمشق ١/٣٨٦٨ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ١/١٨٠ .

قالوا نعم غلام لم يحضر لحداثة سنة ، فقال أذعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

(فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ وَاللَّاتِي وَالْعَزَى ، إِنَّ كَانَ لِلْقَوْمِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ طَعَامٍ) (١).

فاحضروا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما رآه بحيرى عن قرب صار يلحظه بشدة ، ويتفحص في جسده وحركته برصد ظاهر جسده ليصير علامات نبي آخر الزمان .

ثم قام بحيرى باختباره فقال (يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه وإنما قال بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يخلفون بهما فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له :

لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما . فقال له بحيرا : فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه قال : سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهبته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده) (٢).

حينئذ أقبل بحيرى على أبي طالب ، وسأله عن صلته به ، قال أبو طالب إنه ابني ، فقال بحيرى في الحال : ما هو ابنك .

لأن بحيرى يجد أن من علامات نبي آخر زمان أنه يتيم عندئذ قال أبو طالب (فإنه ابن أخي قال : فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به .

قال : صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليينغينه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده) (٣).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١/١٨٠.

(٢) سيرة ابن إسحاق ١/٥٣.

(٣) سيرة ابن إسحاق ١/٥٣.

وأراد نفر من أهل الكتاب هم زبير وتمام ودريس النيل من النبي ،
فردهم عنه بحيرا ، وقال لن تصلوا إليه .

فقال أبو طالب شعراً يوثق به هذه الواقعة منه :

إن ابن آمنة النبي محمدا ... عندي بمثل منازل الأولاد
لما تعلق بالزمام رحمته ... والعيس قد قلص بالأزواد
فأرفض من عيني دمع ذارف ... مثل الجمان مفرق الفراد
راعت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصية الأجداد
وأمرته بالسير بين عمومه ... بيض الوجوه مصالت أنجاد
ساروا لأبعد طية معلومة ... فلقد تباعد طية المرتاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من المرصاد
حبرا فأخبرهم حديثا صادقا ... عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأى ... ظل الغمام و عز ذي الأكياد
ساروا لقتل محمد فنهاهم ... عنه وأجهد أحسن الإجهاد
فثنى زبيرا بحيرا فأنثنى ... في القوم بعد تجادل و بعد
ونهى دريسا فأنتهى عن قوله ... حبر يوافق أمره برشاد
وقال أبو طالب أيضا :

ألم ترني من بعد هم هممته ... بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي ... برحلي وقد ودعته بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا ... وأخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة ... تجود من العينين ذات سجام
فقلت : تروح راشدا في عمومة ... مواسين في البأساء غير لثام
فرحنا مع العير التي راح أهلها ... شأمي الهوى والأصل غير شأم
فلما هبطنا أرض كسرى تشرفوا ... لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا ... لنا بشراب طيب و طعام
فقال : اجمعوا أصحابكم لطعامنا ... جمعنا القوم غير غلام
يتيم فقال : ادعوه إن طعامنا ... كثير عليه اليوم غير حرام

فلما رآه مقبلا نحو داره ... يوقيه حر الشمس ظل غمام
 حنا رأسه شبه السجود و ضمه ... إلى نحوه و الصدر أي ضمما
 وأقبل ركب يطلبون الذي رأى ... بحيرا من الأعلام وسط خيام
 فثار إليهم خشية لعراهم ... و كانوا ذوي دهي معا و عرام
 دريسا و تماما و قد كان فيهم ... زبير و كل القوم غير نيام
 فجأؤوا و قد هموا بقتل محمد ... فردهم عنه بحسن خصام
 بتأويله التوراة حتى تفرقوا ... و قال لهم : ما أنتم بطغام
 فذلك من أعلامه و بيانه ... و ليس نهار واضح كظلام^(١).

لو قال بحيرى أنى لأحسبه (الذي بشر به عيسى؛ فإن زمانه قد قرب
 فاحتفظ به، فرده إلى مكة)^(٢).

وهل ما قام به بحيرى الراهب يومئذ وتوصيته لأبي طالب من مصاديق
 آية البحث ، الجواب نعم .

وفي مروج الذهب للمسعودي أن بحيرا نصراني من عبد قيس يقال له
 جرجيس ، وعن الزهري انه من يهود تيماء^(٣) ، والصحيح أنه نصراني كان
 عنده علم النصرانية .

نسطورا الراهب

من فضل الله عز وجل تكرار المعجزة في الموضوع المتحد مثل مجئ
 الحكم في القرآن ثم مجئ آية أخرى تؤكد ، وتمنع التأويل الخاطئ فيه .
 وعن يعلى بن منبه التميمي حليف قريش والذي أسلم يوم الفتح قال
 (لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسا وعشرين سنة ، وليس
 له بمكة اسم إلا الأمين لما تكامل فيه من خصال الخير)^(٤).

(١) السيرة لابن اسحاق ٥٣/١.

(٢) أسد الغابة ٩/١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٢/١.

(٤) الطبقات الكبرى ١٥٦/١.

قال له أبو طالب أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عير قومك قد حضر أوان خروجها لبيان أن خروجهم بوقت معين يسبق يوم الحج وحركة التجارة في الحجاز ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِلْيَافٍ قُرَيْشٍ * إِبْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (١).

ثم أشار عليه أبو طالب أن يعرض نفسه لخديجة بنت خويلد لتولي تجارتها ، فبلغ خديجة قول أبي طالب فأرسلت على النبي وضاعفت له العطاء .

فخرج في تجارتها ومعه غلام لها اسمه ميسرة ، حتى إذا بلغا مدينة بصرى في نواحي الشام ، ومعناها الحصن وهي تابعة في هذا الزمان إلى مدينة درعا ، وتبعد عن مركزها (٤٠) كم وعن دمشق (١٤٠) كم . وكانت بصرى عامرة أيام الرومان والغساسنة ، وهي محطة رئيسية لقوافل التجارة ، ثم قوافل الحج ، فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ميسرة في ظل شجرة عند سوق بصرى قريباً من صومعة راهب من الرهبان يقال له : نسطور .

ولما رآهما الراهب نادى ميسرة ، كان يعرفه لتردده على المكان ، فقال له : من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة ، فقال ميسرة : رجل من قريش من أهل الحرم .

ثم قال نسطور في عينيه حمرة ؟ قال ميسرة نعم لا تفارقه (قال الراهب هو آخر الأنبياء يا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى غيرها فكان بينه وبين رجل اختلاف في شيء فقال له الرجل أحلف بالللات والعزى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حلفت بهما قط واني لأمر فأعرض عنهما قال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا

والله نبي والذي نفسي بيده انه لهو تجده أحبارنا في كتبهم منعوتا فوعى ذلك
ميسرة ثم أنصرف أهل العير جميعا^(١).

و(قدم مكة في ساعة الظهرية وخديجة في علية لها معها نساء فيهن نفيسة
بنت منبه فرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل وهو
راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها .

فعجبين لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما
ربحوا في وجههم فسرت بذلك فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت .
فقال ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول الراهب
نسطور وما قال الآخر الذي خالفه في البيع وربحت في تلك المرة ضعف ما
كانت تربح وأضعفت له ضعف ما سمت له .

أخبرنا عبد الحميد الحماني عن النضر أبي عمر الخزاز عن عكرمة عن
ابن عباس قال أول شيء رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النبوة أن
قيل له استتر وهو غلام فما رثيت عورته من يومئذ^(٢).

لتكون هذه السفارة سبباً في زواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
من خديجة ثم تسخيرها أموالها في سبيل الله ، وملاقاتها العناء في حصار
بني هاشم من قبل رؤساء قريش لثلاث سنين ، من السنة السابعة للبعثة
النبوية .

و(عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ﴾^(٣) في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس
وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين
وهؤلاء مؤمنوا أهل الكتاب.

(١) الطبقات الكبرى ١/١٥٦.

(٢) الطبقات الكبرى ١/١٥٧.

(٣) سورة النساء ١٣٦.

سلمة بن سلامة بن وقش: بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي أبو عوف^(١).

مضامين آية البحث

لقد تضمنت آية البحث الثناء على أهل الكتاب من جهات :
الأولى : نعت اليهود والنصارى بأنهم أهل كتاب سماوي ، وفيه توبيخ وتبكيك للذين كفروا من قريش ونحوهم من عبدة الأوثان وأهل الجاهلية .
الثانية : شهادة القرآن بايمان طائفة من أهل الكتاب بالله عز وجل ، وهذا لا يعني أن الطائفة الأخرى من أهل الكتاب لا يؤمنون لكنها حُرمت نفسها من التصديق بنزول القرآن من عند الله ، قال تعالى ﴿وَدَكِّيرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَهَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

وآية البحث من المصاديق العامة لقوله تعالى ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ . وجاءت آية البحث لبيان اختصاص طائفة من أهل الكتاب بالجمع بين الإيمان بالله ونزول القرآن ، والتوراة والإنجيل لتلقي هذه الطائفة مع إيمان المسلمين بالله ورسله وكتبه ، وهل من هذا الإيمان الإقرار باليوم الآخر ، الجواب نعم ، لأنه من أصول الديانات السماوية .

الثالثة : إخبار آية البحث عن إيمان أهل الكتاب بما أنزل الله عز وجل على الأنبياء السابقين من التوراة والإنجيل والزبور لقوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلِ إِلَيْهِمْ﴾ .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٤٥٥/١ .

(٢) سورة البقرة ١٠٩ .

الرابعة : خشوع طائفة من اليهود والنصارى والمجوس لله ، وهذا الخشوع فرع الإيمان بالله عز وجل مع التذلل والخضوع له تعالى والإمتناع عن قسوة القلوب .

ومن الخشوع حضور القلب عند الذكر ، وفي الثناء على النبي زكريا وأهله ، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(١).

و(عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يَسْمَعُ وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ)^(٢).
الخامسة : امتناع طائفة من أهل الكتاب عن التفريط بما نزلت به الكتب السماوية السابقة وإعراضهم عن الدنيا الفانية وما فيها من المباحج ، فاذا تعارض الإيمان بالقرآن مع الجاه والمال فانهم يبقون على إقرارهم بنزول القرآن من عند الله ، ليكونوا سبياً في درء الفتنة .

السادسة : الوعد من الله عز وجل للذين يؤمنون بالله والكتب السماوية السابقة ، ويقرون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكونوا دعاة لدخول الإسلام ، وأعداء للذين كفروا الذين حملوا السلاح لغزوه وقتاله في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين وغيرها .
ومن إعجاز آية البحث مجئ الوعد الإلهي متصلاً في ذات الآية على خصائص حميدة عند طائفة من أهل الكتاب .

السابعة : بيان إحاطة الله عز وجل علماً بأفعال العباد وأنه سبحانه يجازيهم عاجلاً وأجلاً ، قال تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾^(٣) وإذا

(١) سورة الأنبياء ٩٠.

(٢) مسند أحمد ٨٠/٢٦.

(٣) سورة النبا ٢٩.

أختتمت آية البحث بأن الله عز وجل ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فإن آيات أخرى تبين الحساب الأخروي يوم القيامة .

وهل من سرعة الحساب في آية البحث الوحي من عند الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرفق والرفقة بأهل الكتاب ونزول القرآن بقبول الجزية منهم ، وعدم إكراههم على دخول الإسلام .

الجواب نعم ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بحماية وحفظ حقوق أهل الكتاب والعدل والإنصاف معهم ، وينهى عن التعدي عليهم ، سواء الذين يصدقون بنزول القرآن أو لا ، قال تعالى ﴿لَا يَتَّهِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١).

وفي المرسل سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام (عن المجوس أكان لهم نبي؟ فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكة أن اسلموا وإلا نابذتكم بالحرب.

فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله ان خذ منا الجزية ودعنا على عبادة الاوثان ، فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وآله اني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب .

فكتبوا اليه يريدون بذلك تكذيبه صلى الله عليه وآله زعمت انك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثم أخذت الجزية من مجوس هجر . فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وآله ان المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه اتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور(٢).

(١) سورة الممتحنة ٨.

(٢) تهذيب الأحكام ١/١٢٣.

منافع آية البحث

تحتل آية البحث في أثرها وجوهاً :

الأول : إزدياد أعداد أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله والقرآن والكتب السماوية السابقة .

الثاني : بقاء عدد أهل الكتاب الذين يؤمنون بنزول القرآن من غير زيادة أو نقصان .

الثالث : آية البحث مقدمة وترغيب لأهل الكتاب للتدبر في آيات القرآن ، والجمع بين مضامينه وأحكامه ، وبين أحكام الكتب السماوية السابقة ، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(١) .

والصحيح هو الأول والثالث أعلاه .

وهو من إعجاز الآية القرآنية الغيري لقانون ترتب النفع كل يوم على الآية القرآنية من وجوه :

الأول : تلاوة الآية القرآنية .

الثاني : الإستماع للآية القرآنية ، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢) .

الثالث : العمل بمضامين الآية القرآنية .

ومن اللطف الإلهي عدم اختصاص النفع من العمل بالآية القرآنية بالعامل بها ، إنما يشمل الذي يرى عمله ويسمع به ، وهو من مصاديق قوله

(١) سورة النساء ٨٢ .

(٢) سورة الأعراف ٢٠٤ .

تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

موضوع آية البحث

ورد في أسباب نزول آية البحث أن النبي محمداً علم بالوحي بموت
النجاشي في ذات اليوم الذي توفي فيه ، فصلى عليه .
وقال جابر وابن عباس (وأنس : نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه
أصحمة ، وهو - بالعربية - عطية ، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الذي مات فيه ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : اخرجوا ، فصلوا على أخ لكم
مات بغير أرضكم ، فقالوا : من هو؟
قال النجاشي ، فخرج إلى البقيع ، وكُشف له إلى أرض الحبشة ،
فأبصر سرير النجاشي ، وصلى عليه أربع تكبيرات ، واستغفر له ، فقال
المنافقون : انظروا إلى هذا يصلي على عِلج حبشي ، نصراني ، لم يره قط ،
وليس على دينه .

فأنزل الله هذه الآية^(٢).

وموضوع الآية متجدد ، ففي كل زمان هناك طائفة من اليهود
والنصارى يؤمنون بالله ونزول القرآن والكتب السماوية السابقة .
وعن الإمام الصادق عليه السلام (للقرآن تأويل يجري كما يجري الليل
والنهار ، وكما تجري الشمس والقمر ، فإذا جاء تأويل شئ منه وقع ، فمنه ما
قد جاء ، ومنه ما يجيء)^(٣).
وفيه وجوه :

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) تفسير اللباب لابن عادل ١/٥.

(٣) البحار ٧٩/٣.

الأول : يمكن القول بالتفصيل في الآية وأن كل أهل الكتاب يؤمنون بالله الهأ وخالقاً ورباً ، ولكن الذين يؤمنون بنزول القرآن منهم طائفة ، وورد التبعض في الآية لإجتماع عدة مصاديق من الإيمان .

الثاني : بيان الملازمة بين الإيمان بالله والتصديق بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

الثالث : من يؤمن بالله يجب عليه الإيمان بنزول الكتب السماوية من عند الله وبعثه الأنبياء .

الرابع : تبين آية البحث حال طائفة من أهل الكتاب ، وما تتصف به من الإيمان بين عموم أهل الكتاب .

ويمكن الفصل والتمييز بلحاظ قاعدة السبر والتقسيم بأن كل أهل الكتاب يؤمنون بالله ، وأن اليهود يؤمنون بنزول التوراة على موسى عليه السلام والنصارى يؤمنون بنزول التوراة والإنجيل ولكن آية البحث كشفت عن حقيقة وقانون وهو إيمان طائفة من أهل الكتاب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن القرآن حق وصدق .

بين المعجزة الحسية والعقلية

يمكن تقسم معجزات الأنبياء إلى ثلاث أقسام :

الأول : المعجزة الحسية وهي مصاحبة لكل نبي ورسول .

الثاني : المعجزة العقلية وهو القرآن .

الثالث : المعجزة العقلية الحسية مثل الإسراء كمعجزة حسية ، ونزول

القرآن بخصوص قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) ، ومثل قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٢) .

(١) سورة الإسراء ١ .

(٢) سورة الأنفال ١٧ .

فذات الآية أعلاه معجزة عقلية ، ورمي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر حصيات ودخولها لكل مناخر وعيون جيش المشركين وعددهم نحو تسعمائة وخمسين رجلاً ، ثم فرارهم معجزة حسية .

لقد اختص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفضل من عند الله عز وجل بإجتماع المعجزة الحسية والعقلية له ، إذ توالى المعجزات الحسية إلى جانب قانون كل آية قرآنية معجزة عقلية بذاتها وبصلتها مع الآيات الأخرى ، وفيه وجوه :

الأول : النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين .

الثاني : من معجزات النبوة اختتامها بالجامع من المعجزة الحسية والمعجزة العقلية .

الثالث : المعجزة دعوة سماوية للناس للهداية والإيمان .

الرابع : المعجزة العقلية حاجة لأجيال الناس المتعاقبة .

الخامس : المعجزة العقلية فضل من عند الله عز وجل مستحدث على الناس إلى جانب المعجزات الحسية .

السادس : قانون المعجزة العقلية مدد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشاهد على تفضيله على الأنبياء السابقين ، قال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(١).

السابع : من خصائص المعجزة الحسية انقضاؤها في أوانها ، وبقاء ذكرها بين الناس ، أما المعجزة العقلية فهي متجددة في كل زمان .

الثامن : قانون مخاطبة المعجزة العقلية للعقول ، وهو من أسباب بقاء الآية القرآنية غضة طرية .

التاسع : قانون توثيق المعجزة العقلية وهو القرآن لمعجزات الأنبياء الحسية ، والمنع من تحريفها أو نسيان الناس لها .

(١) سورة الأحزاب ٤٥ .

العاشر : قانون توثيق القرآن لمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية .

الحادي عشر : المعجزة العقلية حجة للمؤمنين ، وحجة على الناس .

الثاني عشر : تجدد واستنباط العلوم والسنن من القرآن .

الثالث عشر : من خصائص المعجزة العقلية منع الفرقة والإختلاف بين المسلمين .

الرابع عشر : قانون صدور الناس عن المعجزة العقلية .

الخامس عشر : بعث المعجزة العقلية الطمأنينة في نفوس الأجيال المتعاقبة

وإلى يوم الدين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

السادس عشر : احتجاج المعجزة العقلية بذاتها لذاتها وللنبوة والمعاد ،

وفي التنزيل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَكَهُ الْمَسْئَلُ الْأَعْلَى﴾ (٢).

صفة (الأمي) للنبي محمد (ص)

من الإعجاز في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ

الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)

اجتماع ثلاث صفات متتالية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي :

(١) سورة البقرة ١-٢.

(٢) سورة الروم ٢٧.

(٣) سورة الأعراف ١٥٧.

الأولى : الرسول أي المبعوث من الله عز وجل إلى الناس جميعاً الذي جاء بشريعة مبتدأة.

الثانية : النبي الذي أنزل الله عز وجل عليه الوحي .

الثالثة : الأمي ولم تطلق هذه الصفة على نبي آخر من الأنبياء .

وسمي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمياً لوجوه :

الأول : إنه لا يكتب وفيه شاهد على نزول القرآن من عند الله .

الثاني : لأنه من أم القرى وهي مكة .

الثالث : لأنه من العرب وهي أمة أمية ، وعن (ابن عباس : هو منكم

كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحاسب ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَلْمِزُونَ

قُلُوبَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَمَا تَخْطُبُونَ بَيْنَهُمْ ﴾^(١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم إنا أمة أمية

لا نكتب ولا نحاسب^(٢).

أن النبي محمداً ذكر في الكتب السماوية السابقة بالنبي الأمي ، وأنه لا

يكتب ، ثم ورد ذكر العرب بالأميين ، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ

لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٣) وقد ورد وصف النبي محمد بالأمي مرتين في القرآن

إحداهما في الآية أعلاه ، والأخرى قوله تعالى ﴿ فَاٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ النَّبِيِّ

الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾^(٤).

ويسمى الذي لا يقرأ ويكتب الأمي أي انه على الحال التي ولدته أمه

عجم اللسان لا يقرأ ولا يكتب .

(١) سورة العنكبوت ٤٨.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٥/٤٥٥.

(٣) سورة الجمعة ٢.

(٤) سورة الأعراف ١٥٨.

وعن الإمام الباقر عليه السلام (أنه سئل لم سمي النبي الأمي ؟ قال: نسب إلى مكة، وذلك قول الله: (لتنذر أم القرى ومن حولها) وأم القرى مكة^(١)).

وبلحاح اجتماع الصفات الثلاثة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن صفة النبي الأمي مع الرسول والنبي هي مدح وثناء له ، وكون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يكتب ليس عيباً يسعى المؤمن إلى إيجاد مخرج له ، أو نقصاً نستحضر له سترأ أو سبب كمال ، بل هو برهان على صدق النبوة من جهات منها :

الأولى : لم يأخذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن من الكتب أو علماء أهل الكتاب ، قال تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَلُمُونَ قِيلَ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا أَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^(٢) .

الثانية : التّكذيب المتقدم زماناً للقول بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أخذ القرآن من (بجيرا) الراهب ، إذ كان اللقاء بينهما عابراً قصيراً عندما أخذ أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه في القافلة يوم كان عمره اثنتي عشرة سنة ، إنما أشار هذا الراهب إلى علامات النبوة الخلقية والجسدية التي يتصف بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالثة : موضوعية تدوين الصحابة آيات القرآن حال نزولها ، وكتابتهم رسائل وأجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ملوك عصره ، وإلى أمراء السرايا والعمال على البلدات والأمصار ، والفتاوى والقضاء وجامعي الصدقات والزكاة .

لقد نزل القرآن بأن النبي محمداً هو معلم الكتاب والحكمة للأمة والأجيال المتعاقبة بقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يُتْلُو

(١) التفسير الصافي ٢/٢٨٤ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٨ .

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾.

وتثبيت انتفاء التزاحم أو التعارض في آيات القرآن ليس بالمذاكرة والمراجعة من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهذا الإنتفاء معجزة من عند الله عز وجل ، ودليل على نزول القرآن من عند الله عز وجل ، فمن إعجازه عدم وجود تعارض بين آيتين من مجموع آياته وهو (٦٢٣٦) آية.

قانون الإيمان بالقرآن

لقد اختار الله عز وجل الإنسان ليكون ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) وتدل هذه الخلافة على الصلة بين الله عز وجل وبين الناس ، فكانت النبوة والتنزيل ، لذا فإن آدم أبا البشر هو أول نبي رسول في الأرض ، ليقوم بتبليغ أولاده وأحفاده مبادئ التوحيد وأحكام الشريعة ، والبشارة بنزول القرآن وتتمام الأحكام الشرعية فيه.

ومن معاني الإيمان بالقرآن أمور :

الأول : التصديق الجازم بأن القرآن كلام الله عز وجل .
الثاني : التسليم بأن القرآن نازل من عند الله عز وجل .
الثالث : نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الرابع : إقرار طائفة من أهل الكتاب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : القبول بتلاوة المسلمين لآيات القرآن وحفظه .

السادس : رضا أهل الكتاب بعمل المسلمين بأحكام القرآن .

(١) سورة الجمعة ٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

السابع : التدبر باعجاز القرآن ، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١).

الثامن : الإمتناع عن محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
التاسع : الإيمان بما ورد في القرآن من خلق الملائكة وبعث الرسل ،
 واليوم الآخر ، قال تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ... ﴾ (٢).

العاشر : ذم الذين كفروا في سعيهم لقتال وقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
 ولقد أهلك الله عز وجل أمماً سابقة بجحودهم وتكذيبهم الرسل ،
 فتفضل الله عز وجل ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات
 الحسية ، والمعجزات العقلية .

لقد أمر الله عز وجل أهل الكتاب أن يؤمنوا بنزول القرآن بآيات منها
 ﴿ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ... ﴾ (٣) فاستجابت طائفة منهم
 كما في آية البحث .

ليبان قانون حتمية الإستجابة للأمر الإلهي ، ولو من قبل طائفة وشطر
 من الذين يتوجه إليهم الخطاب الإلهي ، إذ تبين الآية أعلاه بأن القرآن
 مصدق لنزول التوراة والإنجيل من عند الله عز وجل ، وهو من مصاديق
 وصف القرآن بأنه مبارك .

لقد آمن المسلمون بنزول الكتب السماوية ، وهذا الإيمان واجب عيني
 على كل مسلم ومسلمة ، ليحفظ الله عز وجل الشرائع ويكرم أهل الكتاب
 ، ويمنع من الإضرار بهم وإكراههم على ترك دينهم ، أما أهل الكتاب فان

(١) سورة النساء ٨٢.

(٢) سورة البقرة ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة ٤١.

طائفة منهم آمنت بنزول القرآن ، فأنى عليهم الله عز وجل ، وجاءت آية البحث بصيغة الفعل المضارع ، وهو إعجاز آخر للآية لوجوه :

الأول : البشارة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بقانون وجود أمة من أهل الكتاب تؤمن بنزول القرآن .

الثاني : من معاني صيغة المضارع في الآية قانون شهادة طائفة من أهل الكتاب في كل زمان بنزول القرآن من عند الله .

الثالث : قانون تعضيد طائفة من أهل الكتاب للمسلمين في إيمانهم .

الرابع : فضل الله عز وجل في هداية طائفة من اليهود والنصارى للإيمان ، وعن أم سلمة (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: اللهم ثبت قلبي على دينك. قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتقلب .

قال: نعم، ما من خلق الله من بني آدم بشرًا إلا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاعه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب)^(١).

خصائص السور المكية

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^(٢).

هذه الآية من سورة الجاثية وهي مكية لبيان أن من خصائص السور المكية ذم الذين كفروا في مغالطتهم لمقابلة نزول آيات القرآن .

ومن خصائص القرآن ذم المقالات الباطلة وفضح المذاهب الفاسدة وكيف أنها تتعارض مع الفطرة لبيان قانون الفطرة السليمة فرع نفخ الله من روحه في آدم ، قال تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١).

(١) تفسير الطبري ٦/٢٢٠.

(٢) سورة الجاثية ٢٤.

ومن إعجاز القرآن مخاطبته العقول ، وهل ينحصر بالمقالات الباطلة أيام التنزيل .

لقد اتصفت السور المكية مع قصرها وإيجاز خطابها بالوعيد للذين كفروا وبأن النار تنتظرهم ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾^(٢) ، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾^(٣) .

الثناء النبوي على القرآن

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نزول القرآن عليه من بين الأنبياء وعامة البشر وكان يلاقي الشدة عند نزول كل آية منه ، يراها الحاضرون عنده ، وكان إذا نزل عليه الوحي يتفصد جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد إلى أن ينفصل الوحي عنه .

ومع كثرة العرق الذي يتصبب من جبينه ، فإن جسمه يثقل لثقل الوحي وحضور جبرئيل ، ولا يفادره حتى يعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أنزل عليه .

وعن (زيد ابن ثابت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾^(٤) فقال ابن أم مكتوم : والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت فأنزل الله عز وجل عليه وفخذه على فخذي فثقلت فخذه علي حتى كادت فخذي ترض ثم سري عنه فقال ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ﴾^(٥) .

(١) سورة السجدة ٩ .

(٢) سورة الغاشية ١ .

(٣) سورة البلد ١٩-٢٠ .

(٤) سورة النساء ٩٥ .

(٥) الطبراني / المعجم الكبير ١٢٢/٥ .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبين فضائل القرآن ومنافعه في الدنيا والآخرة ، ويرغب في تلاوة آياته ، والتدبر في معانيها ودلالاتها .
ومن هذه الأحاديث عن أبي سعيد الخدري (قال: قال نبي الله عليه الصلاة والسلام: يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه).

وعن أبي سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يكون خلف من بعد الستين سنة ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾^(١)، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر .

وقيل: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به .
وعن أبي سعيد أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخله فقال: " ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؛ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله، لا يرعوي إلى شيء منه .

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب السائلين .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه^(٢).

و(عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القرآن غني لا فقر بعده ولا غنى دونه)^(٣).

(١) سورة مريم ٥٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٠/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٩٠/١ .

القراءة بصوت حسن

لقد رغب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوة القرآن ، وحث على قراءته مع تحسين الصوت ، وتزيينه بالترتيل والجهر بالقرآن من مخارج الحروف وهي الجوف ، والحلق ، واللسان ، والشفتان ، والخيشوم وهو مخرج الغنة ، وباستثناء الجوف فان لكل واحد من هذه المخارج مخرج فرعية.

و(عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : زينوا القرآن بأصواتكم).

وفي رواية (زينوا أصواتكم بالقرآن)^(١).

وليس من دور في المقام إنما تتحسن الأصوات بقراءة القرآن ، ويتخذ القرآن زينة وسبباً للبهجة والسكينة وإيناس الأسماع.

و(عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن)^(٢).

وعن أنس بن مالك قال: بينما نحن نقرأ فينا العربي والعجمي والأسود والأبيض، إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم في خير تقرؤون كتاب الله وفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيأتي على الناس زمان يثقفونه كما يثقف القدح، يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها.

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره^(٣).

عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليهما السلام عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو

(١) تفسير القرطبي ٣٩/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٩٠/١.

(٣) تفسير ابن كثير ٩٠/١.

له أهل، ثم قال : أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

ثم يرفع صوته وتحمر وجنتاه، ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة، كأنه منذر جيش. قال: ثم يقول: "أتتكم الساعة هكذا -وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى- صبحتكم الساعة ومستكم، من ترك مالا فإلهه، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ"^(١).

وعن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، فإذا قوم يقرءون القرآن فقال : اقرءوا القرآن وابتغوا به وجه الله عز وجل من قبل أن يأتي بقوم يقيمونه إقامة القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه. وعن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع، من اتبعه قاده إلى الجنة، ومن تركه أو أعرض عنه -أو كلمة نحوها- زج في قفاه إلى النار .

وعن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ ألف آية كتب الله له قنطاراً، والقنطار مائة رطل، والرطل اثنتا عشرة أوقية .

والوقية ستة دنائير، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً، والقيراط مثل أحد، ومن قرأ ثلاثمائة آية قال الله لملائكته: نصب عبدي لي، أشهدكم يا ملائكتي أنني قد غفرت له، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً به ورجاء ثوابه، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب .

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب يوم

(١) تفسير ابن كثير ١/٩٣ .

القيامة، وذلك أن الله عز وجل يقول ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَقِ﴾^(١).

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحسنوا الأصوات بالقرآن .

وعنه مرفوعا : أشرف أمتي حملة القرآن .

التضاد بين قراءة القرآن والغفلة

من خصائص القرآن تنمية ملكة الفطنة والتشبيث وطرده الغفلة ومنها قانون القرآن حرب على الجهالة ، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢).

وأية البحث سبيل لحسن الصلوات بين المسلمين وأهل الكتاب ، وزيادة في المعارف ، والتمييز بين الناس ومانع من الخسومة والتعدي ويتجلى قانون تلاوة آية البحث رحمة عامة .

وعن ابن عباس (قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال : الحال المرتحل ، قال : يا رسول الله، ما الحال المرتحل؟ قال : صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره، وفي آخره حتى يبلغ أوله)^(٣).

و(عن الامام الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين.

(١) سورة طه ١٢٣.

(٢) سورة يوسف ٣.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٨٩.

ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، ومن قرأ مائة آية كتب من الفائتين.

ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين.

ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من تبارك (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه) (٢).

قانون القرآن واقية من الفتنة

الفتنة ابتلاء وامتحان وتمحيص ، وقد تأتي دفعة وعلى نحو مفاجئ ، وقد تبدأ صغيرة وتكبر وتتضخم ، قال تعالى ﴿وَوَخَوِفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٣).

وقد استقبل الذين كفروا من قريش رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالكذب والعداء ، فنزلت آية البحث لتخبر عن الأصل العقائدي لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الضارب في جذور تأريخ الرسالات لدرء فتنة تكذيب قريش لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان قانون القرآن برزخ دون الفتنة ، ومانع من الضلالة.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن : هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضيء من الأجداث وعصمة من الهلكة ورشد من

(١) البيان في تفسير القرآن ١١/١ .

(٢) الكليني / الكافي ٩٢/١ .

(٣) سورة الإسراء ٦٠ .

الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار^(١).

و(عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود فأعدوا الجهاز لبعدها المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال يا رسول الله: وما دار الهدنة فقال: دار بلاغ وانقطاع فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل.

وهو الفصل وليس بالهزل وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره أنيق وباطنه عميق له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة.

وزاد في الكافي: فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويخلص من نشب فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستتير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص^(٢).

و(عن الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين أنا إذا كنا عندك سمعنا الذي نشد به ديننا وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة ولا ندري ما هي.

(١) التفسير الصافي ١٨/١.

(٢) التفسير الصافي ١٧/١.

قال : أوقد فعلوها قال : قلت : نعم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أثناني جبرئيل فقال: يا محمد ستكون في أمتك فتنة. قلت: فما المخرج منها .

فقال : كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من وليه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم لا تزيغه الأهوية ولا تلبسه الألسنة ولا يخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء هو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾^(١) من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^(٢).

(وروى العياشي بإسناده عنه عليه السلام قال: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجي بها من كان قبلكم فاعملوا به وما وجدتموه مما هلك بها من كان قبلكم فاجتنبوه .

وفي تفسير الامام ابي محمد الزكي: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والدرجة العليا والشفاء الأشفي والفضيلة الكبرى والسعادة العظمى من استضاء به نوره الله .

ومن عقد به أموره عصمه الله ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله ومن استشفى به شفاه الله ومن أثره على ما سواه هداه الله .

(١) سورة الجن ١-٢ .

(٢) التفسير الصافي ١٨/١ .

ومن طلب الهدى في غيره أضله الله ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم .

وفي الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله فيما حملكم من كتابه فإنني مسؤول وإنكم مسؤولون، إني مسؤول عن تبليغ الرسالة وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي .

وإسناده عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم امتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي .

وإسناده عن سعد الأسكاف عنه عليه السلام قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : اعطيت السور الطول مكان التوراة واعطيت المثين مكان الانجيل واعطيت المثاني مكان الزبور .

وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة وهو مهيمن على سائر الكتب، فالتوراة لموسى والانجيل لعيسى والزبور لداود^(١).

دليل الإيجاد ودليل الإتيان

تتقوم الحياة بالإيمان بالله ، وهو أمر لا يختص بالناس بل يشمل الموجودات من الملائكة ، والناس ، والحيوان ، والنبات ، والجماد .
ومن معاني الإيمان التصديق الجازم بالله عز وجل إلهاً وخالقاً ورباً والتصديق بأسمائه الحسنی .

ومن معاني وأركان الإسلام وأركان الإيمان ما ورد في حديث (عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) التفسير الصافي ١٩/١ .

وأله وسلم وأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان.

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقّه قال : فأخبرني عن الإيمان .

قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره^(١).

والإيمان بالله من خصائص العقول السليمة والفترة السوية ، وليس من حصر للشواهد والبراهين الكونية والذاتية التي تدل عليه ، ونزلت آيات القرآن مدداً ، وإعانة للناس لهدايتهم للإيمان .

ويدرك العقل بأدنى تأمل ضرورة وجود خالق عظيم لهذه المخلوقات بدليل الإيجاد وهو نشأة الخلق من العدم بقوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ودليل الإتيان ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣) .

ولم ترد كلمة ﴿أَتَقَنَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، و(دليل الحكمة) بتمام الحكمة والسداد في كل فعل ومشية لله عز وجل ، ومن أسماء الله الحسنى (الحكيم) لبيان الحكمة البالغة ، والمصالح العظيمة ، والغايات الحميدة في كل فعل من عند الله عز وجل ، والتي تتجلى في كل فرد وجنس ونوع من الخلائق وصورهم وأنظمة الكون ، وفي التنزيل ﴿الَّذِي أَحْسَنَ

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٦٩/١ .

(٢) سورة البقرة ١١٧ .

(٣) سورة النمل ٨٨ .

كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»^(١) ، وقد تكرر قوله تعالى ﴿الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾^(٢) ، و﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) و﴿الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) وهو الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ»^(٥).

أي أن عبادة الله واجبة على أهل السموات وأهل الأرض ، وهو تعالى الحكيم في جميع أفعاله ، والعليم بالخلائق كلها وما تؤول إليه ، ومن حكمته تعالى بلحاظ آية البحث أن أنزل الكتب السماوية على الذين اختارهم واصطفاهم للرسالة ودعا الناس إلى التصديق بنبوتهم ، وبنزول الكتب السماوية عليه كالقرآن والتوراة والإنجيل .

وقد فاز المسلمون بهذا الإيمان ، وفازت به طائفة من أهل الكتاب وأثنى الله عز وجل عليهم في هذه الآية ، وأخلص المسلمون العبادة لله عز وجل بالإيمان وأداء الفرائض العبادية .

وفي الآية أعلاه ورد عن أبي جعفر محمد بن النعمان ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(٥) قال: كذلك هو في كل مكان. قلت: بذاته .

قال: ويحك إن الاماكن أقدار، فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه، محيط بما خلق علما وقدرة وإحاطة وسلطانا، وليس علمه بما في الارض باقل مما في السماء، لا يبعد منه شيء، والاشياء له سواء علما وقدرة وسلطانا وملكا وإحاطة^(٦).

(١) سورة السجدة ٧.

(٢) سورة سبأ ١.

(٣) سورة آل عمران ٨٣.

(٤) سورة الزخرف ٨٤.

(٥) سورة الأنعام ٣.

(٦) البحار ٣/٣٢٢٣.

ومن حكمة الله إصلاح معاشات الناس وتيسير مقدمات وأداء الفرائض العبادية ، وسبل التقرب إليه تعالى .

وعن (مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ، علمني كلاما أقوله ، قال : قل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم .

قال : هؤلاء لربي ، فما لي ؟ ، قال : قل : اللهم اغفر لي ، وارحمني ، واهدني ، وارزقني^(١) .

تأسيس علم (موضوعية موضوع الآية)^(٢)

الآية لغة تعني العلامة والأمر العجيب ، قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٣) .

وفي الإصطلاح هي جزء محدد وطائفة من حروف القرآن ، وهي علامة وشاهد على صدق نزول القرآن من عند الله عز وجل .

وتجتمع عدة آيات في سورة واحدة ، وسميت سورة من السور الذي هو حائط المدينة الذي يحيط بالبيوت .

أو من السورة من البناء وهو ما حسن وارتفع منه .

واقترح ادخال علمين في تفسير كل آية من آيات القرآن وهما :

الأول : موضوع الآية .

الثاني : موضوعية ومنافع موضوع الآية .

(١) صحيح ابن حبان ٣٨٥/٤ .

(٢) تقدم ذكر هذا العلم في الجزء السابع والخمسين بعد المائتين من هذا السفر ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٣) سورة المؤمنون ٥٠ .

وقد صدر لي والحمد لله الجزء الخامس والستون بعد المائتين من تفسيري للقرآن ويقع بتفسير قوله تعالى ﴿لَا يَغْرِبُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(١) في أكثر من ثلاثمائة صفحة مع قلة كلمات هذه الآية المباركة وكله تأويل واستنباط للمسائل والقوانين إذ يتضمن (٢٨٣) قانوناً والحمد لله .

ليان أن موضوع الآية أعلاه ما عليه المشركون من وفرة النعم وكثرة الأسفار ، ولزوم عدم الإفتتان بهم ، لقانون الكفر ماحق للنعم ، لذا وردت الآية التي بعدها بالوعيد من عند الله عز وجل بقوله ﴿مَاعُقِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبُسُّ الْمَهَادِ﴾^(٢) .

وموضوع آية البحث هو طائفة من أهل الكتاب تدبروا في آيات الله ، والإعجاز الذاتي والغيري لها ، فأقروا وآمنوا بصدق نزولها من عند الله . وموضوعية هذا الإيمان دعوة للناس للتصديق بنزول القرآن واتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو شهادة عامة فيها مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو مناسبة للأجر من عند الله عز وجل .

ذخائر مستحدثة في (معالم الإيمان)

يتضمن تفسير كل آية من تفسيري هذا للقرآن (معالم الإيمان) وجوهاً :
الأول : الإعراب واللغة : إذ يتم إعراب كلمات الآية والمعنى اللغوي لبعض كلماتها ، وقد يرد مع الإعراب بحث نحوي ، وفيه دعوة لدراسات أكاديمية في البحوث النحوية في هذا التفسير .

الثاني : سياق الآيات : يختص هذا الباب بالصلة بين آية البحث وبضع آيات مجاورة لها ، واستقراء المسائل والقوانين من هذه الصلة ، وهو علم مستحدث فيه علوم مستنبطة من كنوز القرآن ، وقد صدرت أجزاء من هذا

(١) سورة آل عمران ١٩٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٧ .

التفسير ، كل جزء خاص بالصلة بين آيتين من القرآن ، وصدرت ثلاثة أجزاء كل جزء بالصلة بين شطر من آية بشطر من الآية المجاورة لها وهي :

❖ الجزء السادس والعشرون بعد المائة ويختص بالصلة بين شطر من الآية ١٥٣ بشطر من الآية ١٥١ من سورة آل عمران.

❖ الجزء التاسع والعشرون بعد المائة ويختص بالصلة بين شطر من الآية ١٥٤ بشطر من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران .

❖ الجزء الواحد والخمسون بعد المائة ويختص بالصلة بين شطر من الآية ١٦١ بشطر من الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

الثالث: إعجاز الآية الذاتي : من خصائص القرآن إتصاف كل آية منه بإعجاز خاص في المضمون والبلاغة والمفردات ، والبيان المبهر والفصاحة الجلية التي أذهلت أساطين اللغة أيام التنزيل ، وهو الذي اختص به هذا الباب من تفسيرنا للقرآن .

الرابع: إعجاز الآية الغيري : يتعلق هذا الباب بمنافع الآية القرآنية ، وما تبعته من صيغ الهداية ، وما تقود إليه من الرشاد ، فمن إعجاز الآية القرآنية وجود أمة تمثل لأحكامها في كل زمان ، قال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١) .

والمراد من لفظ الغيري أي إعجاز الآية في غير ألفاظها ودقة نظمها وكلماتها ، إنما يتعلق في دلالتها وغاياتها ونفعها المتجدد .

وإصطلاح الإعجاز الغيري للآية علم مستحدث في هذا التفسير ، ويبين هذا الباب قانوناً وهو إتصال وتجدد إعجاز الآية في كل زمان ومكان في أثرها الحسن وما يترتب عليها من الصلاح والخير منها تلاوة الآية القرآنية والتدبر في معانيها ، وإستحضارها في الوجود الذهني .

(١) سورة الحشر ٨.

الخامس: الآية سلاح: تجد في منهاج هذا السفر باباً مستقلاً في تفسير كل آية من القرآن تم تفسيرها سواء من سورة الفاتحة أو سورة البقرة أو سورة آل عمران باب الآية سلاح .

ليان أن السلاح لا يختص بالسيف والسلاح المادي ، ولا يعني الخصومة والصراع مع الغير ، بل المراد قانون سلاح الإيمان والإصلاح في الآية القرآنية ، وبيان قانون الغنى بالآية القرآنية عن السيف وقد صدر أحد عشر جزءاً من هذا السفر بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) وهي الأجزاء

٢١٥-٢١٤٥٢٠٨٥٢٠٧٥٢٠٦ :

٢٦٠٥٢٤٨٥٢٤٢٥٢٤١٥٢٤٠٥٢٣٣٥

ومنها آيات السلم فهي سلاح بناء المجتمع بنخصال الرحمة والرفاة والطمأنينة .

السادس: مفهوم الآية: من خصائص علم التفسير استنباط الحكم الشرعي من مضامين آيات القرآن والسنة النبوية ، إذ أن كل آية قرآنية دليل شرعي ، وهو من مبادئ علوم الأصول في استنباط الأحكام من أدلتها التفصيلية .

والقرآن هو المصدر الأول للشريعة السمحاء ، ويمر هذا الإستدلال بمراحل تبدأ من الوضع ، أي وضع الألفاظ لمعاني مخصوصة على نحو التعيين وليس التعيين .

ويسمى هذا الوضع بالحقيقة وتقابلها الحقيقة الشرعية والمجاز .

السابع: إفاضات الآية: من خصائص الآية القرآنية جعلها الوقائع والأوامر والنواهي حاضرة في الوجود الذهني بما يفيد البعث على فعل الصالحات والأخلاق الحسنة ، والتنزه عن القبائح ومنها التعدي والظلم ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

(١) سورة البقرة ١٩٠.

وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة اليومية لما في الإعادة من الثواب والإفادة الخاصة والعامة ، إذ ينفع المسلم نفسه وغيره في تدبره بمضامين وأحكام الآية القرآنية .

لقد أفردت باباً في تفسير كل آية بعنوان إفاضة الآية لما يترشح عنها من الرقائق والعرفان وأسباب السمو والرفعة والملكات المترشحة عن الآية القرآنية، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

الثامن : الآية لطف : وفيه بيان للطف الإلهي الذي تتضمنه الآية القرآنية في كلماتها ومعانيها ، وما يترشح عنها من فضل الله عز وجل سواء اللطف بقانون تقريب العباد إلى العمل بمضامين الآية أو قانون إزاحة الموانع التي تحول دون العمل بها .

ويمكن القول أن كل كلمة في القرآن هي لطف من الله عز وجل ، ونعمة متجددة إلى يوم القيامة.

التاسع : الآية بشارة : سواء في المنطوق أو المفهوم للذين كفروا.

العاشر : الآية إنذار .

الحادي عشر : الصلة بين أول وآخر الآية : هذا العنوان مستحدث إصطلاحاً ومنهاجاً وموضوعاً في التأريخ ، خاصة بلحاظ انتظامه وجعله مبحثاً مستقلاً في تفسير كل آية من القرآن بما يستقرأ معه قوانين وعلوم مستحدثة من هذا الباب وبما ينفع في أبواب التفسير الأخرى وأمور الدين والدنيا خاصة مع تعدد الموضوع أو الأمر والنهي أو الحكم في ذات الآية الواحدة وموضوع هذا الباب في تفسير الآية هو :

الأول : الصلة بين أول ووسط الآية .

الثاني : الصلة فيما بين مضامين ذات وسط الآية خاصة بالنسبة للآيات

التي تتضمن عدة جمل .

الثالث : الصلة بين أول وآخر الآية .

الرابع : الصلة بين وسط وآخر الآية .

وهذا الباب وعلومه غير (باب في سياق الآيات) وأخص منه.

الثاني عشر : من غايات الآية : أبدأ هذا الباب في تفسير كل آية

بالتقول : في الآية مسائل ، ثم اذكر شذرات من المقاصد السامية للآية القرآنية ودلالاتها ، وسبل الهداية فيها .

وذكرتُ العنوان بصيغة التبعية (من غايات) لوجوه :

الأول : عجزنا عن الإحاطة بالغايات والمقاصد السامية لكل آية من

القرآن .

الثاني : فتح الباب أمام العلماء في الأجيال اللاحقة لاستقراء غايات

حميدة أخرى من الآية القرآنية .

الثالث : طرو وقائع وأحداث تبين منافع الآية القرآنية وعمل المسلمين

بها ، والإستضاءة بنورها ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي

هِيَ أَقْوَمٌ﴾^(١).

الثالث عشر : أسباب النزول .

الرابع عشر : التفسير : ثم أدخل في تفسير الآية بشرطها أجزاء

وكلمات ، كل كلمة ، أو جملة لها تفسير مستقل ، ويشمل وجوهاً منها :

الأول : التفسير اللغوي .

الثاني : علم الكلام والعقيدة .

الثالث : الفقه ، ومنه الفرائض العبادية .

الرابع : التفسير الموضوعي .

الخامس : أحكام الآية ومعانيها .

السادس : التاريخ .

السابع : الغيب .

الثامن : التفسير بالمأثور أي بالرواية.

التاسع : أسباب لنزول مع التحليل والإستنباط .
العاشر : تأسيس القوانين من ذات مضامين الآية القرآنية .
الحادي عشر : التفسير الذاتي للقرآن ، وهو تفسير القرآن بالقرآن .
الثاني عشر : لحاظ المحكم والمتشابه ، والمجمل والمبين ، والمطلق والمقيد ،
والعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ .
الثالث عشر : شواهد آيات القرآن على القوانين العامة المستحدثة التي
صدرت في كل واحد منها أجزاء متعددة وهي :
أولاً : صدرت (ثلاثون) جزء من هذا التفسير بقانون (لم يغز النبي
(ص) أحداً) :

١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-

١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٦-

١٧٧-١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-

١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-

٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩-

٢٣٩-٢٥٦-٢٦١-٢٦٦-٢٧١).

ثانياً : صدور (عشرين) جزء بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) :

وهي :

١٨٤-١٨٥-١٨٨-١٩٥-١٩٨

١٩٩-٢٠٣-٢١٠-٢١١-٢١٩

٢٣٥-٢٣٦-٢٣٨-٢٤٣-٢٤٤

٢٤٦-٢٥٢-٢٦٣-٢٦٧-٢٧٠).

ثالثاً : صدور (خمسة) أجزاء بقانون (النزاع المسلح بين القرآن

والإرهاب) وهي الأجزاء :

٢٢٢-٢٢٣-٢٢٣-٢٢٧-٢٣٠

رابعاً : صدور (سبعة) أجزاء بقانون (آيات الدفاع سلام دائم) وهي الأجزاء :

١٤٢-٢٠٥-٢١٧-٢١٨-٢٣١-٢٣٢-٢٥٧

خامساً : صدور (أحد عشر) جزء بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) وهي الأجزاء :

٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤-٢١٥-

٢٣٣-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠

الثالث عشر : إجتناّب ما يتنافى مع ظاهر القرآن .

الرابع عشر : مراجعة بعض أمهات كتب التفسير .

وأرجو من علماء التفسير في الأجيال اللاحقة الإنتفاع من هذه المدرسة وإضافة أبواب منها باب : موضوع الآية بأن يتضمن الموضوع الذي تختص به الآية مثل ﴿لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾^(١) وعلة هذه التفاضل ، وباب موضوعية موضوع الآية .

علم موضوع الآية

يختلف علم موضوع الآية عن أسباب النزول وقد يلتقي معه في وجوه ، فقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) موضوع الآية هو معركة بدر التي وقعت في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بين النبي وأصحابه من جهة وبين مشركي قريش . ونزلت الآية أعلاه بعد المعركة مما يدل على أن موضوع الآية غير أسباب النزول .

(١) سورة النساء ١١.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

كما يتصل أحياناً بالتفسير الموضوعي للآية إذ أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه على صدق نزول بعضه الآخر ، وينطق بعضه ببعض بأنه كلام الله عز وجل .

والعلم الثاني الذي أسسه هنا هو موضوعية موضوع الآية ونفعها المتجدد في الموعظة والإستقامة والصلاح وسبل الهدى والرشاد ، وحضورها في الواقع اليومي للمسلمين وعباداتهم ومعاملاتهم والأحكام ، وهو من الإعجاز في تلاوة كل مسلم ومسلمة آيات القرآن في الصلوات اليومية الخمس على نحو الوجوب العيني .

ومن هذه الموضوعية عمل المسلمين بموضوع ومضامين ذات الآية القرآنية وغيرها ، وأقصد من غيرها أن موضوع الآية القرآنية يكون سبباً وعلّة للعمل بأحكام آية أخرى كما في آية ﴿بَدْرِ﴾ أعلاه التي اختتمت بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وفيه وجوه:

الأول : قانون موضوعية الآية القرآنية في العمل بأحكام آيات أخرى .
الثاني : قانون موضوعية موضوع الآية القرآنية في حفظها من التحريف والزيادة والنقصان .

الثالث : تجلي أسباب النزول بإدراك موضوع الآية .
الرابع : توثيق القرآن للوقائع التاريخية أيام الرسالة .
الخامس : بيان قانون كل آية قرآنية رحمة حاضرة .
السادس : قانون موضوعية موضوع الآية القرآنية في حياة المسلمين العامة .

السابع : تجدد موضوعية ومنافع وأثر موضوع الآية القرآنية في كل زمان .

جزء كامل بأية من خمس كلمات

قال تعالى ﴿لَا يَغْرُنْكَ تَلْبُ الذِّينِ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(١).

هذه الآية هي السادسة والتسعون بعد المائة من سورة آل عمران ، وقد اختص بتفسيرها الجزء الخامس والستون بعد المائتين من تفسيري للقرآن. وابتدأت الآية بالنهي (لا يغرنك) لبيان عدم انحصار الأمر والنهي بأحكام الحلال والحرام بل يشمل العقائد والحالة الذهنية التي يكون لها آثار في عالم الأفعال .

وأن هذا النهي نعمة من عند الله .

وأذكر هنا قوانين مستحدثة لم أذكرها في هذا الجزء أو الأجزاء السابقة :
الأول : قانون انتفاء التراحم أو التعارض بين الأمر والنهي القرآني ، ولا يأتي أمر ونهي معاً في موضوع متحد مع كثرة مواضع الأمر ومواضع النهي.

الثاني : قانون النهي القرآني طريق للعمل بمضامين الأوامر القرآنية .

الثالث : قانون الأوامر القرآنية حصن وزاجر عن النواهي وما حرم الله.

الرابع : قانون الأمر القرآني نعمة ومعجزة .

الخامس : قانون النهي القرآني نعمة ومعجزة .

قانون الإبداع

ورد قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) مرتين في القرآن^(٣)، لقد خلق

الله عز وجل السموات والأرض بأبهى اختراع وصناعة وخلق ومن غير مثال لبيان عظيم قدرة الله ، وأنه لا تستعصي عليه مسألة ، ولا يمتنع عنه شئ فالمعدوم والموجود من الخلائق مستجيب لمشيئته بالكاف والنون من غير إبطاء أو توقف أو تخلف .

(١) سورة آل عمران ١٩٦.

(٢) سورة البقرة ١١٧.

(٣) أنظر سورة البقرة ١١٧ وسورة الأنعام ١٠١.

وعن ابن عمر قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما ألقى يوسف في الجب أتاه جبريل عليه السلام فقال له : يا غلام ، من ألقاك في هذا الجب .

قال : إخوتي . قال : ولم؟ قال : لمودة أبي إياي حسدوني .

قال : تريد الخروج من ههنا؟ قال : ذاك إلى إله يعقوب .

قال : قل اللهم إني أسألك باسمك المخزون والمكنون ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام أن تغفر لي ذنبي وترحمني ، وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ، وأن ترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب . فقالها ، فجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً ورزقه ملك مصر من حيث لا يحتسب ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أظنوا بهؤلاء الكلمات ، فإنهن دعاء المصطفين الأخيار^(١) .

وعن (ابن عباس قال : كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتهما قال : ابتدأتها^(٢) . وورد لفظ الأمر في قوله تعالى ﴿بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) ، ويأتي الأمر بمعنى الطلب أمر يأمره أمراً والجمع أوامر ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٤) .

ويأتي بمعنى الشئ والشأن ، وهو واحد الأمور ، وتتعدد معانيه في القرآن بلحاظ مناسبة الموضوع يترتب عليه من الحكم . وما أضيفه هنا هو تعدد معاني اللفظ الواحد من الأمر في الآية الواحدة ، فمثلاً قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾^(١) ، ذكر أن إذا جاء قولنا ، إنما

(١) الدر المنثور ٥/٣٨٣ .

(٢) الدر المنثور ٨/٢٦٠ .

(٣) سورة البقرة ١١٧ .

(٤) سورة النحل ٩٠ .

يشمل الوحي والمشية الإلهية ، وذات معنى الأمر من عند الله لأن الأصل هو حمل الكلام العربي على حقيقته .

وفي قوله تعالى ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٢)، ذكر أن الأمر هنا هو قتل كفار مكة ، ولم يقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفار مكة بل أطلقهم وآمنهم عند دخولهم الإسلام يوم الفتح ، وأمهل بعضهم فترة لدخول الإسلام كصفوان بن أمية .

فبعد أن آمنه رسول الله ، قال صفوان (فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر)^(٣) .
والمراد من الأمر أعلاه وجوه :

الأول : نصر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الثاني : هزيمة المشركين في معركة بدر خلافاً لحسابات العدد والعدة ، إذ كان عدد المشركين أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين .

الثالث : إقامة الحجّة على الذين كفروا بعد معجزة النصر يوم بدر ، لذا أسماء الله يوم الفرقان ، قال تعالى ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجَنَعَانِ﴾^(٤) وبيان أن المشركين هم المعتدون يوم بدر .

الرابع : تحقق نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يوم بدر بنصر من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرِّ وَاتَّمَّ اذْلَةَ فَاتِقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥) .

(١) سورة المؤمنون ٢٧ .

(٢) سورة الأنفال ٤٢ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٤١٧/٢ .

(٤) سورة الأنفال ٤١ .

(٥) سورة آل عمران ١٢٣ .

الخامس: البشارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالنصر ،
والخسارة والندامة والحزني للذين كفروا في معارك الإسلام اللاحقة ، لذا
ورد بخصوص معركة أحد قوله تعالى ﴿لَيَقَطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ
فَيَنْتَقِلُوا خَائِبِينَ﴾^(١)، ومنه خيبة الذين كفروا في معركة أحد بعد حصارهم
للمدينة نحو عشرين يوماً .

وهل نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معارك
الإسلام الأولى من مصاديق قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ
وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، الجواب

دليل التنزيل

ورد قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ثلاث مرات كلها بخصوص القرآن ، قال
تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣) .
وورد لفظ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ خمس مرات أربعة منها بخصوص القرآن في
خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحتجاج على الذين
كفروا من ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٤) وورد مرة واحدة بخصوص
التوراة بقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾^(٥) ، لبيان أمور :

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) أنظر الجزء الواحد والثمانين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة الأنعام ١٠٢ .

(٤) سورة يوسف ٢ .

(٥) سورة الزمر ٤١ .

(٦) سورة المائدة ٤٤ .

الأول : قانون الملازمة بين النبوة والتنزيل ، وذكر التوراة من باب المثال ، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^(١) .

الثاني : النسبة بين الوحي والتنزيل عموم وخصوص مطلق فالوحي أعم .

الثالث : يشمل التنزيل الصحف والكتب التي أنزلها الله عز وجل على الأنبياء .

وفي حديث أبي ذر أنه سأل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (يا رسول الله، كم كتاباً أنزله الله ، قال : مائة كتاب وأربعة كتب . وأنزل الله على شيث خمسين، صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف والإنجيل والزبور والفرقان .

قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم .

قال : كانت كلها: يا أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكنني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر.

وكان فيها مثال: وعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل ألا يكون ضاعناً^(٢) إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

قال: قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: "كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو

(١) سورة آل عمران ٣ .

(٢) في الأصل (ضاغنا) سهو من النساخ .

يَنْصِبُ، وَعَجِبْتَ لِمَنْ يَرَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ يَطْمِئِنُّ إِلَيْهَا، وَعَجِبْتَ لِمَنْ
أَيَقِنُ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ هُوَ لَا يَعْمَلُ .

قلت: يا رسول الله، فهل في أيدينا شيء مما في أيدي إبراهيم وموسى،
وما أنزل الله عليك؟ قال: نعم، اقرأ يا أبا ذر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ * وَذَكَرَ
اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا
لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١﴾ (٢).

استدامة الخلافة

لقد أكرم الله عز وجل الناس إذ جعلهم خلفاء في الأرض ، قال تعالى
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣)، وقال تعالى ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤).

كما يدل على دوام الصلة بين الله وبينهم ، وليس من حصر لمصاديق هذه
الصلة ، وتتجلى بأبهى وأظهر صورها بالوحي والتزليل والنبوة ، والملازمة
بينها من جهات :

الأولى : قانون اختصاص الأنبياء بالوحي .

الثانية : نزول الكتب السماوية على الرسول صاحب الشريعة المبتدأة .

الثالثة : وجود أنصار وأتباع للنبي مع التباين في الكثرة ، وقد فاز النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصفة أكثر الأنبياء في عدد الأصحاب .
ومن الآيات تجلي هذه الكثرة بشواهد حسية عامة في حجة الوداع .
وعن جابر بن عبد الله الأنصاري في حديث الإحرام من مسجد الشجرة
قال (فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ رَكِبَ

(١) سورة الأعلى ١٤-١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٧٢/٢ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة النمل ٦٢ .

وورد مرة واحدة بخصوص نزول الملائكة يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشْتَقُّ السَّمَاءُ بِالنِّعَمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلاً ﴾^(٢).

ليكونوا شهداء على الناس ، وييسروا المؤمن بالجنة ، والكافر بالنار .

التقوى لغة وشرعاً

التقوى لغة الإتقاء والإحتراز من الأذى ، والحرص على السلامة ، وفي التنزيل ﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾^(٣) (والوقاية والوقاء: كل ما وقى شيئاً. وق يا هذا وقه: في الأمر. وتوق. ورجلٌ وقى: تقي. والتقوى: أصله وقوى. والثقة والثقى: من وقيت.

واتق ربك - مسكن - . وتقاً يتقى. وتقاه يتقيه : أي اتقاه)^(٤).

أما في الإصطلاح فالتقوى طاعة الله واجتناب معاصيه ، والخشية من بطشه وبلائه في الدنيا ، وعذابه في الآخرة ، وقد ورد الأمر ﴿ اتقوا الله ﴾ خمسا وخمسين مرة في القرآن ، منها ما ورد في الآية التالية وهي الآية الأخيرة من سورة آل عمران ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٥).

كما ورد الأمر من الله عز وجل ﴿ اتق الله ﴾ بصيغة المفرد ثلاث مرات إحداها خطاب وأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة الإنسان ٢٣.

(٢) سورة الفرقان ٢٥.

(٣) سورة الدخان ٥٦.

(٤) المحيط في اللغة ٩/٢.

(٥) سورة آل عمران ٢٠٠.

وسلم ﴿أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١) لبيان أمور :

الأول : قانون الملازمة بين التقوى والعبودية لله .

الثاني : وجوب تقيد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو صاحب الكمالات الإنسانية بتقوى الله .

الثالث : قانون حاجة الإنسان إلى تقوى الله .

الرابع : وجوب تأسي المسلمين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تقوى الله ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢) .

الخامس : قانون تقوى الله واقية ونجاة من الهلكة والخسران في النشاطين .

السادس : يدل قوله تعالى ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّوَارَبْتُمْ﴾ ، على التوحيد ونبذ الشرك والرياء والنفاق .

السابع : تقوى الله خير محض ، ونفع وبركة ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٣) .

وعن عبد الله بن مسعود (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن روح القدس نفخ في روعي: إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)^(٤) .

(١) سورة الأحزاب ١ .

(٢) سورة الأحزاب ٢١ .

(٣) سورة الطلاق ٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ١/٢٢٢ .

إنصراف فتنة خلق القرآن

لقد تفضل الله عز وجل وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) مما يدل على استدامة الصلة بين الله عز وجل والناس وعلى نحو يومي ، وتتجلى هذه الصلة من وجوه :

الأول : بعث الأنبياء والرسول .

الثاني : الوحي إلى الأنبياء .

الثالث : نزول الكتب السماوية من عند الله ، لتثبيت أحكام الشريعة بين الناس .

وإذ أختتمت النبوة بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانقطعت بمغادرته الحياة الدنيا أخبار السماء ، فقد تفضل الله عز وجل وجعل القرآن مصاحباً للناس إلى يوم القيامة سالماً من التحريف والزيادة والنقصان وجعله ﴿نَبِيَّانَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) .

ففيه التشريع والعقائد والأحكام وعلوم الغيب وقصص الأنبياء والأمم السالفة ، وأمثال الموعدة فان قلت عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، كما في حديث أبي ذر يرفعه .

بينما ذكر القرآن قصص خمسة وعشرين نبياً ورسولاً ، والجواب إن هذه القصص أمثلة وشواهد على قصص الأنبياء جميعاً لإتحاد السنخية بالوحي والتنزيل والعصمة والإصلاح من عند الله عز وجل مع تعضيد السنة النبوية لقصص الأنبياء ، ومنها ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمن لم يرد ذكره في القرآن منهم .

وقد أبتلي وانشغل العلماء أيام المأمون والمعتمد بفتنة خلق القرآن ، وسجن جماعة وقتل آخرون بسببها .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

إذ كان على قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق وأمر المعتصم المعلمين بتعليم الصبيان بأن القرآن مخلوق .

وقال ابن الأثير فيها - أي في السنة (٢١٩ للهجرة) (أحضر المعتصم أحمد بن حنبل، وامتنحه بالقرآن، فلم يجب إلى القول بمخلقه، فأمر به، فجلد جلدًا عظيمًا حتى غاب عقله، وتقطع جلده، وحبس مقيداً)^(١).
(وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ أَحْمَدُ : مَتَى مَا صَلَّيْتَ خَلْفَ مَنْ يَقُولُ : الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَأَعَدَّ .

قُلْتَ : وَتَعْرِفُهُ ، قَالَ : نَعَمْ .

وَعَنْ مَالِكٍ ، أَنَّهُ لَأُصَلِّيَ خَلْفَ أَهْلِ الْبِدْعِ)^(٢).

(وَأَبَاحَ الْحَسَنُ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ ، وَالشَّافِعِيُّ الصَّلَاةَ خَلْفَ أَهْلِ الْبِدْعِ ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ : لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ .

وَلأنَّهُ رَجُلٌ صَلَّاتُهُ صَحِيحَةٌ ، فَصَحَّ الْاِئْتِمَامُ بِهِ كغَيْرِهِ .

وَقَالَ نَافِعٌ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي مَعَ الْخَشَبِيِّ وَالْخَوَارِجِ زَمَنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُمْ يَقْتَتِلُونَ .

فَقِيلَ لَهُ : أَتُصَلِّي مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ؟ فَقَالَ : مَنْ قَالَ : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، أَجَبْتُهُ ، وَمَنْ قَالَ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ .
أَجَبْتُهُ ، وَمَنْ قَالَ : حَيَّ عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ ، وَأَخَذَ مَالَهُ ، قُلْتَ :
(لأ)^(٣).

(وزعم أن قول الشافعي في تكفير من قال بمخلوق القرآن أراد به كفرًا دون كفر، كقول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) الكامل في التاريخ ١٨٦/٣ .

(٢) المغني ٤١٩/٣ .

(٣) المغني ٤١٩/٣ .

الْكَافِرُونَ ﴿١﴾^(١)، ومن قال بهذا جرى في قبول شهاداتهم وجواز الصلاة خلفهم مع الكراهية على ما قال الشافعي^(٢).
 (وعن أبي يوسف أنه قال : ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة حتى اتفق رأبي ورأيه : أن من قال بخلق القرآن فهو كافر)^(٣).
 ولا تصل النوبة إلى التكفير ، ولم يكلف المسلم بمسألة خلق القرآن وعدمه .

ولم ترد المسألة في القرآن أو السنة النبوية أو أيام الصحابة ، وكأنها من الترف العلمي ثم صارت مسألة عناد وانحياز وفتنة كلامية .
 ومن إعجاز القرآن الغيري إنطواء فتنة خلق القرآن ، ولم يلتفت إليها العلماء في الأجيال اللاحقة بعد أن رجع عنها وأوقفها الخليفة العباسي الواثق بسبب مناظرة بين رجل جيئ به مقيداً وبين الوزير ابن أبي دؤاد الذي كان يمتحن الناس إلا أن يقولوا بخلق القرآن ، فأى فتنة تستمر عشرات السنين لتفضح بمناظرة واحدة من رجل مجهول بحضور الخليفة .
 ولم يدخل الإمام علي الهادي في فتنة القرآن ونهى عن الخوض في هذا الجدل والخصومة في القرآن .

كلام الله

لقد ذكر لفظ (كلام الله) ثلاث مرات في القرآن كلها بخصوص القرآن وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿ أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة ٤٤.

(٢) البيهقي / الأسماء والصفات ١٠٤/٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٣١٦/١ .

(٤) سورة البقرة ٧٥.

الثانية : قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

الثالثة : قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمٍ لَّتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

وورد مرة واحدة بلفظ (كلامي) بخصوص موسى عليه السلام بقوله تعالى ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣).

والقرآن يفسر بعضه بعضاً فالذين ابتليوا بمسألة خلق القرآن أو أنه قديم غير مخلوق لأنه كلام الله لماذا لم يقفوا عند قوله تعالى (كلامي) في تكليم موسى عليه السلام والقرآن يفسر بعضه بعضاً وهذا الوقوف بلحاظ وحدة الموضوع في تنقيح المناط بلفظ الكلام ، وهو لا يتعارض مع كون القرآن ﴿نَبِيَّانَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٤) وجامعاً للأحكام الشرعية .

و(عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أعطى الله تعالى موسى الألواح فنظر فيه قال : يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرمها أحداً قبلي) ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥) بجد ومحافظة وموت على حب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة التوبة ٦ .

(٢) سورة الفتح ١٥ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٤ .

(٤) سورة النحل ٨٩ .

(٥) سورة الأعراف ١٤٤ .

قال موسى : يا رب ومن محمد ، قال : أحمد النبي الذي أثبت اسمه على عرشي من قبل أن أخلق السماوات بألفي عام ، إنه نبيي ووصفي وحبيبي وخيرتي من خلقي وهو أحب إلي من جميع خلقي وجميع ملائكتي .

قال موسى : يا رب إن كان محمد أحب إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمته أكرم عليك من أمتي ، قال : يا موسى إن فضل أمة محمد على سائر الخلق كفضلي على جميع خلقي .

قال : يا رب ليتني رأيتهم ، قال : يا موسى إنك لن تراهم ، لو أردت أن تسمع كلامهم أسمعك ، قال : يا رب فإني أريد أن أسمع كلامهم .

قال الله تعالى : يا أمة أحمد ، فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لييك اللهم لييك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لييك .

قال الله تعالى : يا أمة أحمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق حسابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتمكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تعصوني .

من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زيد البحر . وهذا قوله عز وجل^(١) .

بين الإيمان والتقوى

من خصائص هذه الآيات الترغيب بالإيمان وبيان الثواب العظيم الذي ينتظر المتقين بأن لهم الجنة .

كما ذكرت آيات قرآنية أخرى بأن الجنة ثواب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾^(٢) .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٣٧/٥ .

(٢) سورة البروج ١١ .

ترى ما هي النسبة بين التقوى وبين الإيمان وعمل الصالحات ، يحتمل الجواب وجوهاً :

الأول : نسبة التساوي بينهما .

الثاني : نسبة العموم والخصوص المطلق ، وهو على شعبتين :

الأولى : الذين اتقوا ربهم أعلى رتبة من الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

الثانية : الذين آمنوا وعملوا الصالحات أعم وأوسع ، وكل المتقين من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وليس العكس .

الثالث : نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق بينهما .

والمختار هو الشعبة الأولى من الوجه الثاني أعلاه .

فالتقوى أعم إذ تتغشى الخشية من الله قلب وجوارح المؤمن ، وتصدر أعماله عن التقوى وحب الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) .

و(عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن)^(٢) .

علم الله بما في القلوب

الإيمان اعتقاد في القلب وتغشي الخشوع للجوارح لتدل في آية البحث على صدق نزول القرآن من عند الله ، فهو وحده الذي يعلم ما في القلوب ، لذا ورد عن عيسى عليه السلام في التنزيل ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾^(٣) .

(١) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٢) الدر المنثور ٤٣٦/٢ .

(٣) سورة المائدة ١١٦ .

فمن خصائص الآية القرآنية أنها شاهد على كونها كلام الله سواء في علوم الغيب أو الأحكام أو قصص الأولين .

وهل إخبار آية البحث بإيمان طائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن من عند الله وعدم إيمان طائفة أخرى منهم من مصاديق قوله تعالى ﴿سَتْرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

المختار نعم ، بأن جعل الله عز وجل طائفة وفرقة من أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن كتاباً نازلاً من عند الله ، إذ يعلم الله عز وجل السر والعلن ، وخلصات القلوب والنوايا ، وقال الإمام علي عليه السلام (عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَحَلِّ الْعُقُودِ وَتَقْضِ الْأَهْمَمِ)^(٢) .

فتخطر الفكرة والعزم على الفعل على الإنسان ويهم به ثم يطرأ عليه ما ينسيه ويحول دون فعله عن قصد منه أو من غير قصد وعن (شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة تحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول: اللهم مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك.

قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلب ليقلّب؟ قال: نعم، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين إصبعين من أصابعه، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه .

فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .

(١) سورة فصلت ٥٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد / نهج البلاغة ١.

قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: بلى؛ قلولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن^(١).

فضل و قدسية القرآن

وردت أحاديث نبوية في فضل القرآن منها :

الأول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجىء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس)^(٢).
الثاني : (و عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي فقال : اقرءوا فكل حسن وسيجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)^(٣).

ليبان إمضاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقراءة الأعرابي الذي لا يتقن ضبط الحركات والنطق ببعض الحروف مثل الضاد ، ولكن قراءتهم هذه أمر حسن ، ومقبولة عند الله وفيها الثواب .

ثم قال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيأتي أقوام يجتهدون في ضبط حركات القرآن وعد الحروف والأرقام ومراعاة القواعد على نحو الدقة العقلية (كما يقام القدح بكسر القاف) أي جسم السهم قبل أن يوضع له النصل والرياش ، ومعنى (يتعجلونه) أي يطلبونه بقراءته الدنيا وهي العاجلة ، ولا يرجون في تلاوته والغوص في علومه الدار الآخرة .

وفي الحديث إخبار من علم الغيب ، وإنذار من جعل الدنيا وزينتها هي الغاية في تلاوة القرآن وعلومه .

(١) تفسير الطبري ٢١٤/٦ .

(٢) جمع الجوامع ١/٢٤٠٣٠ .

(٣) سنن أبي داود ١/٣٠٧ .

وعن (ابن مسعود في قول الله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾^(١) قال : حبل الله القرآن .

وعن ابن مسعود قال : إن هذا الصراط محتضر ، تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هلم هذا هو الطريق ليصدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله ، فإن حبل الله القرآن .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي شريح الخزاعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن هذا القرآن سبب . طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا بعده أبداً .

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني عن زيد بن أرقم قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إني تارك فيكم كتاب الله ، هو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلالة .

وأخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي وأهل بيتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض^(٢) .

وعن (أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلها " ثم قال : اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة.

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) الدر المنثور ٤٠١/٢.

وقد رواه مسلم في الصلاة من حديث معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن جده أبي سلام مَمَطُورِ الْحَبَشِيِّ، عن أبي أمامة صُدَيِّ بْنِ عَجَلَانَ الْبَاهِلِيِّ بِهِ .

الزهر اوان: المنيران، والغياية: ما أظلك من فوقك. والفرق: القطعة من الشيء، والصواف: المصطفة المتضامة . والبطلة السحرة، ومعنى " لا تستطيعها ، أي: لا يمكنهم حفظها، وقيل: لا تستطيع النفوذ في قارئها، والله أعلم^(١) .

الحجة يوم القيامة

لقد ملأ الله عز وجل الدنيا بالآيات والبراهين التي تدل على ربوبيته المطلقة وتفضل بارسال الرسل وانزل الكتب السماوية ، وجعل ذات الإنسان آية من بديع صنعه ، وحجة على صاحبها ، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢) .

ومن حجة الله الإمهال والعفو عن الناس ، حتى إذا جاء يوم القيامة تطايرت الصحف .

عن عبد الله بن مسعود (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله سبحانه ليعدد نعمه على العبد في المصدر (يوم القيامة حتى يعد عليه) : سألتني فلانة أن أزوجهها، يسميها باسمها فزوجتها)^(٣) لبيان أن الزيجات لا تتم إلا بمشيئة الله عز وجل .

وعن (سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله أهب لك نفسى فنظر إليها رسول صلى الله عليه وآله وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) تفسير ابن كثير ١/١٥٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٤٩ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٤/٢٠٢ .

رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال : فهل عندك من شيء .

فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب إلى أهلِكَ فانظر هل تجد شيئاً ؟ فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انظر ولو خاتم من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتم من حديد ولكن هذا إزارى (قال سهل ما له رداء) فلها نصفه فقال رسول الله ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء .

فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولياً فأمر به فدعي فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معي سورة كذا وكذا (عددتها) فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم قال اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن^(١).

وفي بعض طرق السند (انطلق فقد زوجتهما فعلمها من القرآن)^(٢). وفيه شاهد على جواز انعقاد النكاح وتأخر المهر مع إمكانه وهو في الحديث تعليم القرآن ، ولييان موضوعية تعلم الآية القرآنية وأهليتها كعوض في المعاملات .

وعن (أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم ف ضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر)^(٣).

(١) صحيح مسلم ١٠٤٠/٢.

(٢) صحيح مسلم ١٠٤٠/٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل / ابن جزى ٢٧/١.

منافع سور القرآن

عن النواس بن سمعان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهما بعد قال وإنهما غمامتان أو طلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف يُحاجان^(١) عن صاحبهما.

وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال .
وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سورة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا تجعلوا بيوتكم مقابر)^(٣).
ليبان أن الصلاة عمارة للبيوت ، وسبب لبعث الحياة والبركة فيها ،
ولأن القبور لا صلاة فيها .

و(عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم)^(٤).
وعن (ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهب)^(٥).

وعن (عبد الرحمن بن شبل مرفوعا : اقرؤوا القرآن، ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به)^(٦).

(١) في الأصل (تخافان) سهو من النساخ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل / ابن جزى ٢٧/١ .

(٣) البحار ٥٦/٧٩ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل / ابن جزى ٢٦/١ .

(٥) تفسير ابن كثير ٧٠/١ .

(٦) تفسير ابن كثير ٨٣/١ .

و(عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله) قال: أقراني جبرئيل على حرف فراجعته فزادني ، فلم أزل أستزيده ويزيدن حتى انتهى على سبعة أحرف^(١).

و(عن عبد الله بن أبي مليكة عن أم سلمة قالت : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقطع قراءته آية آية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) ثم يقف ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) ثم يقف قال ابن أبي مليكة : وكانت أم سلمة تقرأها ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٤)^(٥).

(قال أبو عمر : روي من وجوه فيها لين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة : الإمام المقسط وذو الشبهة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه . وحامل القرآن عنوان عام يشمل قارئ القرآن والعامل بأحكامه والفقهاء في معرفة مضامينه .

(روي أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : القرآن أفضل من كل شيء فمن قر القرآن فقد قر الله ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله تعالى حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله تعالى)^(٦).

(١) البحار ٢١/٢٠٧ .

(٢) سورة الفاتحة ٢ .

(٣) سورة الفاتحة ٣ .

(٤) سورة الفاتحة ٤ .

(٥) المستدرک بتعليق الذهبي ٢/٢٥٢ .

(٦) تفسير القرطبي ١/٦٠ .

و(عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا : يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال : النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه .

وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا^(١) .

وفي معركة أحد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)^(٢) .

وعن (حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق، وأهل الكتابين، وسيجيئ قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم. وعن علقمة بن قيس قال: كنت حسن الصوت بالقرآن، فكان عبد الله بن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فذاك أبي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن حسن الصوت زينة للقرآن.

وعن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص فأتيته مسلما عليه، فقال: مرحبا يا بن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن؟ قلت : نعم والحمد لله . قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

إن القرآن نزل بالحزن. فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا)^(٣) .

(١) تفسير القرطبي ٦٠/١ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٨١/٣ .

(٣) تفسير مجمع البيان ٤٨/١ .

و(عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني آت من الله، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد .

فقلت: يا رب وسع على امتي فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف)^(١).

الأقل والأكثر من أهل الكتاب

يحتمل الشطر والطائفة من أهل الكتاب التي تضمنت آية البحث الثناء عليهم من جهة الكثرة والقلّة وجوهاً :

الأول : هم الأكثر من أهل الكتاب

الثاني : هم الأقل من أهل الكتاب .

الثالث : التساوي بينهم وبين الذين يتخلفون عن الإيمان بالله ونزول

القرآن ، والتوراة ، والإنجيل من أهل الكتاب .

والصحيح أنه الثاني لقوله تعالى ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^{(٢)(٣)} إذ يفسر القرآن بعضه بعضاً .

ومنها ﴿وَدَكَّيْرٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ

عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

وهذه القلة من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة في

مختلف الأزمنة فتزداد في زمان دون آخر من دون خروج عن القلة ، لبيان

(١) البحار ٦٥/٨٢ .

(٢) سورة آل عمران ١١٠ .

(٣) لقد صدرت الأجزاء (٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١) في صلة هذه الآية مع الآيات المجاورة لها .

(٤) سورة البقرة ١٠٩ .

جهاد المسلمين بالجدال بالأحسن والحجة والبرهان ، والتحلي بالخلق الكريم ، وهل ميثاق المدينة الذي عقده النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع يهود المدينة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ، الجواب نعم .

القرآن حجة في كل زمان

تتجلى في علوم القرآن وتأويل آياته أمور :

الأول : قانون القرآن فوق كلام البشر .

الثاني : قانون تجدد إفاضة الآية القرآنية .

الثالث : قانون الآية القرآنية غضة طرية إلى يوم القيامة .

الرابع : قانون الآية القرآنية ضياء ينير دروب الهداية للمؤمنين والناس جميعاً .

الخامس : قانون القرآن حجة في كل زمان ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ

الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢) .

السادس : قانون الآية القرآنية حجة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ

الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٣) على الناس .

السابع : نزول القرآن لطف وفضل على الناس في كل زمان .

الثامن : قانون الملازمة بين القرآن والثواب سواء في التلاوة أو التدبر أو

العمل بمضامين آياته .

التاسع : قانون حب الله عز وجل لأهل القرآن ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) .

(١) سورة القلم ٤ .

(٢) سورة فاطر ١٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٩ .

العاشر : من إعجاز القرآن بلاغته وفصاحته ودهشة العرب أهل البلاغة من مضامينه القدسية ، لبيان قانون بلاغة القرآن مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل زمان .

الحادي عشر : قانون سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان ، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢) .

الثاني عشر : خاتمة سورة آل عمران مدرسة في الصبر والجهد ، والسعي الحثيث في مراتب التقوى .

قانون اللطف بال خليفة

الحمد لله قبل كل شئ ، والآخر بعد فناء كل شئ الذي أنعم على الناس من بين الخلائق بالخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٣) ، ومن معاني الخلافة استدامة الصلة بين الله عز وجل وبين الناس ، وليس من حصر لهذه الصلة ، ومن مصاديقها :

الأول : سكن آدم وحواء في الجنة برهة من الزمن .

الثاني : تكليم الله عز وجل لآدم ، وتجدد هذا التكليم مع موسى عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٤) ، لبيان قانون تجدد النعمة السماوية في الأرض ، فما ناله آدم في السماء ناله موسى عليه السلام في الأرض .

الثالث : تفضل الله عز وجل وجعل إقامة آدم في الجنة مقدمة للخلافة في الأرض ، وبشارة عودته والمؤمنين إلى الجنة بالعمل الصالح .

(١) سورة آل عمران ٣١ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

(٤) سورة النساء ١٦٤ .

الرابع : إباحة الأكل من ثمار الجنة لآدم وحواء ، باستثناء شجرة مخصوصة ، قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

الخامس : هبوط آدم إلى الأرض بصفة النبوة والرسالة .

السادس : نزول الوحي على آدم في الأرض ، وهو خير مؤنس له ولحواء وذريتها .

السابع : وراثة شيث (هبة الله) ابن آدم النبوة من أبيه .

الثامن : عدم إضرار قاتل قاييل بن آدم لأخيه هابيل بخلافة الإنسان في الأرض ، فقد رد الله عز وجل على الملائكة حينما احتجوا على فساد الإنسان في الأرض ، وسفكه الدماء ، كما ورد في التنزيل ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

التاسع : من مصاديق خلافة الإنسان في الأرض قانون توارث النبوة ، واختتامها برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

العاشر : قانون وجود أمة مؤمنة في كل زمان ، وتدل آية البحث على بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أمة من أهل الكتاب يتطلعون إلى بعثته حتى إذا ما سمعوا القرآن أعلنوا تصديقهم له .

الحادي عشر : توالي نزول الكتب السماوية على الأنبياء ، حتى صارت أمة مخصوصة تسمى (أهل الكتاب) لنسبتهم إلى الكتاب السماوي .

الثاني عشر : استدامة صفة الخلافة للإنسان في الأرض ببركة التنزيل ، والعمل بأحكامه ، لذا ورد لفظ ﴿خَلِيفَةً﴾ بصيغة المفرد ، ومنه بخصوص

(١) سورة البقرة ٣٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

النبي داود عليه السلام قال تعالى ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(١) ولم تقل الآية خليفة لمن هو قبلك بل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لإفادة الإطلاق .
كما ورد لفظ ﴿خَلَّافٌ﴾ في القرآن بصيغة الجمع مرتين .

تسمية الفرقان

لقد أكرم الله عز وجل القرآن بتسميته بالفرقان ، وفي القرآن سورة تسمى سورة الفرقان والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢).

ووردت كلمة (الفرقان) ست مرات في القرآن ، كما وردت بصيغة النصب بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتُواللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

والفرقان هنا المخرج وسبيل الهداية الواضح الجلي ، والنجاة في الدنيا والآخرة .

قال الحسن البصري (كل كتاب زبور إلا أن هذا الاسم غلب على كتاب داود عليه السلام كما غلب اسم الفرقان على القرآن وإن كان كل كتاب من كتب الله فرقانا لأنه يفرق بين الحق والباطل)^(٤).

ولكن لا تصل النوبة إلى التزاحم بين الأسماء في المقام وغلبة بعضها إذ أن الله عز وجل هو الذي سمي القرآن بالفرقان .

و(عن يزيد بن سلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله لم سمي الفرقان فرقانا ، قال: لانه متفرق الآيات والسور، انزلت في غير الألواح وغير

(١) سورة ص ٢٦ .

(٢) سورة الفرقان ١ .

(٣) سورة الأنفال ٢٩ .

(٤) مجمع البيان ٢٣٤/٦ .

الصحف، والتوراة والانجيل والزبور انزلت كلها جملة في الالواح والورق^(١).

لما رزق الله عز وجل موسى عليه السلام من التنزيل والحكمة إلى جانب التوراة، قال تعالى ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢). كما أن اسم الزبور ورد في القرآن بالنص والتعيين، وقد رزق الله عز وجل داود بأن ألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع، وعلمه منطق الطير والإجتهاد في العبادة وحسن الصوت.

و(عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لأحد أن يقول إني أعبد من داود)^(٣).

وهل ما ورد في الزبور ورد في القرآن على نحو الإجمال، الجواب نعم من تمجيد الله عز وجل وذكر أسمائه الحسنى والدعاء، والمثال وفي الثناء على القرآن وكونه جامعاً للأحكام، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٤).

مفهوم المخالفة - بحث أصولي-

وهو اللفظ المستقراً بما يخالف مدلوله في محل النطق لقوله تعالى ﴿فَنَسُوا شَهِدَاتِنَكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٥)، فإن المسكوت عنه أهلة أشهر السنة الأخرى وعددها أحد عشر شهراً ليس فيها صيام واجب.

إذ أن ذكر هلال رمضان بالذكر واقتران وجوب الصوم به ينفي حكم الصوم عما عداه، والمثل أعلاه مستحدث في هذا الباب.

(١) البحار ١٣/٢٣٧.

(٢) سورة البقرة ٥٣.

(٣) الدر المنثور ٨/٣٧٧.

(٤) سورة النحل ٨٩.

(٥) سورة البقرة ١٨٥.

وسمي مفهوم المخالفة لأن الحكم الذي يثبت للمسكوت عنه تقيض الحكم المنطوق به .

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) مفهومه إن الله يحب الذين لا يعتدون على غيرهم ولا يتجاوزون الحد ، وأقسام مفهوم المخالفة هي :

الأول : مفهوم الصفة .

الثاني : مفهوم الشرط .

الثالث : مفهوم الغاية .

الرابع : مفهوم العدد .

الخامس : مفهوم الحصر .

السادس : مفهوم اللقب .

ومن مصاديق مفهوم المخالفة في آية البحث أمور :

الأول : وجود طائفة من أهل الكتاب لا تؤمن بما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فنزلت آية البحث لذمهم والتحذير منهم والإخبار عن تخلفهم عن وظائف الكتائبين ومنها تلقي مصداق بشارة الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقبول والإيمان .

ومنهم من يؤمن بالتوراة دون دون الإنجيل ، (عن سلمة بن سلامة بن وقش، وكان من أهل بدر قال: كان لنا جار يهودي في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير .

حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل . قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيهم سناً على بردة مضطجماً فيها بفناء أصلي . فذكر البعث والقيامة والحسنات والميزان والجنة والنار .

(١) سورة البقرة ١٩٠ .

قال ذلك لأهل شرك أصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجوزون فيها بأعمالهم .

فقال: نعم، والذي يحلف به، لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً.

قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً.

فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرنا، فأما به وكفر به بغياً وحسداً .

فقلنا: ويحك يا فلان، أأنت بالذي قلت لنا؟ قال: بلى وليس به^(١). لتكون من معاني مفهوم المخالفة بلحاظ هذا الوجه مسائل :

الأولى : إقامة الحجة على أهل الكتاب الذي تخلفوا عن التصديق بنزول القرآن .

الثانية : احتجاج آية البحث على الذين لم يؤمنوا بالله والتزليل من أهل الكتاب والمشركين .

وعن الصحابي عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)^(٢).

ويأتي تمام الخطبة في الجزء التالي وهو الثالث والسبعون بعد المائتين وفي باب الصلة بين بدايتي الآيتين .

(١) تفسير ابن كثير ١/٣٢٦ .

(٢) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ٦/٣١٥ .

الثالثة : منع كفار قريش من الإحتجاج على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنزول القرآن مع ورود البشارات في كتبهم برسالته الخاتمة للنبوّة ، قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

(من طريق عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري حدثني أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، كان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن . وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبياً يبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروه به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله ﴿وَكَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية كلها^(٢)^(٣).

(و) عن ابن عباس قال : كان يهود أهل المدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد ، وغطفان ، وجهينة ، وعذرة ، يستفتحون عليهم ويستتصرون ، يدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون : اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابتك الذي تنزل عليه ، الذي وعدتنا إنك باعته في آخر الزمان^(٤).

الرابعة : آية البحث وقاية من شرور الذين يكفرون بنزول القرآن من عند الله ، وتبعث على إشغالهم بأنفسهم .

(١) سورة البقرة ٨٩ .

(٢) سورة البقرة ٨٩ .

(٣) الدر المنثور ١/١٦٠ .

(٤) الدر المنثور ١/١٦٠ .

وقال تعالى ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(١).

الثاني : التوبيخ والتبكيث للكفار لوجود أمة من غير المسلمين يؤمنون بما جاء به النبي محمد من عند الله ، ويقرون بالدلالة التضمنية أنه رسول رب العالمين بالشهادة بنزول آيات وسور القرآن .

الثالث : حرمة التكذيب بنزول القرآن والتوراة والإنجيل إذ تبين آية البحث مسائل :

الأولى : قانون النبوة والتنزيل صلة بين الله وأهل الدنيا .

الثانية : التنزيل مصداق خلافة الإنسان في الأرض ، قال تعالى ﴿وَإِذ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَنَحْسُ نُسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَقَدِّسْ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

الثالثة : خيبة وخسارة الذين كفروا والذين ينكرون نزول القرآن والتوراة والإنجيل من عند الله ، وفي التنزيل ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَفَرَ بَاءً بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُنْسُ الْمَصِيرِ﴾^{(٣) (٤)}.

الرابع : توثيق القرآن لقبيح فعل الفاسقين الذين تركوا ما يجب عليهم من حق الله في عبادته والتصديق برسله لقاء أمر زهيد ، ومتاع زائل ، قال تعالى ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥).

لقد أقام الله عز وجل الحجة على الناس بالآيات الباهرات ولكن شطراً من الناس اختاروا عرض الدنيا والإعراض عن آيات التنزيل ، فكان هذا

(١) سورة الأعراف ١٥٩.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٦٢.

(٤) أنظر الجزء الثامن والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٥) سورة التوبة ٩.

الإختيار من أسباب محاربة وقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليحرموا أنفسهم مما أعده الله عز وجل من الأجر للذين صدقوا به .

الكتاب الأكثر قراءة في التاريخ

لقد رزق الله عز وجل الإنسان العقل ، ومن وظائفه الإحصاء والجمع ، واتخاذة وسيلة للتدبر والتدبير ، ومقدمة للعمل ومنهاجاً .

وهل يدخل الإحصاء في علوم القرآن ، الجواب نعم ، إذ قسم الله عز وجل القرآن إلى (١١٤) سورة ، وكل سورة فيها عدد من الآيات يزيد أو ينقص ، ولا تقل آيات أقل سورة عن ثلاث آيات كما في سورة الكوثر ، وسورة العصر ، وسورة النصر ، وعدد آيات القرآن هو (٦٢٣٦) آية .

ولا تختص الكتب التي يقرأها الناس بالكتب المنزلة من عند الله عز وجل ، إذ تشمل كتب الأدب والفلسفة والتاريخ والإجتماع والكتب المدرسية في أنحاء العالم .

وإذ تتباين قراءة الناس لهذه الكتب بحسب الزمان والبلد والإتماء فان كتب التنزيل تتغشى الأرض .

والمختار أن القرآن هو أكثر الكتب التي قرأها ويقرأها الناس في المصحف وعن ظهر قلب ، وهو من الإعجاز الغيري للقرآن .

ومن أسرار تسمية القرآن من عند الله عز وجل في نحو سبعين آية من القرآن شاهد على أن الله عز وجل أراد أن يكون كلامه هو أكثر الكلام جرياناً على الألسن ، وأن كتابه أكثر الكتب قراءة مع الأجر والثواب في قراءته ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ نُّبْرِئَهُمْ﴾^(١).

وأختلف في لفظ القرآن لغة على وجوه:

الأول : إنه اسم علم غير مشتق من جذر لغوي.

الثاني : إنه غير مهموز (قرآن) وهو الجمع ، وبه قال الزجاجي .

الثالث : القرآن اسم مشتق من القرائن ، لتصديق آيات القرآن بعضها لبعض كالقرينات ، وبه قال الفراء .

الرابع : القرآن لفظ مهموز (قرآن) وهو مشتق من قرأ ومصدر له ، وهو المختار .

ولو أحصيت قراءة الناس للكتب من أيام آدم وإلى اليوم وغداً لتجلى قانون القرآن أكثر الكتب قراءة في التاريخ .

وهل هذه الكثرة بمبادرة واختيار من الناس ، الجواب لا . بل هو من الإرادة التكوينية ، فقد أراد الله عز وجل أن يكون كلامه هو الأكثر جرياناً على ألسنة الناس ، بالتنزيل قبل الإسلام منذ أيام آدم ثم استقر بالقرآن بالبعثة النبوية .

ومن حديث أبي ذر (قلت : يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب . قال : مائة وأربع كتب ، منها على آدم عشر صحف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ ، وهو إدريس ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان)^(١) .

ومن فضل الله عز وجل يجعل القرآن أكثر الكتب قراءة في تاريخ عمارة الإنسان للأرض وإلى يوم القيامة تلاوة كل مسلم ومسلمة المكلفين القرآن سبع عشرة مرة في اليوم على نحو الوجوب العيني وبحال الخشوع وقصد القرآنية والقربة إلى الله عز وجل والتسليم بأنه كلام الله عز وجل .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٢) الجواب نعم .

إذ تتجلى في تلاوة القرآن عبادة أمم وطوائف المسلمين وحتى مع اختلاف المسلمين في بعض أجزاء الصلاة فإن إجماع علماء الإسلام على

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٨٠/١٤ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

وجوب تلاوة القرآن في ركعات الصلاة ، قال تعالى ﴿فَاقْرَأْ وَمَا تَسْرِرْ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١).

ويدل قوله تعالى ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٢) على وجوب قراءة القرآن في الصلاة لتسمية صلاة الفجر بقرآن الفجر .

(و) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب)^(٣).

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لا صلاة إلا بقراءة)^(٤).
ومن فضل الله في صلاح المسلمين وانقيادهم لكلام الله قراءتهم له في صلاة النافلة وخارج الصلاة ، والحرص على ختمته والتدبر فيه ، واجتهاد والعلماء في تفسير وتأويل آياته وقال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٥)، وقد أنعم الله عز وجل علينا بهذا السفر وما فيه من العلوم المستحدثة .

وفي صلاة الجماعة يتولى الإمام القراءة فهل تحتسب قراءة للمأمومين أيضاً ، الجواب نعم .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (تفضل صلاة الجماعة صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً و يجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر)^(٦).

(١) سورة المزمل ٢٠.

(٢) سورة الإسراء ٧٨.

(٣) صحيح ابن خزيمة ٣١٣/٢.

(٤) البيهقي / معرفة سنن والآثار ١/٤.

(٥) سورة الإسراء ٧٩.

(٦) الطبرسي / مجمع البيان ٢٥٣/٦.

وفوز القرآن بمرتبة أكثر الكتب قراءة كل يوم وفي التاريخ وأفراده الطولية رحمة عامة من الله بالمسلمين وبالناس جميعاً ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١).

نعم يتلو النصارى الإنجيل ، واليهود التوراة ، وهل يبعث تعاهد المسلمين القرآن كل يوم أهل الكتاب على تلاوة الإنجيل والتوراة ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق آية البحث ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) بلحاظ قانون الإيمان باعث على التلاوة .

تلاوة الملائكة

لقد خلق الله عز وجل الملائكة من نور ومن قبل أن يخلق الإنسان بآلاف السنين ، فعمروا السماء بالذكر ، وعندما خلق الله عز وجل آدم احتج عليهم الله عز وجل بتعليم آدم لهم الأسماء كما ورد في قوله تعالى ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٣).

وهل القرآن من هذه الأسماء ، الجواب نعم ، والمختار أن الملائكة تتلو القرآن ، قال تعالى ﴿فَاللَّيَالِي ذُكْرًا﴾^(٤) ، قال مجاهد والسدي (هم الملائكة تقرأ كتب الله)^(٥) ، وقوله تعالى ﴿فَالْمَلَقِيَّاتِ ذُكْرًا﴾^(٦) ، لإرادة جبرئيل والملائكة الذين ينزلون بالوحي والقرآن من عند الله .

(١) سورة الفرقان ٧٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .

(٣) سورة البقرة ٣٣ .

(٤) سورة الصافات ٣ .

(٥) مجمع البيان ٤٦٧/٨ .

(٦) سورة المرسلات ٥ .

وتتلو الملائكة القرآن ، فهو كلام الله ، قال تعالى ﴿وَالصَّافَاتِ صَفَاً * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾^(١).

إذ ذكر الله طوائف من الملائكة وظيفتهم هي يصفوا أقدامهم في عبادة الله الله ، ويؤدون الصلاة جماعة .

وعن ابن عباس وقتادة (يعني صفوف الملائكة في السماوات كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة)^(٢).

ومن الملائكة من يتلون الكتب السماوية المنزلة .

ومن فضل الله عز وجل أن تلاوة القرآن متجددة في كل زمان ، وهل هي أكثر في الأزمنة اللاحقة أم أقل مما في الأزمنة سابقة ، والمختار أن تلاوة القرآن تزداد كثرة مع تقادم الأيام لإزدياد عدد المسلمين والفقهاء في الدين ، وكثرة المتعلمين ، ووسائل التواصل الإجتماعي والإعلام المسموع والمقروء.

ليكون من معاني تسمية القرآن بالفرقان أنه يفرق بين العمل الذي يرضي الله تعالى وضده .

ومن الإعجاز في المقام أن أول آية نزلت هي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٣)، فتضمنت الأمر بالقراءة بالإفتتاح بذكر الله ، وأن تكون القراءة في طاعة الله ، ورجاء ثوابه .

والمقروء في الآية أعلاه محذوف والمراد القرآن ، والباء في (باسم) للإلصاق والإستعانة ، والمصاحبة بمعنى (مع) كما في قوله تعالى ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾^(٤)، أي مع سلام .

(١) سورة الصافات ١-٣.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٩٧/١١ .

(٣) سورة العلق ١.

(٤) سورة نوح ٤٨.

و(عن سليمان الجوهري قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يقول: لابنه القاسم: قم يا بني فاقراً عند رأس أخيك ﴿وَالصَّافَاتِ صَفَاً﴾^(١) حتى تستمها ، فقرأ فلما بلغ ﴿أَهْمُ أَشَدَّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾^(٢) قضى الفتى فلما سجي وخرجوا أقبل عليه يعقوب بن جعفر فقال له : كنا نعهد الميت إذا نزل به الموت يقرأ عنده ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾^(٣) فصرت تأمرنا بالصافات فقال: يا بني لم تقرأ عند مكروب من موت قط إلا عجل الله راحته)^(٤) .

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾^(٥) أي الملائكة تزجر السحاب وتبعثه حيث يشاء الله وفيه دعوة للناس للدعاء للمطر والغيث ، ومنه صلاة الإستسقاء .

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾^(٦) أي الملائكة وبه قال ابن عباس وابن مسعود^(٧) .

وقال مسروق (كان يقال في الصافات ، والمرسلات ، والنازعات هي الملائكة)^(٨) .

لقد ورد عن ابن الصلاح قوله (وقد ورد الملائكة لم يعطوا فضيلة قراءة القرآن وهي حريصة لذلك على استماعه من الإنس فإذا قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها الإنس غير أن المؤمنين من الجن بلغنا أنهم يقرؤونه والله أعلم)^(٩) .

(١) سورة الصافات ١ .

(٢) سورة الصافات ١١ .

(٣) سورة يس ١ .

(٤) البحار ٢٨٩/٤٨ .

(٥) سورة الصافات ٢ .

(٦) سورة الصافات ٣ .

(٧) الدر المنثور ٣٢١/٨ .

(٨) الدر المنثور ٣٢١/٨ .

(٩) فتاوى ابن الصلاح ١٥٠/١ .

ولا دليل على قوله هذا ولم يذكر ممن ورد هذا القول ، وابن الصلاح الموصلي ولد في قرية شرحان في شهرزور في السليمانية ، وانتقل الى الموصل ثم خراسان ثم بلاد الشام ، سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة ٦٤٣ هجرية في دمشق .

لقد كان جبرئيل وهو من سادة الملائكة ينزل بالقرآن ، وكان يتدارس مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن مرة في السنة في شهر رمضان ، وفي السنة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارضه بالقرآن مرتين .

و(عن عائشة عن فاطمة (عليها السلام) أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)^(١).

و(عن عروة ، عن مسروق قالت عائشة: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله: مرحبا بابنتي فأجلسها عن يمينه وأسر إليها حديثا فبكت ، ثم أسر إليها حديثا فضحكت فسألته عن ذلك .

فقلت: ما أفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه أسر إلي فقال: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراني إلا وقد حضر أجلي وإنك لأول أهل بيتي لحوقا بي .

ونعم السلف أنا لك . بكيت لذلك ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين فضحكت لذلك)^(٢).

وليس من مانع من الإرادة التكوينية أو التشريعية يمنع من قراءة الملائكة للقرآن ، فليس من تكوين و نسخية الملائكة العجز عن تلاوة كلام الله ،

(١) تفسير ابن كثير ٥٠/١ .

(٢) البحار ١٨١/٤٣ .

والتدبر فيها ، أما التشريعية فليس هناك نهي أو كراهة تكليفية من الله عز وجل للملائكة عن قراءة القرآن.

قوانين الجزء ٢٧٢

وفيه القوانين التالية :

- الأول : قانون الاستدامة اليومية المتعددة لقول الحمد لله في الأرض .
- الثاني : قانون تلاوة كل مسلم ومسلمة قول ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) على نحو الوجوب العيني سبع عشرة في اليوم واللييلة في الصلاة اليومية.
- الثالث : قانون الملازمة بين الإيمان والحمد لله .
- الرابع : قانون قول الحمد لله شاهد على الإيمان .
- الخامس : قانون إتباع النبي محمد حمد لله عز وجل .
- السادس : قانون الإقامة والمواظبة على الحمد لله عصمة من المعاصي واجتناب للفواحش .

- السابع : قانون تعاهد الحمد لله مفتاح للرزق .
- الثامن : قانون قول الحمد لله أمان في عالم البرزخ .
- التاسع : قانون قول الحمد لله واقية من العذاب يوم القيامة .
- العاشر : قانون قول الحمد لله نوع دعاء .
- الحادي عشر : قانون استحالة اجتماع الضدين في محل ووقت واحد .
- الثاني عشر : قانون التنزيل أمانة .
- الثالث عشر : قانون الثناء القرآني على أهل التقوى والصلاح .
- الرابع عشر : قانون ترغيب الناس بالهداية والإيمان ، والتوثيق السماوي في القرآن لمصاديق الإيمان .
- الخامس عشر : قانون أحسن الإقامة التي هي من عند الله في الآخرة .
- السادس عشر : قانون آيات القرآن نجاة في الآخرة لما فيها من الترغيب بالإيمان.

- السابع عشر : قانون اقتران العمل بالإعتقاد السليم .
- الثامن عشر : قانون ترشح الخشوع عن الإيمان .
- التاسع عشر : قانون الثواب من الله للذين يؤمنون به بما أنزل من الكتب السماوية .
- العشرون : قانون اشتراك الآيات المتجاورة في موضوع أو حكم مخصوص هو رحمة للناس عامة أو المسلمين خاصة .
- الواحد والعشرون : قانون ترشح الخشوع والتقوى عن التنزيل .
- الثاني والعشرون : قانون النفع العام من الكتب السماوية المنزلة .
- الثالث والعشرون : قانون الإيمان طريق الخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار .
- الرابع والعشرون : قانون الآية القرآنية باعث إلى تقوى الله سواء في منطوقها أو مفهومها .
- الخامس والعشرون : قانون سمو مرتبة التقوى .
- السادس والعشرون : قانون الترغيب السماوي بالتقوى ومنها طاعة الله في السر والعلانية .
- السابع والعشرون : قانون القرآن كتاب البشارات السماوي .
- الثامن والعشرون : قانون الآية القرآنية لطف بالناس جميعاً .
- التاسع والعشرون : قانون الآية القرآنية ترغيب متجدد بالإيمان .
- الثلاثون : قانون المسلمون أسوة في الإيمان ، قال تعالى ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١) .
- الواحد والثلاثون : قانون الآية القرآنية لواء التوحيد .
- الثاني والثلاثون : قانون الآية القرآنية حرب على الشرك والضلالة .
- الثالث والثلاثون : قانون اللجنة دار إقامة المتقين في الآخرة .
- الرابع والثلاثون : قانون حفظ القرآن من التقوى .

- الخامس والثلاثون : قانون حفظ القرآن ورسمه جهاد .
- السادس والثلاثون : قانون حاجة المسلمين والناس لحفظ القرآن .
- السابع والثلاثون : قانون كل آية قرآنية ترغيب بالتقوى .
- الثامن والثلاثون : قانون دخول الناس الإسلام بالمعجزة من غير أن تصل النوبة للقتال بين الجيوش .
- التاسع والثلاثون : قانون إيمان طائفة من أهل الكتاب بنزول القرآن والذي يدل بالدلالة التضمنية على تصديقهم برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- الأربعون : قانون الملازمة بين الإيمان والدعاء .
- الواحد والأربعون : قانون تعقب الإستجابة للدعاء ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).
- الثاني والأربعون : قانون الإستجابة لطف .
- الثالث والأربعون : قانون القرآن كتاب الدعاء .
- الرابع والأربعون : قانون تلاوة القرآن واقية من النار يوم القيامة .
- الخامس والأربعون : قانون الوعد الإلهي باعث على التحلي بالتقوى وعمل الصالحات .
- السادس والأربعون : قانون ملازمة الحاجة للممكّنات .
- السابع والأربعون : قانون حفظ الله عز وجل لعمل الصالحات والإثابة عليه .
- الثامن والأربعون : قانون سرعة نزول فضل الله .
- التاسع والأربعون : قانون فورية الإستجابة لأن السموات والأرض ملك لله عز وجل وحده .
- الخمسون : قانون التوجه إلى الله .
- الواحد والخمسون : قانون إستدامة الإيمان في الأرض .

(١) سورة غافر ٦٠.

الثاني والخمسون : قانون ترشح الخشوع عن الإيمان بالله والتنزيل .
الثالث والخمسون : قانون الثناء على الخاشعين لله سواء في صلاتهم أو مطلقاً .

الرابع والخمسون : قانون إنعكاس الخشوع على عمل الجوارح .
الخامس والخمسون : قانون إعلان آية البحث عن الإيمان بالله لإصلاح للنفوس .

السادس والخمسون : قانون العمل هباء من دون الإيمان بالله ، وفي التنزيل ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(١) .
السابع والخمسون : قانون الإيمان بنزول القرآن فرع الإيمان بالله عز وجل والتتره عن الشرك .

الثامن والخمسون : قانون الإيمان بالله باب لقبول الدعاء .
التاسع والخمسون : قانون الخشوع لله واقية من الظلم والتعدي .
الستون : قانون الخشوع لله أمن في النشاطين .
الواحد والستون : قانون الخشوع لله عز وجل شعبة من الإيمان .
الثاني والستون : قانون الخشوع لله عز وجل حاجة للإنسان .
الثالث والستون : قانون الخشوع لله واقية من الشرك ومفاهيم الضلالة .
الرابع والستون : قانون الخشوع لله خضوع تام له سبحانه ، ولين للقلب وسكون للجوارح .

الخامس والستون : قانون الخشوع لله سبب مستقل للأجر والثواب ، لذا ذكره الله عز وجل في آية البحث بعد الإيمان به والإيمان بالتنزيل .

السادس والستون : قانون تجدد معاني التنزيل عند كل جيل من المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة .

السابع والستون : قانون آيات القرآن غضة بنزولها ومضامينها القدسية .

- الثامن والستون : قانون وجود أمة مؤمنة بالله والتنزيل في كل زمان .
- التاسع والستون : قانون الآية القرآنية مادة للتحلي بالصبر .
- السبعون : قانون الملازمة بين التصديق بالتنزيل والخشوع لله عز وجل .
- الواحد والسبعون : قانون في كل زمان أمة من المتقين الأبرار .
- الثاني والسبعون : قانون الأجر عن الإيمان .
- الثالث والسبعون : قانون عدم اختصاص الأجر بأمة دون أخرى .
- الرابع والسبعون : قانون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١) لبيان إنبساط الأجر في الدنيا والآخرة .
- الخامس والسبعون : قانون تعضيد المسلمين بإيمان طائفة من أهل الكتاب بالله ونزول القرآن .
- السادس والسبعون : قانون ثناء الله عز وجل على طائفة من الناس دعوة للمسلمين والناس جميعاً لإكرامهم .
- السابع والسبعون : قانون عدم اختصاص الوعد الكريم بالأجر بالمسلمين .
- الثامن والسبعون : قانون تعدد حجج الله في الموضوع المتحد .
- التاسع والسبعون : قانون عدم خلو الأرض من أمة مؤمنة في كل زمان .
- الثمانون : قانون الإيمان بالله واقية من الشرك والضلالة .
- الواحد والثمانون : قانون مودة المسلمين .
- الثاني والثمانون : قانون الملازمة بين عمل الصالحات عن إيمان والمودة من الناس .
- الثالث والثمانون : قانون إمتناع ملوك النصارى عن إعانة المشركين على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- الرابع والثمانون : قانون الإنتساب إلى الكتاب عنوان أمن في الدنيا ، ودليل على بقائهم على ملتهم ، وعمارتهم لكنائسهم وبيعتهم .

(١) سورة آل عمران ١٩٩.

- الخامس والثمانون : قانون آيات القرآن غضة طرية في كل زمان .
- السادس والثمانون : قانون تلاوة الآية القرآنية وكأنها أنزلت توأ .
- السابع والثمانون : قانون تلاوة الآية سبب وباعث للعمل بمضامينها ، قال تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا... ﴾ (١).
- الثامن والثمانون : قانون سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان.
- التاسع والثمانون : قانون تصديق طائفة من أهل الكتاب بالقرآن عون للناس لدخول الإسلام.
- التسعون : قانون إعجاز القرآن عون لأهل الكتاب والناس جميعاً للإيمان به .
- الواحد والتسعون : قانون الملازمة بين التصديق بنزول القرآن وبين الخشوع لله عز وجل ، وأيهما سابق ، الجواب هو الخشوع لله لأنه متقدم زماناً ، فهو مصاحب لوجود الإنسان في الأرض .
- الثاني والتسعون : قانون النفع العام للكتب السماوية بوجود أمة من الخاشعين لله في كل زمان .
- الثالث والتسعون : قانون الملازمة بين الإيمان بالله وبالتنزيل ، وبين الخشوع لله عز وجل.
- الرابع والتسعون : قانون ضلالة الذي يحرم نفسه من الخشوع لله في الدنيا الذي هو نفع وخير محض .
- الخامس والتسعون : قانون الملازمة بين الخشوع لله وعدم التفريط بآيات الله .
- السادس والتسعون : قانون الخشوع لله خير محض للذات والغير ، ونزلت آيات القرآن للمنع من التفريط به .
- السابع والتسعون : قانون سلامة القرآن من ديب يد التحريف إليه .

- الثامن والتسعون : قانون الأجر السريع على الصالحات .
- التاسع والتسعون : قانون الثواب على حسن العقيدة .
- المائة : قانون الإثابة على ما في القلوب من حسن الإعتقاد والإقرار بالتنزيل .
- الواحد بعد المائة : قانون تلاوة آيات القرآن باعث على التراحم .
- الثاني بعد المائة : قانون التدبر بآيات القرآن ، والتفكر بمعانيها ودلالاتها هداية ورشاد .
- الثالث بعد المائة : قانون العمل بمضامين وأحكام الآية القرآنية تهذيب للنفوس .
- الرابع بعد المائة : قانون تجدد الود والثناء على الذي يعمل الصالحات حتى بعد وفاته .
- الخامس بعد المائة : قانون التقوى واقية .
- السادس بعد المائة : قانون الملازمة بين ذكر اسم الجلالة وبين الطمأنينة .
- السابع بعد المائة : قانون من الإرادة التكوينية وهو علم الله تعالى بما لا تعلم الملائكة بأن يسألهم عن أسماء ومعاني مسميات عجزوا عن معرفتها .
- الثامن بعد المائة : قانون استدامة القرآن في الأرض حتى مع انقطاع النبوة .
- التاسع بعد المائة : قانون نزول القرآن تعاهد لخلافة الإنسان في الأرض .
- العاشر بعد المائة : قانون الإيمان بالله عز وجل والنبوة والملائكة واليوم الآخر من التقوى .
- الحادي عشر بعد المائة : قانون عدم خلو الأرض من المتقين .
- الثاني عشر بعد المائة : قانون التقوى علة استدامة الحياة في الأرض ، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) .
- الثالث عشر بعد المائة : قانون الملازمة بين التقوى ودخول الجنة .

(١) سورة الذاريات ٥٦.

الرابع عشر بعد المائة : قانون الملازمة بين تسخير العقل والإيمان ، إذ يقود العقل صاحبه إلى الرشاد بالتسليم بأن الله عز وجل خالق كل شئ ، والإقرار بالعبودية له تعالى .

الخامس عشر بعد المائة : قانون من الإرادة التكوينية وهو ما عند الله عز وجل من الأجر والثواب والإحسان والإكرام هو خير وأفضل للأبرار الصالحين .

السادس عشر بعد المائة : قانون ملازمة الحاجة للإنسان ، ففتح الله عز وجل للمؤمنين باب السلامة بسؤال النصره .

السابع عشر بعد المائة : قانون إنتفاء النصير للظالمين .

الثامن عشر بعد المائة : قانون الظلم حاجب للنصره .

التاسع عشر بعد المائة : قانون الإيمان واقية من المصير البئيس للظالمين .

العشرون بعد المائة : قانون الملازمة بين الإيمان والتفقه في الدين لسؤال

المسلمين كل يوم الله عز وجل في الصلاة اليومية وخارجها ﴿وَتَوَقَّأَ مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١).

الواحد والعشرون بعد المائة : قانون المؤمنون هم الأبرار .

الثاني والعشرون بعد المائة : قانون القرآن كتاب الإستجابة .

الثالث والعشرون بعد المائة : قانون ترتب النفع كل يوم على الآية

القرآنية .

الرابع والعشرون بعد المائة : قانون وهو إيمان طائفة من أهل الكتاب

برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن القرآن حق وصدق .

الخامس والعشرون بعد المائة : قانون كل آية قرآنية معجزة عقلية بذاتها

وبصلتها مع الآيات الأخرى .

السادس والعشرون بعد المائة : قانون المعجزة العقلية مدد للنبي محمد

صلى الله عليه وآله وسلم ، وشاهد على تفضيله على الأنبياء السابقين .

السابع والعشرون بعد المائة : قانون مخاطبة المعجزة العقلية للعقول ، وهو من أسباب بقاء الآية القرآنية غضة طرية .

الثامن والعشرون بعد المائة : قانون توثيق المعجزة العقلية وهو القرآن لمعجزات الأنبياء الحسية ، والمنع من تحريفها أو نسيان الناس لها .

التاسع والعشرون بعد المائة : قانون توثيق القرآن لمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية .

الثلاثون بعد المائة : قانون صدور الناس عن المعجزة العقلية .

الواحد والثلاثون بعد المائة : قانون الملازمة بين الإيمان والخشوع لله .

الثاني والثلاثون بعد المائة : قانون الترغيب المتجدد بالخشوع لله عز وجل .

الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون الإيمان بالقرآن .

الرابع والثلاثون بعد المائة : قانون حتمية الإستجابة للأمر الإلهي .

الخامس والثلاثون بعد المائة : قانون وجود أمة من أهل الكتاب تؤمن بنزول القرآن .

السادس والثلاثون بعد المائة : قانون شهادة طائفة من أهل الكتاب في كل زمان بنزول القرآن من عند الله .

السابع والثلاثون بعد المائة : قانون تعضيد طائفة من أهل الكتاب للمسلمين في إيمانهم .

الثامن والثلاثون بعد المائة : قانون الفطرة السليمة فرع نفع الله من روحه في آدم ، قال تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) .

التاسع والثلاثون بعد المائة : قانون القرآن حرب على الجهالة .

الأربعون بعد المائة : قانون تلاوة آية البحث رحمة عامة .

الواحد والأربعون بعد المائة : قانون القرآن واقية من الفتنة .

الثاني والأربعون بعد المائة : قانون القرآن برزخ دون الفتنة ، ومانع من الضلالة.

الثالث والأربعون بعد المائة : قانون الكفر ماحق للنعم .

الرابع والأربعون بعد المائة : قانون سلاح الإيمان والإصلاح في الآية القرآنية .

الخامس والأربعون بعد المائة : قانون الغنى بالآية القرآنية عن السيف .

السادس والأربعون بعد المائة : قانون تقريب العباد إلى العمل بمضامين الآية .

السابع والأربعون بعد المائة : قانون إزاحة الموانع التي تحول دون العمل بها .

الثامن والأربعون بعد المائة : قانون موضوعية الآية القرآنية في العمل بأحكام آيات أخرى .

التاسع والأربعون بعد المائة : قانون موضوعية موضوع الآية القرآنية في حفظها من التحريف والزيادة والنقصان .

الخمسون بعد المائة : قانون موضوعية موضوع الآية القرآنية في حياة المسلمين العامة.

الواحد والخمسون بعد المائة : قانون انتفاء التزاحم أو التعارض بين الأمر والنهي القرآني ، ولا يأتي أمر ونهي معاً في موضوع متحد مع كثرة مواضع الأمر ومواضع النهي.

الثاني والخمسون بعد المائة : قانون النهي القرآني طريق للعمل بمضامين الأوامر القرآنية .

الثالث والخمسون بعد المائة : قانون الأوامر القرآنية حصن وزاجر عن النواهي وما حرم الله.

الرابع والخمسون بعد المائة : قانون الأمر القرآني نعمة ومعجزة .

الخامس والخمسون بعد المائة : قانون النهي القرآني نعمة ومعجزة .

السادس والخمسون بعد المائة : قانون الإبداع .

السابع والخمسون بعد المائة : قانون الملازمة بين النبوة والتنزيل ، وذكر التوراة من باب المثال ، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^(١) .

الثامن والخمسون بعد المائة : قانون اختصاص الأنبياء بالوحي .

التاسع والخمسون بعد المائة : قانون الملازمة بين التقوى والعبودية لله .

الستون بعد المائة : قانون حاجة الإنسان إلى تقوى الله .

الواحد والستون بعد المائة : قانون تقوى الله واقية ونجاة من الهلكة

والخسران في النشاطين .

الثاني والستون بعد المائة : قانون القرآن فوق كلام البشر وإن اجتمعوا .

الثالث والستون بعد المائة : قانون تجدد إفاضات الآية القرآنية .

الرابع والستون بعد المائة : قانون الآية القرآنية غضة طرية إلى يوم

القيامة .

الخامس والستون بعد المائة : قانون الآية القرآنية ضياء ينير دروب

الهداية للمؤمنين والناس جميعاً .

السادس والخمسون بعد المائة : قانون القرآن حجة في كل زمان ، قال

تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٢) .

السابع والستون بعد المائة : قانون الآية القرآنية قانون من الإرادة

التكوينية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾^(٣) على الناس .

الثامن والستون بعد المائة : قانون الملازمة بين القرآن والثواب سواء في

التلاوة أو التدبر أو العمل بمضامين آياته .

(١) سورة آل عمران ٣ .

(٢) سورة فاطر ١٥ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٩ .

التاسع والستون بعد المائة : قانون حب الله عز وجل لأهل القرآن ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

السبعون بعد المائة : قانون بلاغة القرآن مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل زمان .

الواحد والسبعون بعد المائة : قانون سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان .

الثاني والسبعون بعد المائة : قانون اللطف بالخليفة .

الثالث والسبعون بعد المائة : قانون تجدد النعمة السماوية في الأرض ، فما ناله آدم في السماء ناله موسى عليه السلام والنبي محمد في الأرض .

الرابع والسبعون بعد المائة : قانون توارث النبوة ، واختتامها برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس والسبعون بعد المائة : قانون وجود أمة مؤمنة في كل زمان .

السادس والسبعون بعد المائة : قانون النبوة والتنزيل صلة بين الله وأهل الدنيا .

السابع والسبعون بعد المائة : قانون حض القرآن لليهود والنصارى على التقيد بأحكام التوراة والإنجيل .

الثامن والسبعون بعد المائة : قانون التقوى توفيق .

التاسع والسبعون بعد المائة : قانون التقوى فلاح .

الثمانون بعد المائة : قانون حاجة الناس إلى الخشية من الله .

الواحد والثمانون بعد المائة : قانون القرآن أكثر الكتب قراءة في التاريخ .

الثاني والثمانون بعد المائة : قانون الإيمان باعث على التلاوة .

الثالث والثمانون بعد المائة : قانون الأجر والثواب بيد الله عز وجل .

الرابع والثمانون بعد المائة : قانون النفع المتصل للأجر من عند الله .

تقديم نفضل به فقيه عصره وأستاذ المعقول والمنقول آية الله العظمى

السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري

على كتاب فلسفة الإمامة في الصحيفة السجادية (خمسة أجزاء)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد.. فان من منن الله تبارك وتعالى على عباده ان فتح لهم باباً سماه باب الدعاء ودعاهم اليه بابلغ اسلوب واطيب كلام قال عز من قائل ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)، فصار ذلك من اكمل النعم واثمها على خلقه لأن به تتهدب النفوس وتصل الى ما تريد، ومن اهم السبل للولوج في هذا المسلك ما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام لاسيما الإمام الهمام المعصوم علي بن الحسين السجاد عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام فقد بهر العقول بسحر بيانه وطيب كلامه ودلّ بكلماته سبل الوصول الى الله تعالى والتعرف بالآلته ونعمائه والتشرف بالحضور لدى جنابه، وكان عليه الصلاة والسلام معجزة في هذا المضمار فكانت كلماته نوراً يهتدي بها السالك ومناراً يقتدي بها العارف المنجذب إلى خالقه.

وقد اتعب العلماء رفع الله شأنهم انفسهم في شرح كلامه عليه السلام وتفسيره ومن حباه الله تعالى بهذه الكرامة الفاضل العالم الشيخ صالح الطائي دامت تأييداته وقد بذل جهده في تفسير غوامض الفاظ كلامه عليه السلام وشرحها شرحاً وافياً ليستفيد منه الطالب ويستنير منه المستفيض وفقه الله تعالى لمراضيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

حرر في الرابع من شوال المكرم ١٤١٣هـ



كلمة العلامة الجليل والبحر الزاخر السيد عبد الستار الحسني البغدادي

بخصوص الجزء السبعين من معالم الإيمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صاحب السماحة شيخنا وملاذنا آية الله العظمى، المرجع الديني الكبير،
القاموس المحيط لعلوم الفقه والأصول والتفسير الشيخ (الصالح) الطائي،
لازال سرادق فضائله وفواضله مضروب الأطناب يفيئ إلى ظلاله القريب
والنائي.

سلام الله الأسنى وتحياته الزاكية الحسنى عليكم ورحمته وبركاته.
ثم أما بعد: فقد تلقيت بيد الشكر والإمتنان هديتكم الغالية المترعة
بالأعلاق النفيسة الزاهرة والجواهر الثمينة الباهرة المتمثلة بالجزء (السبعين)
من تفسيركم المبارك الميمون ، ولعمري، وما عمري علي بهين، لقد وقفت
منه على بحر متلاطم الأمواج، مترامي الأثابج^(١)، متواصل المد، لا يحيط به
(رسم) ولا (حد) فهو بحق صفة التفاسير والمربي عليها بالامتياز في زيادة
التنقيب والنقير^(٢)، والإستجلاء للنكات العلمية المودعة في كلام (العليم
الخبير).

لقد فتح المولى تباركت آلاؤه به عليكم فتوح العارفين وأمدكم بالقوة
والتمكن، بما أودعتموه من المطالب الراقية الفائقة، والمقاصد الدقيقة
الرائقة، فكم حوى من بحوث علمية وافية وإحتجن من دراسات معرفية
صافية:

يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعَهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

وما أحراك أن تنقض قول علامة المعتزلة إذ قال مغتراً بما أودعه في
(كشافه) من بعض النكات البلاغية مع ما في بعضها من الكلام وعدم
التسليم^(٣).

(١) الأثابج: جمع ثبج، وثبج كل شئ معظمه ووسطه وأعلاه.

(٢) التنقيب عن الأمر: إستبناطه والبحث عنه، أنظر لسان العرب ٢٣٠/٥.

(٣) مضافاً إلى ما جانب به شاكلة الصواب من آرائه الاعتزالية وفلسفته السفسطية في

إِنَّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنْيَا بِلا عَدَدٍ ... وَلَيْسَ فِيهَا لَعَمْرِي مِثْلُ (كَشَّافِي) فَتَقُولُ:

إِنَّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنْيَا بِلا عَدَدٍ ... وَلَيْسَ فِيهَا لَعَمْرِي مِثْلُ (تَفْسِيرِي) حَوَى نَفَائِسَ أبحاثَ عِلْمَ صَعْدًا... عَنِ أَنَّ تَحَاطَ بِتَشْبِيهِ وَتَنْظِيرِ

وإن هذا التفسير (الغد) لحقيق أن تكتب عنه الدراسات، ويسعى إلى خدمته أصحاب الكفايات^(١)، وطالبوا (الشهادات) فيما يصطلح عليه في عصرنا بـ(الدكتوراه) و(الماجستير) فهو معين لا ينضب، ومنهل (عذب فرات) لا تأسن موارده ولا تكدر شرائعه.

أكرر شكري وإمتناني لسماحة آية الله العظمى الفقيه والمفسر والمرجع الكبير في جميع هذه المعاني راجياً أن يسعني حلمه لقصوري وتقصيري عن إيفاء (فصل القول) حقه وعذري في ذلك إنحراف الصحة وعوائق الأيام ومراجعة بعض ما تحت يدي من بحوث لبعض الأخوة ممن يحسن الظن بي ويستسمن في ذا ورم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وكتبَ العبدُ الأبقَ عبدُالستارِ الحسني

النجف الأشرف شهر ربيع المولد/١٤٣١هـ

حمل دلالة (المسح) على (الغسل) في آية الوضوء مع دلالتها (بالنص) علماً المسح فضلاً عن (الظاهر) ولقوله بعدم جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور إلا باعادة العامل (الجار) خلافاً للكوفيين مع ورود الشواهد على جوازه في الكتاب العزيز وكلام العرب الفصحاء .

(١) ولا يقال: الكفاءات، لأنها جمع الكفاءة وهي المماثلة، ولا اعتداد بالخطأ الشائع.

تفريظ نفضل به العلامة المحقق السيد رضا الحكيم "حفظه الله"

معالم الإيمان موسوعة نادرة

معالم الإيمان سر مكنون يروي عظمة القرآن الحكيم ، بعض أجزاءه تشع بأنوار التوحيد ، باضواء التسامح والتعايش السلمي .

الإسلام هو دين السلام ، الأجزاء الأخرى تتميز بالتجديد والإبتكار ، لغته تتصف بالمتانة والصفاء ، لا تجد فيها زخارف ولا تزويق ، خاص في بحار كلمات الوحي الإلهي .

اخرج للأجيال لآلئ جديدة ، معاني غابت عن كثير من المفسرين عن العديد من كتاب الموسوعات التاريخية .

موسوعة (معالم الإيمان) تجاوزت المائتين والخمسة والستين مجلداً ، كل جزء فيها تجد لوحات نادرة عن الحياة الإجتماعية ، الحياة الجارية في عهد الرسالة ، في العصور بعد عهد الرسالة ، تجد أيضاً خلجان من الأدب الابداعي ، تجد حقول الفلسفة الإسلامية مزدهرة تفوح بعطر الكندي وابن سينا وابن رشد .

في موسوعة معالم الإيمان دراسة معمقة في الأدب النثري ، في الأدب الشعري ، قراءة في مجموعة العلاقات القبيلة والعشائرية ، تركيبها في الجزيرة العربية قبل وبعد الإسلام .

الشيخ صالح الطائي مرجع ديني ، غمامة تهطل بثقافة الإسلام ، واحة خضراء يستراح عندها عشاق التوحيد ، رؤاه تفجرت بفتوحات العقل الإسلامي ، اكتشافاته اللغوية الجديدة .

منعطف للعقول والإفتدة ، تتألق مثل تألق الكواكب والنجوم ، أبعد عن عيوننا خريف التأريخ المضطرب ، في يده اليمنى قلم يزيح عنا ظلمة الخرافات والأباطيل ، في يده اليسرى عصا حطم بها اصنام الماضي ، والحاضر ، رؤاه المسيجة بالياسمين اضححت تؤكد ان الإسلام دين السلام ، دين الكتاب وحوار الثقافات .

تفسيره (معالم الإيمان) دخل القلوب ، دخل الجامعات الحضارية ،
زرع البيوت بالسنديان ، ملأ غرفنا بالأضواء البنفسجية ، ستبقى موسوعة
(معالم الإيمان) مدرسة لنا ، كلية لأبنائنا ، مآذن لأحفادنا.
سيبقى الشيخ صالح الطائي يتألق حتى قيام الساعة .

السيد رضا موسى الحكيم

٢٥-٣-٢٠٢٥

من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق .
- ٤- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي .
- ٥- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب .
- ٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ٧- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية .
- ٨- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ٩- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١٠- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١١- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية .
- ١٢- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة الكوفة / العراق
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٦- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية / بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٤٥
٨ / ٤٥

الأزهر
مكتبة الإمام الأئمة
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

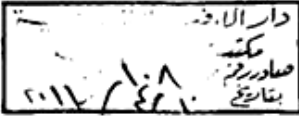
شيخ الأزهر
مختار
(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ١٧/١٢/٢٠١٧.

تلقينا ببالف الإعتزاز إهدائك من نسخة من كتابكم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢١

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٣٦٥١
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٧

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



مستشارية الأمن القومي

Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
التَّابِعِ لِيَمِينَةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ
الْاِمْنَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ٨٩ / ث

التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣

المواقي : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعزاز اهداءكم لنا الجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم اقرأ أو اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما جباكم به الله تعالى من امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي المتميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المضهداني

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد / رئيس الهيئة العلمية لعهد التاريخ العربي

والنرات العلمي للدراسات العليا



Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة


No.:
Date:

العدد ١٠
التاريخ ٢٠٢٣ / ١ / ١٠



سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان اهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث والأربعون بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، داعياً الله العليّ القدير ان يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل اعمالكم بالنجاح انه سميع مجيب .
ومن الله التوفيق


أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٣ / ١ / ١٠

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة الإسلامية العالمية
مملكة التمام
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ / صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب. ٢١١٦٨ مملكة البحرين
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١
وتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن - الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على
إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة، وستحال إلى
مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع
التوفيق والسداد.
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

المرمرة: ج ك/م ١٧/م ٣/ج
التاريخ: ... 2016/8/16م

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦ / ١٧٢
 التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٦ هـ
 المرفقات:
 الموضوع:



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 وزارة التعليم العالي
 الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 مكتبة المدير
 (٠٣٢)

معالي الشيخ / صالح الطائي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تعياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ.د / عبدالرحمن بن عبدالعزيز السعيد

Republic of Iraq
 Presidency of
 EiofY Kerbala Province council
 العدد: ٦٨٥ / ١٨٥
 التاريخ: ٢٠٢٦ / ٣ / ٤



جمهورية العراق
 رئاسة
 مجلس محافظة كربلاء المقدسة

إلى / سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم

نبارك لكم إصدار الجزء السابعين بعد المائتين من كتاب (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بعنوان (التضاد بين القرآن والإرهاب) لذا يسعدنا إلا أن نقدم لكم شكرنا وتقديرنا لجهودكم بهذا الصدد متمنين لكم دوام الموفقية والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين ، ومن الله التوفيق .

١
 الدكتور
 قاسم علي محمد اليساري
 رئيس مجلس محافظة كربلاء المقدسة
 ٢٠٢٦ / ٣ / ٤



MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٨٢ / ١
التاريخ: ١٠ / ٤ / ٢٠١٦ م
١٤٣ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

~~أ.د. علي صالح حسين~~

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦/٤/١٠

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم... 498... / رج / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

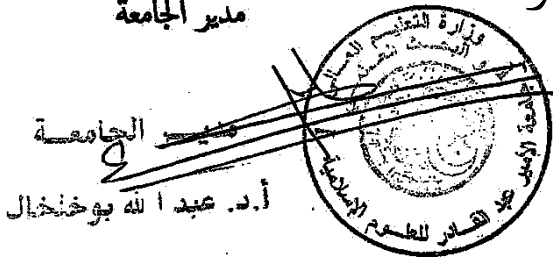
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د. / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



شيفو الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basra University
Depr. Of Public Relations & Media



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم العلاقات العامة والإعلام

العدد: ٤١٢٧٧
التاريخ: ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

إلى // الشيخ عبد الله الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
م // شكر على إهداء

تحية طيبة ...

إشارة إلى كتابكم ذي العدد (١٩ / ٤ / ٢٣) في
٢٩ / ٣ / ٢٠٢٣

ببالغ الإعتراز والتقدير تسلمنا إهدائكم القيم لنا نسخة
من الجزء السادس والأربعين بعد المائتين من (معالم
الإيمان) ... نستثمر هذه الفرصة لنعبر عن شكرنا
وتقديرنا لهذا الإهداء مؤكدين سعادتنا الدائمة بالجهود
المتميّزة ، متمنين دوام التواصل والعطاء خدمة لعراقنا
العزير.

مع التقدير ...

الأستاذ الدكتور

سعد شاهين حمادي

رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:

Date:

العدد: ١٥٦ / ٢٠١٩

التاريخ: ٢٠١٩ / ١٠ / ٢٠

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو
القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك
الأيام نداؤها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من
الإرتقاء والأزدهار والتطور.

... مع التقدير

ع

١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/٢٠

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
**UNIVERSITY OF
K U F A**
President's Office



وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مكتب رئيس الجامعة

Ref. :

Date: / /

((بجيشنا والحشد الشعبي وقوات البيشمركة العراق أقوى))
إلى / سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظلّه) المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

ببالغ الإمتنان والتقدير تسلمنا نسخة من مؤلفكم القيم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير
القرآن) بجزئه العشرين بعد المائة وإننا وإذ تقدم لكم بالشكر والإمتنان على مبادرتكم
الطيبة، فأنا نبتهل للباري جل في علاه أن يوفق سماحتكم لما يحبه ويرضاه، ومنه العون
والسداد .

مع أسى آيات تقديري واحترامي . . .

أ. د. عقيل عبد ياسين
رئيس جامعة الكوفة
٢٠١٥ / ٨ / ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

الرقم ٨١٦:٨١٦/١٦٧

Date _____

التاريخ ١٦/٥/٢٠١٢ م
الموافق ١٦/٥/٢٠١٢ م

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

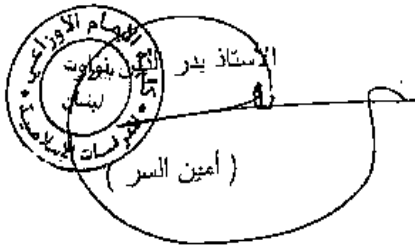
سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.
أملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



المحتويات

٣	المقدمة.....
٩	الإعراب واللغة.....
١٣	في سياق الآيات.....
١٣	الوجه الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة.....
١٣	حسن العاقبة.....
١٤	حسن التقوى.....
١٥	ذكر الجنات.....
١٧	الشهادة من الله.....
١٩	اللطف مع أهل الكتاب.....
٢٠	بين التقوى والخشوع.....
٢١	نعمة الخشوع.....
٢٢	بين الإيمان والتقوى.....
٢٣	ثواب الإيمان.....
٢٤	الخشوع لغة واصطلاحاً.....
٢٤	الوعد للأبرار.....
٢٧	تكرار كلمة (ربهم).....

- ٢٨ الإقرار بنزول القرآن
- ٣٠..... الخاتمة الحسنة
- ٣٢ إكرام الأبرار
- ٣٣..... اسم الجلالة في آية البحث
- ٣٣..... الحاجة إلى التقوى
- ٣٤ المراد من جريان الأنهار
- ٣٥ مقام الشهداء
- ٣٦..... يوم الجمعة
- ٣٨..... كتاب الأبرار
- ٤٠ صلة خاتمة الآية السابقة بآية البحث
- ٤١ الصلة بين خاتمتي الآيتين
- ٤٣ عطاء الله بالأوفى
- ٤٧ قانون حفظ القرآن من التقوى
- ٤٨ الترغيب بالتقوى
- ٤٩..... زواج سليمان من بلقيس
- ٥١..... حرف الإستدراك

الوجه الثاني : صلة آية البحث بقوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا
أضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا

- وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الثَّوَابِ ﴿٥٢﴾.....
- الترغيب بالدعاء..... ٥٢
- الدعوة للإيمان ٥٣
- قانون الإستجابة لطف ٥٤
- خصال إيمان ٥٥
- تقييد القتال ٥٧
- قانون ملازمة الحاجة للممكّنات ٥٩
- توحيد الربوبية..... ٥٩
- ثواب الصالحات..... ٦١
- كلمة (فاستجاب) ٦٣
- قانون التوجه إلى الله..... ٦٤
- مفهوم الجمع بين الآيتين ٦٦
- أسباب النزول..... ٦٨
- إعجاز الآية الذاتي ٧١
- إعجاز الآية الغيري ٧٤
- من إعجاز آية البحث ٧٥

- ذوات دخلوا الإسلام..... ٧٦
- ذم الذين كفروا ٧٩
- الرفق بأهل الكتاب..... ٨١
- خصال حميدة..... ٨٣
- الآية سلاح..... ٨٥
- مفهوم الآية ٨٧
- من معاني الآية ٨٨
- بحث أصولي ٨٨
- إفاضات الآية..... ٩١
- الآية لطف ٩٣
- القرآن .. التنزيل الخالد..... ٩٦
- الآية تخفيف ٩٧
- الآية تعضيد ٩٨
- مصاديق تعضيد الآية ١٠٠
- الآية بشارة ١٠١
- الآية إنذار..... ١٠٣
- الصلة بين أول وآخر الآية..... ١٠٥
- من غايات الآية..... ١٠٨

- التفسير..... ١١١
- قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ١١١
- شواهد التصديق ١١٣
- لماذا التبويض ١١٧
- تقسيم الناس عقائدياً ١١٩
- كتاب الزبور ١٢٠
- صحيفة المدينة دستور ١٢٤
- إسناد صحيفة المدينة ١٢٨
- لماذا نسبة (أهل الكتاب) ١٢٩
- آية البحث درء للفتنة والإقتال ١٣١
- بين الثناء والذم ١٣٣
- قانون مودة المسلمين ١٣٤
- علم المناسبة ١٣٦
- قوله تعالى ﴿لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ١٤٠
- علم المناسبة ١٤٢
- علم التقدير (لمن يؤمن بالله) ١٤٣
- قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ﴾ ١٤٥
- لماذا ﴿وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ﴾ ١٤٨

- ١٤٩..... معاني (على) - بحث نحوي -
- ١٥٢..... علم المناسبة
- ١٥٤..... قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ﴾
- ١٥٥..... بين العهد القديم والجديد
- ١٥٦..... قوله تعالى ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾
- ١٥٨..... من معاني الخشوع
- ١٥٩..... قانون الملازمة بين الإيمان والخشوع لله
- ١٦٠..... علم المناسبة
- ١٦٢..... قوله تعالى ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾
- ١٦٤..... تعاهد التنزيل
- ١٦٦..... بحث بلاغي
- ١٦٨..... ذرائع معركة بدر
- ١٧٠..... مكر كفار قريش
- ١٧٣..... علم المناسبة
- ١٧٤..... قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾
- ١٧٦..... خصال حسنة
- ١٧٧..... الرب لغة وإصطلاحاً
- ١٧٨..... إحضار النجاشي الصحابة

- ١٨٢ قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
- ١٨٣ تقدير خاتمة الآية.
- ١٨٤ علم المناسبة.
- ١٨٧ إنحراف المنافقين
- ١٨٨ خصال المنافقين.
- ١٩١ صدور الجزء (270) من معالم الإيمان
- ١٩٣ الكتابي في ذمة الله.
- ١٩٤ قانون التقوى وافية
- ١٩٦ ذكر اسم الجلالة
- ١٩٨ تعاهد الخلافة
- ١٩٩ قانون الملازمة بين التقوى ودخول الجنة
- ٢٠١ عيسى (ع) وخبر الدجال.
- ٢٠٣ النسبة بين الجنة والآخرة
- ٢٠٥ أدعية الآيات السابقة
- ٢٠٩ طول يوم القيامة
- ٢١٠ الوفاة مع الأبرار
- ٢١١ خواتيم آل عمران
- ٢١٢ قانون القرآن كتاب الإستجابة

- ٢١٤..... لفظ ﴿عَامِلٍ﴾ في القرآن
- ٢١٥..... الهجرة إلى الحبشة
- ٢١٧ أوان محو الذنوب
- ٢٢١..... من مصاديق الإيمان
- ٢٢٣..... كتاب الكفارات^٥
- ٢٢٥ صحابة كانوا من أهل الكتاب
- ٢٢٧..... تميم الداري
- ٢٢٨..... الصحابي مُخَيَّرِقُ
- ٢٣٠..... بحيرى^٥ الراهب
- ٢٣٤..... نسطورا الراهب
- ٢٣٧ مضامين آية البحث
- ٢٤٠..... منافع آية البحث
- ٢٤١..... موضوع آية البحث
- ٢٤٢ بين المعجزة الحسية والعقلية
- ٢٤٤..... صفة ﴿الْأَمِيِّ﴾ للنبي محمد (ص)
- ٢٤٧ قانون الإيمان بالقرآن
- ٢٤٩ خصائص السور المكية
- ٢٥٠..... الثناء النبوي على القرآن

- ٢٥٣ القراءة بصوت حسن
- ٢٥٥ التضاد بين قراءة القرآن والغفلة
- ٢٥٦ قانون القرآن واقية من الفتنة
- ٢٥٩ دليل الإيجاد ودليل الإتيان
- ٢٦٢ تأسيس علم (موضوعية موضوع الآية)^٥
- ٢٦٣ ذخائر مستحدثة في (معالم الإيمان)
- ٢٦٩ علم موضوع الآية
- ٢٧١ جزء كامل بآية من خمس كلمات
- ٢٧١ قانون الإبداع
- ٢٧٤ دليل التنزيل
- ٢٧٦ استدامة الخلافة
- ٢٧٨ التقوى لغة وشرعاً
- ٢٨١ إنصراف فتنة خلق القرآن
- ٢٨٣ كلام الله
- ٢٨٥ بين الإيمان والتقوى
- ٢٨٦ علم الله بما في القلوب
- ٢٨٨ فضل وقدسية القرآن
- ٢٩٠ الحجة يوم القيامة

- ٢٩٢ منافع سور القرآن
- ٢٩٥ الأقل والأكثر من أهل الكتاب
- ٢٩٦ القرآن حجة في كل زمان
- ٢٩٧ قانون اللطف بالخليفة
- ٢٩٩ تسمية الفرقان
- ٣٠٠ مفهوم المخالفة - بحث أصولي -
- ٣٠٥ الكتاب الأكثر قراءة في التاريخ
- ٣٠٨ تلاوة الملائكة
- ٣١٢ قوانين الجزء ٢٧٢
- ٣٢٤ ... تقديم تفضل آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري
- ٣٢٥ كلمة العلامة الجليل والبحر الزاخر السيد عبد الستار الحسني البغدادي
- ٣٢٧ تقرّظ تفضل به العلامة المحقق السيد رضا الحكيم "حفظه الله"
- ٣٢٩ من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفر المبارك

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٧٣ لسنة ٢٠٢٦

**طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دَرَعِ الْفَيَّاضِ**